

سلسلة عقائد السلف (٦)

كتاب التوحيد

ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته
على الاتفاق والتفرد

تأليف

الأبام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن نبرة حملة

٣١٠ - ٣٩٥ هـ

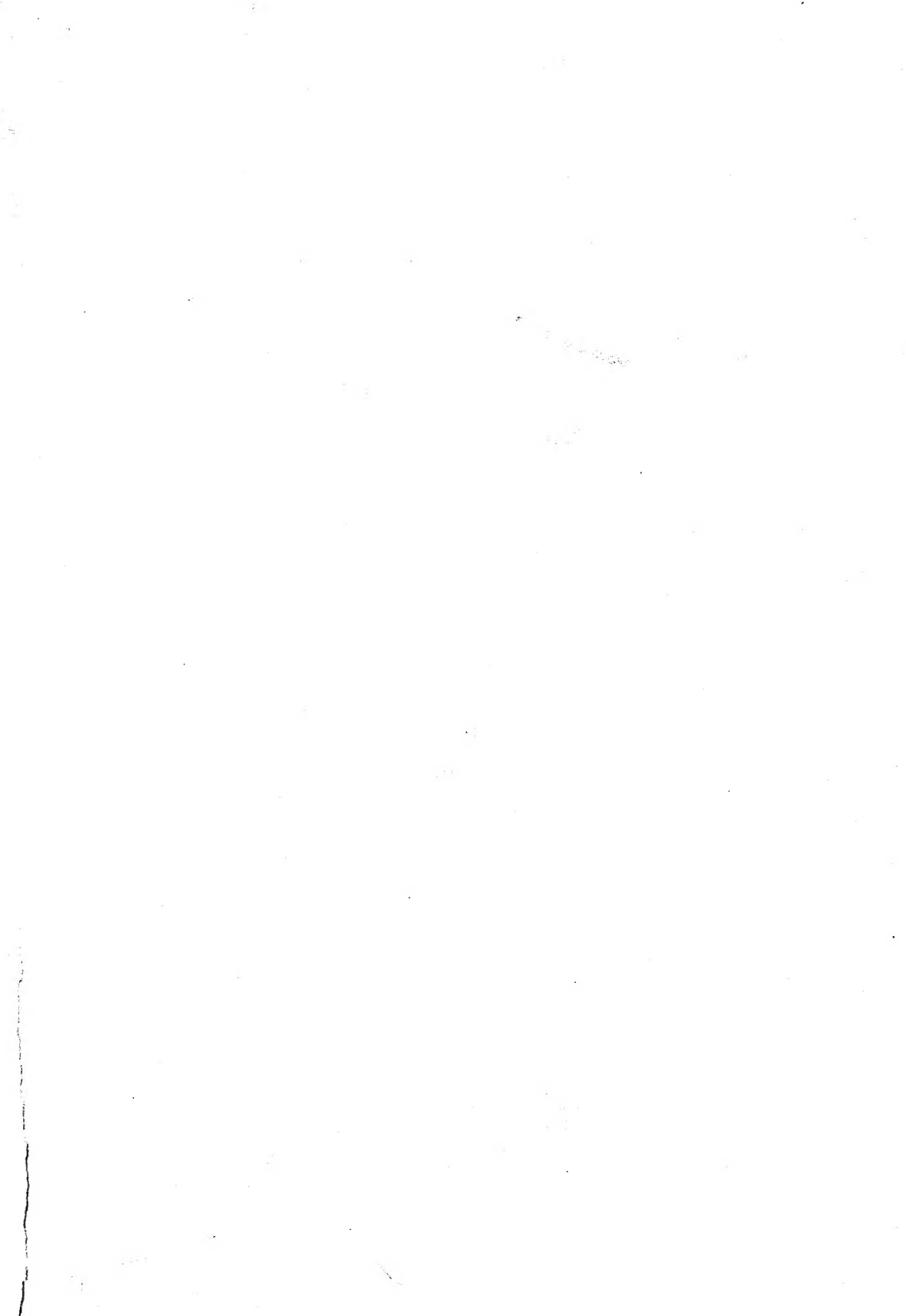
- رواية الإمام أبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي عن أبي
عمر وعبد الوهاب بن منده عن والده .
- ورواية أبي الخير الباغيات محمد بن أحمد بن محمد الأصماني
عن أبي عمر وعبد الوهاب بن منده عن والده .
- ورواية مسعود بن الحسن لتقفي أبو الفرج الأصماني عن
أبي عمر وعبد الوهاب بن منده عن والده .

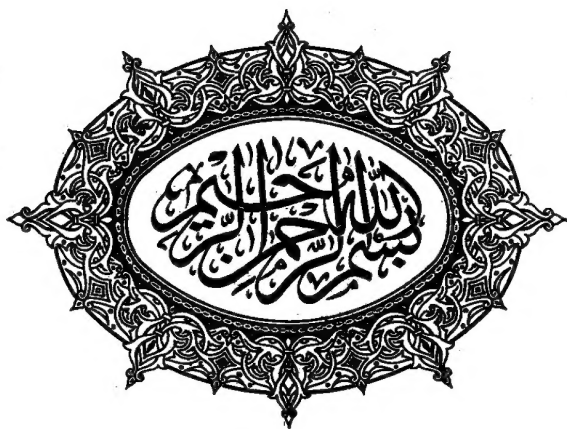
المجلد الأول

حَقَّقَهُ وَعَيَّنَ عَلَيْهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ

الدكتور علي بن محمد بن أبي الفتح

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا
بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

أما بعد : فإن علماء سلف هذه الأمة الذين كانوا على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقاداً وعملاً وسلوكاً وحكماً قد أوضحوا ذلك وبينوه في تراثهم الذي خلفوه لنا في مؤلفاتهم ، وإن الصحوة الإسلامية في أنحاء المعمورة والتي تبشر بالخير لمستقبل هذا الدين الذي جعله الله سبحانه وتعالى خاتم الأديان ونسخها به كما قال تعالى ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ .

وقول رسول الهدى ﷺ كما في صحيح مسلم : والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .

أقول : إن صحوة شباب المسلمين وتطلعهم لنصرة هذا الدين يحتم على علماء المسلمين ومفكرهم أن يضعوا بين يدي هذا الشباب منهج سلفهم الصالح في جميع نواحي الحياة ، ويبينوا لهم مفهومهم الشامل للعبادة وأنها تشمل كل ما أمر الله به ، واجتناب كل ما نهى الله عنه .

وأن منهجهم لا يقتصر على جانب ويهمل الجوانب الأخرى ، فكما يهتمون بإصلاح العقيدة التي هي أساس البناء ومنهج الرسول في دعوته ، إذ بصلاح القلوب يصلح المجتمع ، كذلك يهتمون بالعبادات والمعاملات

والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بما أنزل الله إذ لا يتم إيمان المسلم إلا بذلك . كما قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

ومن كتب السلف التي تعالج جانباً مهماً من جوانب بناء المجتمع كتاب «التوحيد» للحافظ محمد بن إسحاق بن منده . والذي نقدم القسم الأول منه . ونسأل الله العون على اتمام باقيه والذي سيكون في مجلدين ، وذلك في نطاق ما بدأناه باسم : سلسلة عقائد السلف .

أما ما اشتمل عليه هذا القسم من مباحث ، وكذلك ما شمله باقى الكتاب فسيجد القارئ وصفاً كاملاً له في المقدمة .

وحيث إن عمل البشر معرض للنقص والخطأ فإننى أطلب من القارئ الكريم أن يقدم لي ما يراه من خطأ أو نقص لأقوم بإصلاحه شاكراً له ذلك التعاون سلفاً ، وقد أمر الله بالتعاون على البر والتقوى .

وإننى أتقدم بالشكر الجزيل لمعالى رئيس الجامعة الإسلامية الدكتور عبد الله الصالح العبيد على تفضله بالموافقة على طبع هذا الكتاب بمطابع الجامعة الإسلامية وتوزيعه باسم مركز شؤون الدعوة ليستفيد منه طلاب الجامعة الإسلامية وغيرهم من أبناء المسلمين .

نسأل الله للجميع التوفيق والسداد ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا وأن يتقبل منا صالح أعمالنا إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

المحقق

على بن محمد ناصر الفقيهي



الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ مَنْدَه

٣١٠ - ٣٩٥ هـ

اسم ابن منده^(١) ونسبه :

هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن

(١) بنو منده :

١ - ابن منده : جد المصنف . وهو محمد بن يحيى بن منده الحافظ الرجال جد الحافظ الشهير أبي عبد الله - محمد بن اسحاق - توفي سنة إحدى وثلاثمائة . تذكرة الحفاظ ١٢ / ٧٤١ .

٢ - ابن منده : ابن المصنف . وهو عبد الرحمن الحافظ العالم المحدث أبو القاسم بن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، توفي سنة سبعين وأربعمائة . تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٦٥ .

٣ - ابن منده : حفيد المصنف . يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسحاق بن منده ، توفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة . تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٠ .

٤ - ابن منده : أبو الوفاء محمد بن إبراهيم بن سفيان بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن الحافظ أبي عبد الله بن منده العبدى الأصبهانى ، بقية آل منده ومسند وقته ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة تحت السيف - رحمه الله - . تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٥٨ ، شذرات الذهب ٥ / ١٥٥ .

اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده^(١)، واسم منده ابراهيم بن الوليد بن
سندة بن بطة بن استندار بن جهار بخت، وقيل اسم استندار هذا فيرزان،
وهو الذى أسلم حين فتح أصحاب رسول الله - ﷺ - أصبهان، وولّاه
لعبد القيس العبدى الأصبهاني^(٢) الحافظ صاحب التصانيف.

(١) مصادر ترجمته :

- سير أعلام النبلاء. للذهبي ١١ ورقة ٧-١٠ خ المجمع اللغوى بدمشق.
- تذكرة الحفاظ. للذهبي ٣/ ورقة ١٠٣١-١٠٣٦، ط. الثالثة سنة ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- البداية والنهاية. لابن كثير ١١/ ٣٣٦، ط. الأولى، سنة ١٩٦٦م، مكتبة النصر.

الرياض.

- تاريخ دمشق. لابن عساكر ١٥/ ٣٢-٣٤ خ المجمع اللغوى، دمشق.
- المنتظم. لابن الجوزى ٧/ ٢٣٢-٢٣٣.
- طبقات الحنابلة. لأبى يعلى ٢/ ١٦٧، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧١هـ.
- أخبار أصبهان. لأبى نعيم ٢/ ٣٠٦، ط. ١٩٣٤م.
- كشف الظنون، لحاجى خليفة ١/ ٥٨٩.
- دول الإسلام. للذهبي ١/ ٢٣٧.
- الوافى بالوفيات. للصفدى ٢/ ١٩٠-١٩١.
- ميزان الاعتدال. للذهبي ٣/ ٤٧٩، دار احياء الكتب، الحلبى، تحقيق محمد على
البيجاوى.

- الكامل. لابن الأثير ٩/ ١٩٠ ط. دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ.
- لسان الميزان. لابن حجر ٥/ ٧٢، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت.
- الأعلام. للزركلى ٦/ ٢٥٣، ط. الثالثة.

(٢) أصبهان - بفتح الهمزة - وهو الأكثر، - وكسرها -، مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن
وأعيانها، يسرفون فى وصف عظمها. وأصبهان اسم للأقليم بأسره، فتحت فى خلافة عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - سنة تسع عشرة هجرية على يد عبد الله بن عتبان صلحا. معجم
البلدان لياقوت ١/ ٢٠٦-٢١٠، دار صادر، ١٣٩٧هـ.

أما تاريخ مولده:

فهو سنة عشر وثلاثمائة، أو إحدى عشرة وثلاثمائة بأصبهان ونشأ بها.

وقد لقي ابن منده منذ صغره عناية وتوجيها من أبيه، فقد بث في روحه الورع والتقوى وحب السنة المطهرة، ودليل ذلك ما يجده القارئ في ترجمته من أن أول سماعه كان في سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة وعمره حينذاك بين السابعة والثامنة، لأن مولده كان سنة عشر، أو إحدى عشرة وثلاثمائة.

وهذا يدلنا على العناية به من أول نشأته، ومن المعلوم أن السماع وتلقى الأحاديث غالبا لا يكون إلا بعد قراءة القرآن الكريم، ولا يبعد أنه في هذه السن قد قرأ القرآن إن لم يكن حفظه، فهو صاحب موهبة وذهن وقاد إذ أصبح من أعلام الحفاظ في عصره، ولا يمنع سماعه صغيرا خلاف العلماء في وقت بدء السماع وتحديد بسن معين، فقد صح عن أهل الشأن تجويز التحمل قبل الأهلية، ومن ذلك التحمل في الصغر ثم التحديث بما تحمله في صغره بعد ذلك^(١)، ولذا فقد كان العلماء يحرصون على دفع أبنائهم إلى مجالس العلماء لتحصيل العلم لا سيما إذا ظهرت على الطالب ملامح الذكاء والفطنة من صغره، وهذا ليس بمستغرب على بيت بنى منده، فمنهم أعلام الحفاظ، ولذا يقول الذهبي - رحمه الله - في ترجمة ابن منده: وقد أفردت تأليفا بابن منده وأقاربه، وما علمت بيتا في الرواة مثل

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١١٤-١١٥ تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية بالمدينة.

بيت بنى منده، بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم^(١) وإلى بعد
الثلاثين وستائة^(٢).

أسرته:

وبيت بنى منده بيت علم ورواية وتمسك بالسنة وذب عنها. وقد
ذكرنا ما قاله الذهبي في ترجمته من أنه أفرد تأليفا بابن منده وأقاربه وأن
الرواية بقيت فيهم من خلافة المعتصم إلى بعد الثلاثين وستائة. وإليك
نبذة مختصرة عن بعض أهل بيته:-

والده:

هو المحدث أبو يعقوب اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، كان من
أهل بيت الحديث والرواية، سمع عبد الله بن النعمان وابن أبي عاصم
والبزار. وابنه صاحب الترجمة مكثر عنه، توفي في رمضان سنة إحدى
وأربعين وثلاثمائة^(٣).

جده:

هو الإمام الحافظ الرحال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى
مولا هم الأصبهاني سمع اسماعيل بن موسى الفزارى السدى، وعبد الله
ابن معاوية، ومحمد بن سليمان وطبقتهم، حدث عنه أبو أحمد العسال وأبو

(١) خلافة المعتصم سنة ٢٤٨هـ. البداية والنهاية ٢/١٦

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/١١.

(٣) أخبار أصبهان لأبى نعيم ٢٢١/١-٢٢٢، ط. لندن، ١٩٣٤م. سير أعلام النبلاء

٩/١١ عرضاً.

القاسم الطبراني ، وأبو الشيخ ، وأبو اسحاق بن حمزة ، وغيرهم ، وكان ينازع أحمد بن الفرات ويراجعه وهو شاب .

قال أبو الشيخ : هو أستاذ شيوخنا وإمامهم ، أدرك سهل بن عثمان ، مات في رجب سنة احدى وثلاثمائة . وجده الأعلى منده حدث بشيء يسير ومات في زمن المعتصم^(١) .

وهكذا نرى أن بيت بنى منده بيت علم ورواية في الأبناء والأحفاد والآباء والأجداد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

حياته العلمية :

الباحث في حياة الإمام الحافظ ابن منده يجد فيها مثال العالم العامل الدؤوب الجاد في تحصيل العلم والحريص على جمع أحاديث رسول الله - ﷺ - وتطبيق ما علمه الله عملا واعتقادا في المسائل الدينية لاسيما ما يتعلق منها بالأمور الاعتقادية ، فهو الحافظ المحدث الذي لم يبلغ أحد مبلغه في كثرة الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم ، وهو بعد ذلك المصنف في الحديث وعلومه وفي التفسير والتأريخ والعقيدة ، وذلك لعلمه أن مصدر العقيدة الإسلامية الصحيحة بعد كتاب الله تعالى السنة المطهرة ، وقد رحل لجمع السنة وسماعها من حملتها إلى بلاد كثيرة ، فبعد أن أفاد من علماء بلده أصبهان رحل إلى نيسابور فسمع بها من أبي حامد بن بلال ، ومحمد بن الحسين القطان ، وأبي العباس الأصم وغيرهم ، كما رحل إلى العراق والشام ومصر ، وسمع من عدد كبير في تلك البلاد التي رحل إليها ،

(١) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ / خ / ص ١١٥ الظاهرية تحت رقم ٦٥ تأريخ .

وتذكرة الحفاظ ٧٤١/٢ .

كما رحل إلى مكة المكرمة، والمدينة، وبيت المقدس، وسرخس، ومرو، وطرابلس، وتنيس، وغزة، وقيسارية، وبيروت.

يقول الذهبي بعد أن سرد المدن التي رحل إليها ابن منده وأسماء العلماء الذين أخذ عنهم قال: وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة ولم أعلم أحدا كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثا منه مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ، كما يروى بالاجازة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم وأبي العباس بن عقدة، والفضل بن الخصيب، وطائفة أجازوا له باعتناء أبيه وأهل بيته^(١).

مكائنه العلمية:

ابن منده كثير الحديث واسع الرحلة، كثير التصانيف مع الثقة والحفظ والاتقان، ولذلك يجد القارئ توثيقه والثناء عليه من علماء عصره، والأخذين عنه، ومن جاء بعد ذلك.

فمن العلماء الذين أثنوا عليه وبينوا فضله، أبو اسحاق بن حمزة حيث يقول: ما رأيت مثل أبي عبد الله بن منده^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٧-١٠، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٣، تأريخ دمشق لابن عساكر ٣٢/١٥.

من أدركه الخلال من أصحاب ابن منده، لأبي موسى المديني ١٤٥/ب خ الظاهرية مجموع رقم (٨٠).

(٢) أبو اسحاق هو الحافظ الثبت إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمار الأصبهاني، توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. تذكرة الحفاظ ٣/٩١٠، شذرات الذهب ٣/١٢، طبقات الحفاظ ص ٣٧١.

وقال أبو علي الحافظ^(١): بنو منده أعلام الحفاظ في الدنيا قديما وحديثا، ألا ترون إلى قريجة أبي عبد الله^(٢).

وقال شيخ هراة أبو اسماعيل الأنصاري^(٣): أبو عبد الله بن منده سيد أهل زمانه^(٤).

وقال الذهبي: وقيل أن أبا نعيم الحافظ^(٥) ذكر له ابن منده فقال: كان جبلا من الجبال.

قال الذهبي: فهذا يقوله أبو نعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه.

وقال جعفر بن محمد المستغفرى^(٦): ما رأيت أحدا أحفظ من أبي عبد الله بن منده، سألته يوما كم تكون سماعات الشيخ؟ فقال: تكون

(١) أبو علي الحافظ الإمام محدث الإسلام الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

تذكرة الحفاظ ٩٠٢/٣، البداية والنهاية ٢٣٦/١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٨/١١.

(٣) شيخ الإسلام الحافظ الإمام الزاهد أبو اسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب.

(٤) شذرات الذهب ١٤٦/٣.

(٥) أبو نعيم الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الصوفي الأحول، توفي سنة ثلاثين وأربعمائة. تذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣.

(٦) المستغفرى هو الحافظ المحدث أبو العباس جعفر بن محمد، توفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة. قال: سمعت ابن منده الحافظ يقول: إذا وجدت في اسناد زاهدا فاغسل يدك من ذلك الحديث. تذكرة الحفاظ ١١٠٢/٣، شذرات الذهب ٢٤٩/٣.

خمسة آلاف من . قلت : أى الذهبى . يكون المن نحواً من مجلدين أو مجلداً كبيراً^(١) .

وقال الباطرقانى^(٢) : أبو عبد الله بن منده إمام الأئمة فى الحديث لقاه الله رضوانه .

كما أثنى عليه غير هؤلاء من العلماء اعترافاً بفضلته ومكانته فى العلم .

وقد وصف بأنه فريد عصره ديناً وحفظاً ورواية مع اللطف والتواضع^(٣) ، والعفة ، وكان قوى الثقة بالله تعالى .

روى يحيى بن منده فى تاريخه عن أبيه وعمه أن أبا عبد الله قال : ما افتصبت قط ، ولا شربت دواءً قط^(٤) ، وما قبلت من أحد شيئاً قط^(٥) . كما أنه كان بجانباً لأهل الأهواء والبدع ، قال : طفت الشرق والغرب مرتين فلم

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٨/ب .

(٢) الباطرقانى - أحمد الباطرقانى - بكسر الطاء المهملة وسكون الراء والقاف نسبة إلى باطرقبان قرية من قرى أصبهان - المرقىء الاستاد حدث وحفظ ، روى عن أبى عبد الله بن منده وطبقته ، توفى فى صفر سنة ستين وأربعمائة . شذرات الذهب ٤٣/٣٠٨ .

(٣) من أدركه الخلال من أصحاب ابن منده ص ١٤٦/خ .

(٤) قوله : (ما شربت دواءً قط) هو لا يحرم التداوى ويعلم أن تأثيرها بإذن الله تعالى ، وسيورد فى هذا الكتاب بعضاً من تلك الأحاديث ، ولكنه لعزيمه القوى ، وثقته الشديدة ، لم يتناول المباح فى هذا الباب .

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/٩/أ .

قلت : وهكذا يجب على العلماء أن يكونوا لعز الإسلام وعلمائهم ولنشر تعاليمهم ، ذلك أن قبول الهدايا وما شاكلها تسقط هبة العالم من أعين الناس وتقلل النفع من علمه ، ومادام يعلم أن ما كتب له من رزق وغيره سيأتيه لا محالة فما عليه إلا أن يعف نفسه . والله المستعان .

أتقرب إلى مذهب ولم أسمع من المبتدعين حديثاً واحداً^(١). بل كان من دعاة السنة وحفاظ الأثر^(٢) آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

عقيدته وموقفه من الفرق المخالفة لمنهج السلف:

قبل أن نذكر عقيدة ابن منده يحسن بنا أن نبين عقيدة السلف ما هي وما المصدر الذي أخذوا منه تلك العقيدة فنقول: إن عقيدة السلف هي الإيمان بالله، بأنه الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

كما قال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾^(٣).

وقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾^(٤).

وقال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك...﴾^(٥).

وكل نبي قال لمن بعث إليهم اعبدوا الله ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾^(٦).

والإيمان بربوبيته، فهو رب كل شيء وخالقه، كما قال تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٧).

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٦٧/٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٤٧٩/٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٦٣.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٢.

(٥) سورة محمد الآية: ١٩.

(٦) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٧) سورة الفاتحة الآية: ١.

فهو الرب الخالق الرازق المحيي المميت المعز المذل المعطي المانع ،
فلا إله غيره ولا رب سواه .

والإيمان بأسمائه وصفاته جل وعلا إيمانا صادقا يثبتون به ما أثبتته الله
لنفسه وأثبتته له رسوله - ﷺ - مع نفى النقائص من تشبيه وتعطيل ، بل
على أساس قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

مع الإيمان الكامل الصادق النابع من القلب الذى تظهر ثمراته على
الجوارح بتمام المراقبة التى تجعل المؤمن بتلك الصفات يحس أن عليه رقبيا
يسمع كلامه ويعلم خطرات قلبه وما توسوس به نفسه ، فلا يرتكب
محدورا ، لأنه يؤمن بأن الله يسمعه ويراه .

وقد عبرت عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - عن ذلك فقالت :
سبحان الذى وسع سمعه كل شيء ، لقد كنت مع رسول الله - ﷺ - فى
الحجرة حينما جاءت المجادلة تشكو إلى الله فيخفى على بعض كلامها وقد
سمعها الله من فوق سبع سموات ، تعنى بذلك قوله تعالى : ﴿ قد سمع
الله قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله
سميع بصير ﴾ (٢)، (٣) .

ثم الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ،
كما قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (٤) .

(١) سورة الشورى الآية : ١١ .

(٢) سورة المجادلة الآية : ١ .

(٣) ينظر حم ٤٦/٦ ..

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٨٥ .

وفي حديث جبريل « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١).

أما مصدر تلك العقيدة فهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يأخذون سلوكهم وأعمالهم وعقائدهم عن رسول الله ﷺ فحياته وأعماله هي الإسلام غضا طريا وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم ففهموا ما أراد الله منهم ، وما احتاج إلى بيان بينه لهم رسول الله ﷺ بسنته القولية والفعلية ، وبتقريراته لما يفعله أصحابه ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣).

ويقول : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٤).

فهذه الآيات تبين أن ما قاله رسول الله ﷺ ، أوفعله أو أقر أحدا عليه هو من عند الله تعالى . فقد بين ما يحتاج إلى بيان ولم ينتقل من هذه الدنيا إلا وقد أكمل الله الرسالة وبلغ رسوله البلاغ المبين ، ولم يبق من دين الله شيء يحتاج إلى بيان ، وقد نزل عليه آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً الآية (٥) .

(١) م / الإيمان ١/ ٣٦ ح ٢ .

(٢) سورة النحل الآية : ٤٤ .

(٣) سورة النجم الآية : ٤ ، ٣ .

(٤) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٣ .

وكان رسول الله ﷺ يقول في ذلك اليوم : ألا هل بلغت ؟ فيقولون نعم . فيقول : اللهم اشهد ، يرفع يده إلى السماء ثم يصوبها ويقول ذلك .

وقد استفسر الصحابة - رضوان الله عليهم - من رسول الله ﷺ عن مسائل كثيرة في العبادات والمعاملات فوضحها لهم وبينها ، ولم يثبت أن صحابيا واحدا استفسر من رسول الله ﷺ عن اسم من أسماء الله عز وجل أو عن صفة من صفاته ، وما ذلك إلا لفهمهم لها ، ولما دلت عليه من معان فكانوا يؤمنون بها ويعتقدون ما دلت عليه من معان ويدعونها بها ، ويراقبون الله ويخافونه ويرجونه ، وقد سبق الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة - رضى الله عنها - في قصة المجادلة .

وقول عائشة - رضى الله عنها - : « سبحان الذى وسع سمعه الأصوات في تفسير قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ .

وقد استمر الصحابة على ذلك المنهج تمسكا بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ في الاعتقاد والعمل ، وبقي الأمر على ذلك في عهد أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وصدر من خلافة عثمان - رضى الله عنهم - ، ثم طفق الحال يتبدل في نفوس بعض الناس حين كثرة الفتوحات واشتغل بعض الناس بالدنيا عن الدين وكان أعداء هذا الدين الذين غلبوا على أمرهم وهم يعلمون أن الدين الإسلامى هو الدين الحق ويعرفون محمدا ﷺ أنه رسول الله حق والذى جاء وصفه في التوراة والإنجيل ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم معرفة لا تشوبها شائبة ، ولذا فلم ينكروا رسالته

إلى الناس كافة إلا حسدا من عند أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ (١).

هذا البغي والحسد حمل أعداء هذا الدين إلى الكيد لأهله بشتى الوسائل لأنهم يكيدون له عن علم ويقين ومعرفة بأنه الدين الصحيح الذى لا ينبغى لأحد من البشر أن يطلب ديناً غيره . ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢).

وأول من كاد لهذا الدين اليهود الذين تحدث القرآن عن معرفتهم التامة لرسول الله - ﷺ - معرفة الأب لابنه .

فدخل فى دين الإسلام نفاقا وخداعا ومكرا (عبد الله بن سبأ) الذى قام بأول فتنة هزت كيان الأمة الإسلامية تلك الفتنة هى تحريضه الرعاع من الناس على قتل ذى النورين الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الذى تستحي منه ملائكة السماء .

وحينما شاطت تلك الأيدي الآثمة بدم عثمان الخليفة الراشد يوم الدار، ذرّ قرن الفتنة ثم تابعت تلك الفتنة وظهرت معها الفرق التى تلبس لتنفيذ أهدافها، الدين، وتمزجه بالسياسة، والتى تهدف من ورائه تفريق كلمة الأمة وهذا كيان الإسلام فتفسر الأمور الدينية على رأيها وهواها،

(١) سورة البقرة الآية : ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

فالخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ومعاوية - رضى الله عنهما -
وقد ناظرهم ابن عباس - رضى الله عنهما - وألقمهم الحجر ودحض شبههم
فرجع للحق من وفقه الله ، وبقي الآخرون الذين قتلهم على وجاء ذلك
مُوافقا لما أخبر به رسول الله - ﷺ - لمرؤسهم من الدين وقد قتلوا شر قتله ،
ووجد فيهم من وصفه رسول الله - ﷺ - بذي الندية .

ثم الشيعة ، وهم المشايخون لعلي بن أبي طالب - رضى الله عنه -
في زعمهم ، وقد كانت أسس عقائدهم من وضع اليهود وكيدهم ،
فالمخطط الأول - ابن سبأ - اليهودى الماكر فهو الذى دعا إلى ألوهية علي
ابن أبي طالب - رضى الله عنه - أولا ، وهو القائل بعد قتل علي - رضى
الله عنه - بأنه سيعود مرة أخرى وهى عقيدة الرجعة ، وهو القائل أن الرد
صوته وغير ذلك من العقائد الباطلة الموجودة عند غلاة الشيعة الروافض .

ثم كثر الجدل فى الأندية والمساجد والمجتمعات ، وقد تمخض عن
ذلك الجدل الذى بني أكثره على الباطل وعلى قواعد المنطق اليوناني ، عن
عقائد اعتنقها هؤلاء وهؤلاء ، فظهرت بدعة القول بنفى القدر من معبد
الجهنمى ، فترأى منه ابن عمر وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - ، كما
تبرؤا ممن يقول بهذه المقالة .

ثم حدثت بدعة الأرجاء فى الإيمان من غيلان الدمشقى ، ثم بدعة
الجهنم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به ، فإنه نفى أن تكون لله
تعالى صفة ، وأورد على أهل الإسلام شكوكا أثرت فى الملة الإسلامية آثارا
قبيحة تولد عنها بلاء كبير فكثرت اتباعه على أقواله التى تؤول إلى التعطيل
فأكبر أهل السنة والجماعة بدعته وحذروا الناس منه ، وقد حكموا بتكفيره ،
وقد مات مقتولا سنة (١٢٧) مائة وسبعة وعشرين هجرية .

كما حدث في أثناء ذلك مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء، وقد سلكت طائفة المعتزلة مسلكا فكريا - بخلاف الخوارج والشيعة الذين يميل مذهبهم إلى السياسة - فبنت مذهبها على الجدل واستعانت في ذلك بما وجدته من منطق اليونان وفلسفتها لتعزيز آرائها، وبذلك سمحت لنفسها برد أخبار الآحاد الصحيحة الثابتة عن رسول الله - ﷺ - في العقائد وتأويل النصوص القطعية كآيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث المتواترة لتتفق مع مبادئها، إذ ما أسلم امرؤ نفسه للجدل في الدين الذي نهى عنه إلا وقد سمح لعقله أن يتحرر من قيود النصوص الشرعية وأن يتدع في دين الله ما ليس منه وإن حاول أن يوجد لرأيه دليلا من كتاب أو سنة.

وقد كان لهذه الأفكار المنحرفة والبدع المحدثه دعاة يؤلفون الكتب والمقالات ويدللون على الشبه ويناضون عليها، ولذلك انتشرت هذه العقائد بين الناس واعتنقها الكثير منهم.

موقف ابن منده من هذه المذاهب والأفكار :

وفي عصر ابن منده صاحب هذه الترجمة كانت تلك المذاهب والعقائد المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - في أوجها، وقد كان للعلماء الذين سبقوه الدور البارز في صد تلك الشبه والعقائد الفاسدة كالإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - إمام أهل السنة وقامع البدعة، والذي أيد الله بشبائه كتابه العزيز وسنة رسوله - ﷺ -، فقد دحض شبه المعتزلة وانتصر الحق على الباطل، ومثله الإمام البخارى والإمام ابن خزيمة، والدارمى، والدارقطنى، وغير هؤلاء من أئمة أهل السنة والجماعة ممن نصر الله بهم كتابه وسنة رسوله - ﷺ -.

وحين جاء الإمام الحافظ ابن منذه وعقيدته هي عقيدة أهل السنة والجماعة وهو من أعلامهم أدلى بدلوه مع هؤلاء الأئمة دفاعاً عن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وقياماً بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق والدعوة إليه، لأن الطعن في كتاب الله وفي سنة رسوله - ﷺ - بتحريفهما وتأويلهما هو طعن في الإسلام وهدم لقاعدته الأساسية، لأن كل مؤول لنصوص الكتاب والسنة، لا يمكنه أن يقيم أي حجة بدليل سمعي على ملحد في دين الله، لأنه يؤول ويحرف دليله السمعي بمثل ما عمل هو في الأدلة السمعية، إذ ليس تأويل أو تحريف زيد من الناس لنص من كتاب الله أو سنة رسوله - ﷺ - بأولى من تحريف عمرو له، والدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالى .

لذلك فقد ألف كتباً في العقائد بين فيها الحق الذي يجب على المسلم اعتقاده، ورد شبه المبطلين وبين زيفها ودحضها بالنصوص الشرعية من كتاب الله الكريم وسنة رسوله - ﷺ - الثابتة مؤيداً ذلك بأقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن سلك مسلكهم إلى عصره الذي عاش فيه، ومن تلك الكتب :-

١ - كتاب الإيمان : الذي رد به على الجهمية، والمرجئة، والكرامية، وغيرهم ممن خالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - في مسائل الإيمان، وقد كان الكتاب من أشمل ما ألف في هذا الباب من كتب السلف، إذ شمل أكثر من مائة فصل، كما احتوى على ألف وخمسة وثمانين حديثاً وأثراً . وقد وفق الله تعالى لتحقيقه ونشره^(١) .

٢ - كتاب الرد على الجهمية^(٢) .

(١) طبعة المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤٠١ هـ بتحقيقنا .

(٢) طبع مرتين بمطابع الشركة المتحدة للتوزيع بتحقيقنا .

٣ - كتاب فى الرد على اللفظية .

٤ - كتاب فى النفس والروح .

أما كتاب الرد على اللفظية . وكتاب النفس والروح ، فلم أعر عليهما ، وله مؤلفات أخرى فى الحديث والتفسير والمصطلح والتأريخ وقد ذكرت ذلك فى تحقيقى لكتاب الإيمان . انظره ص ٦٢ من المقدمة .

أما كتاب التوحيد الذى بين أيدينا فيقع فى سبعة أجزاء . وقد اشتمل على مائتين وستة وأربعين فصلا شملت تسعمائة وستة عشر حديثا وأثرا . كما أن المصنف أكثر الاستدال بالآيات الكريمة فى جميع فصول الكتاب لا سيما فى قسم الوحدانية فى الربوبية مستدلا به على الوحدانية فى الألوهية .

وسنورد بعد قليل وصفا مفصلا للكتاب وما اشتمل عليه من مباحث فى هذا الجانب المهم من مباحث العقيدة التى تهتم المرء المسلم ، ألا وهو توحيد الله عز وجل .

هذا وقد شمل الكتاب أقسام التوحيد الثلاثة ، التى جاءت فى كتاب الله تعالى ، وفى سنة رسوله - ﷺ - وهى :-

١ - توحيد الربوبية .

٢ - توحيد الألوهية .

٣ - توحيد الأسماء والصفات .

وقد بحث المصنف توحيد الأسماء مستقلا ، ثم اتبعه بتوحيد الصفات بحيث جاءت الأقسام أربعة .

وقد أطال المصنف النفس فى مبحث الربوبية مستدلا به على توحيد الألوهية ، لأن توحيد الألوهية هو الذى حصل فيه النزاع بين جميع الأمم وأنبيائهم .

وكذلك توحيد الأسماء والصفات ، وذلك للخلاف الناشئ في ذلك بين الفرق الإسلامية بما أدخله أعداء الإسلام على المسلمين في عقائدهم بقصد تفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم التي يجمعها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - لأنه بقبول آرائهم في تحريف كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - يصل أعداء الإسلام إلى أغراضهم ، وبذلك يفرقون وحدة الأمة الإسلامية ، وقد وصلوا إلى ذلك .

كما أشار المصنف إلى توحيد الربوبية بالتصريح مرة أخرى في آخر الكتاب مورداً عليه الأدلة من الكتاب العزيز وأقوال السلف ، ولم يطل البحث هناك ، لأنه أورده لمناسبة اقتضت ذلك ، ولأنه موضع اتفاق بين الأمم إلا من شذ فجحد بلسانه وقلبه متيقن بالحق كما قال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (١) . وقوله : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ .

وقال عمن بعث فيهم محمد - ﷺ - : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (٢) .

والناظر في كتاب الله عز وجل بعين البصيرة سيجد أنه لم يرد ذكر توحيد الربوبية في كتاب الله عز وجل إلا استدلالاً به على وحدانيته سبحانه وتعالى في العبادة ، وذلك لالزام المشركين لاعترافهم به ، فيلزمهم أن يوحدوا الله في العبادة وأن لا يعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادة المذكورة في كتاب الله ، وفي سنة رسوله - ﷺ - .

وتوحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق السموات والأرض ، وانه

(١) سورة النمل الآية : ١٤ .

(٢) سورة الزخرف الآية : ٩ .

المحيي المميت ، والذي يؤمن به الذين بعث فيهم محمد ﷺ لم يدخلهم في الإسلام ، وذلك لانكارهم توحيد الألوهية لأنه حينما قال لهم رسول الله ﷺ : قولوا : لا إله إلا الله - أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً - قالوا : كما حكى الله عنهم ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ (١).

وقد قاتلهم النبي ﷺ على تحقيق ذلك وهم مقرون بأن الله هو خالقهم ورازقهم ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (٢).

ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠ - ٣٩٥ هـ) ، وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى : توحيد الربوبية - توحيد الألوهية - توحيد الأسماء والصفات ، فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به على توحيد الله في الألوهية .

ثم ذكر عنواناً - لتوحيد الأسماء - ومنه دخل في توحيد الألوهية وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين .
ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى .
ثم اتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلاً عن أسماء الله عز وجل .

ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب ولم يخرج في استدلاله على ذلك عن كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وأقوال السلف كما يجد ذلك القارئ في الكتاب .

(١) سورة ص الآية : ٥ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٢٥ .

وهذا التقسيم الذى شمله هذا الكتاب ، رد على أبى حامد بن مرزوق الذى يقول فى كتابه المسمى « التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين » : ان تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، والقول بأن المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثانى ولم يدخلهم فى الإسلام ان ذلك بدعة ابتدعتها ابن تيمية ، وقلده فيها محمد بن عبد الوهاب^(١).

وذلك لأن ما ذكره أبو حامد بن مرزوق فى كتابه هذا لم يأخذه من كتاب الله ، ولا من سنة رسوله ﷺ القولية والعملية ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن إقرار المشركين بأن الله خالق المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾^(٢).

﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴾^(٣).

ومع هذا الإقرار فقد أخبر تعالى انهم كفار بالله وبرسوله ، لأنهم لم يؤمنوا بتوحيد الألوهية وهو أن الله هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده . قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾^(٤).

(١) انظر ص ٢٠ وما بعدها من هذا الكتاب - وهو طبع - حسين حلمى بن سعيد استنبولى سنة ١٣٩٦ هـ ، استنبول ، تركية .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣٨ .

(٣) سورة المؤمنون الآية : ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) سورة ص الآية : ٥ .

وقال : ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (١).

أما من السنة . فقد قاتل رسول الله ﷺ هؤلاء وهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق كما ترى على تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (٢) . فكيف يكون ذلك بدعة ابتدعتها ابن تيمية وتبعه عليها محمد بن عبد الوهاب . نعوذ بالله من عمى القلوب . إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وقد نص الله تعالى على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية في أول كتابه الكريم ، وفي آخره - فأوله - قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .

وفي آخره قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾ .

كما نص على هذا التقسيم تقي الدين أحمد بن المقرئ في كتابه «تجريد التوحيد المفيد» وهو مولود قبل محمد بن عبد الوهاب بعدة قرون يقول في كتابه هذا :

اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكة وإلهه ، فالرب مصدر ربّ يرب ربّا فهو ربّ : فمعنى قوله تعالى ﴿ربّ العالمين﴾ ربّ العالمين فإن الربّ سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم

(١) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٢) البخارى / الإيمان / فتح البارى ١/ ٧٥ ح ٢٥

واصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية واصلاح ديني ودنيا.

والإلهية، كون العباد يتخذونه سبحانه محبوا مألوها ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والابخات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء... إلى أن قال: وهذا التوحيد مقام الصديقين، ولأَرَبِ أَنْ توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ فلما سواوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين^(١). ثم استمر في ذكر أدلة هذا النوع من التوحيد من كتاب الله تعالى بآيات أوضح من الشمس في رابعة النهار. ولا ينكر هذا إلا جاهل أو متجاهل.

وبهذا يتضح إن قول أبى حامد^(٢) هذا لم يأخذه من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ وإنما أخذه من كتب علم الكلام التي لم يستطع أصحابها التفريق بين توحيد الربوبية الذي أقرب به عامة المشركين، وتوحيد الألوهية

(١) انظر تجريد التوحيد المفيد للمقرئ من ص ٤ - ٩ طبعة سنة ١٣٧٣ هـ المطبعة المنيرية

تعليق محمد طه الزيني.

(٢) هذا الاسم المستعار المكنى بأبى حامد بن مرزوق المؤلف لهذا الكتاب المسمى (التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين) لا يستغرب تأليفه ولا نشره، إذ أن الذى أعتنى بطبعه هو الشخص المسمى - حسين حلمي بن سعيد استنبولى - وهذا الرجل هداه الله - قد سخر نفسه لنشر مثل هذا الكتاب وأمثاله الدالة:

أولا: على جهل مؤلفيها بنصوص كتاب الله، النصوص الواضحة لكل قارئ.
ثانيا: الجهل بما جاء في سنة رسول الله - ﷺ - الصحيحة، وإلا فمن الذى لا يفهم ما نص عليه القرآن بأن من بعث إليهم محمد - ﷺ - كانوا يقولون بأن الله ربههم وخالقهم ورازقهم، ولكنهم حينما قال لهم رسول الله - ﷺ -: (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا). قالوا: «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب». فقاتلهم على ذلك مع تصريحهم بالاعتراف بالله جل وعلا. =

الذى أنكروه فقاتلهم الرسول ﷺ على تحقيقه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أوضح بالأدلة القرآنية إقرار المشركين بتوحيد الربوبية والذي أقرت به جميع الأمم كما حكاه أصحاب المقالات ، وإن النزاع بين الأمم وأنبيائهم إنما كان في توحيد الألوهية كما دل عليه القرآن ، قال :

وهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد ، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر ، غايتهم أن يجعلوا التوحيد (ثلاثة أنواع) .

فيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له .

قال : وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث ، وهو « توحيد الأفعال » وهو أن خالق العالم واحد ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من أدلة التمانع وغيرها ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وإن هذا معنى قولنا : لا إله إلا الله ، حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع .

= ثالثا : إن هذا الرجل يظهر والله أعلم أنه مدفوع من جهات معادية للإسلام تبحث عن تشويهه والظعن في علماء الإسلام العاملين بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله . ولهذا تجد الكثير من الكتب المملوءة بالجهل والحققد على الإسلام وعلمائه ينشرها هذا الرجل ، وقد علمت ممن قابله أنه لا علم عنده وإنما هو مسخر نفسه لنشر مثل هذه الكتب وتوزيعها ، وقد وجدت الكثير منها في أفريقيا ، وأكثر المتقبلين لها هم أصحاب الطرق الصوفية لأنها تساعدهم في نشر خرافاتهم ليتمكنوا من السيطرة على أفكار العوام لاستغلالهم في أخذ أموالهم وتسخيرهم لخدمتهم .
وإن الذى ينشر ما يضل به المسلمين ، عليه أن يتحمل وزر عمله ، ومثل أوزار من يضلهم عن سبيل الله .

فعلى علماء المسلمين أن ينبهوا الناس ويحذرونهم من كتب أهل الضلال والزيف ، ومنها ما ينشره حسين حلمى بن سعيد استنبولى . هذاه الله .

قال : ومعلوم إن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ أولا : لم يكونوا يخالفونه في هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضا ، وهم مع هذا مشركون^(١) . أهـ .

وما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية من تقسيم التوحيد عند المتكلمين الى تلك الثلاثة الأقسام ننقله من كتبهم .

يقول الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل ١/٤٢) : وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصنفاتية : إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له .

قلت : ويقصد بأهل السنة الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري على مذهبه الكلابي الذي رجع عنه . كما في كتبه المقالات والإبانة ، وهذا ما يقررونه في كتبهم الكلامية .

وهذا التقسيم كما يرى القاري لا يخرج عن توحيد الربوبية الذي أقربه المشركون ولم ينجه من عذاب الله تعالى ، لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية وهو إخلاص العبادة لله وحده كما دعتهم الرسل إليه .

قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله ﴾ . فلم يقولوا لهم اعترفوا بأن الله واحد في أفعاله لا شريك له ، لأنهم يقررون أن الله هو خالق العالم لا شريك له ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ . ومع ذلك قالوا في توحيد الألوهية : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ .

(١) الفتاوى ٩٧/٣-٩٨

وَصَفُ الْكِتَابِ وَمَبَاحِثُهُ

قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام - حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا - ثم أتبعها بالصفات .

وأقسام التوحيد التي ذكرها هي :

١ (الوجدانية في الربوبية .

٢ (توحيد الألوهية - وهو تحقيق - شهادة إن لا إله إلا الله .

٣ (توحيد أسماء الله الحسنى .

٤ (الصفات .

وقد بدأ المؤلف بوجدانية الله تعالى في الربوبية مستدلا بذلك على توحيدة تعالى في العبادة وأورد على ذلك الأدلة المتعددة والمتنوعة من كتاب الله الكريم ، ومن سنة رسوله ﷺ ، وأتبعها بأقوال السلف وتفسيراتهم لتلك النصوص مركزا على الاستدلال بهذا النوع من أنواع التوحيد على توحيد العبادة الذي اختلف فيه الأنبياء مع أمهم إذ كل نبي دعا قومه لعبادة الله وحده . كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) الآية . وذلك لأن توحيد الربوبية لم يعرف عن البشر إنكاره إلا من شذ ففسدت فطرته كالدهرية ومن سلك سبيلهم في الظاهر غالبا مع استيقانهم في أنفسهم إن الذي يقولونه بالنسبتهم مخالف للواقع والفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها ، كما قال عن فرعون وقومه : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ (٢) .

(١) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٢) سورة النمل الآية : ١٤ .

وقال عن الفطرة التى فطر الله الناس عليها : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (١) الآية .

وكما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (٢) .

وهذا الميثاق فى هذه الآية بينته السنة ، كما فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه . ثم قرأ أبو هريرة قوله تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ الآية .

والفطرة فسرهما ابن زيد ومجاهد وغيرهما بأنها الإسلام (٣) .

من أجل ذلك فإن المصنف أفتح كتابه هذا بعنوان : « ذكر ما وصف الله به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وإنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ثم أورد تحته الأحاديث التى فى الصحيحين الواردة فى تفسير سورة الاخلاص وفى فضلها وإن فيها صفة الرحمن ، وإن من أحب سورة الاخلاص لذلك الوصف لله عز وجل أحبه الله وأدخله الجنة .

وقد أطلت التعليق على هذا الفصل وأوردت كلام ابن حجر - رحمه الله - فى الرد على ابن حزم - رحمه الله - فى إنكاره أن تكون لله صفة مخالفا

(١) سورة الروم الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

(٣) تفسير ابن جرير ٤٠ / ٢١ .

بذلك نص الحديث هذا المروى في صحيح البخارى في تفسير سورة الاخلاص ، وإقرار الرسول ﷺ لذلك الصحابى قوله - إنها صفة الرحمن وإنه يحبها - وقد بشره الرسول ﷺ بأن الله يحبه وأدخله الجنة بحبه إياها . وقد أوضح ابن حجر ان ابن حزم خالف الجمهور برأيه هذا . وان محاولته تضعيف بعض رواة الحديث غير مقبول منه ، فان رواته كلهم ثقات .

وقد أشرت في التعليق إلى أن بعض المعاصرين قال في محاضرة ألقاها في الشباب : إن ما يسمى بتوحيد الصفات بدعة ، معتمدا في ذلك على شذوذ ابن حزم هذا الذى قال فيه ابن حجر إنه خالف الجمهور برأيه هذا .

ثم استمر ابن منده في ذكر الفصول موردا تحت كل عنوان ما يناسبه من الآيات والأحاديث وأقوال السلف .

فقال في الفصل الخامس : « ذكر ما يستدل به أولوا الألباب » ثم أورد تحته آيات من سورة آل عمران .

والفصل السادس : ذكر ما بدأ الله به من الآيات الواضحة دالا على وحدانيته .

والفصل السابع : ذكر الآيات المنتظمة الدالة على توحيد الله عز وجل في صفة خلق السموات التى ذكرها في كتابه وبينها على لسان رسوله ﷺ تنبيها لخلقها .

وهكذا استمر في ذكر الفصول موردا تحتها الآيات والأحاديث المطابقة لتلك العناوين إلى الفصل الثامن والثلاثين وعنوانه : « ذكر استدلال من لم تبلغه الدعوة ولم يأتهم رسول » ثم قال تحت هذا العنوان : قال الله تعالى مخبرا عن إيمان إبراهيم - عليه السلام - بالله عز وجل قبل

الرسالة : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ .

ثم أحاديث تشهد لذلك .

وقد أطلت التعليق على هذا العنوان وتناولت موضوع الفطرة وأقوال العلماء فيها ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ . والأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية ، وآية أخذ الميثاق على بنى آدم ، وهم عالم الذر .

ثم ابتعه بالفصل التاسع والثلاثين وعنوانه : « ذكر الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عز وجل ووحدانيته كالمعاند » . ثم أورد تحته قوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

ثم أقوال الصحابة في تفسير هذه الآية ، وأحاديث صحيحة في ذلك المعنى منها ما رواه مسلم في صحيحه ، وفيه قول رسول الله - ﷺ - : (والذى نفسى بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار) . وغيره من الأحاديث .

وقد تناول التعليق على هذا الفصل بعض الفرق الضالة - كالروافض لأن الصحابة ذكروا في تفسير هذه الآية ان من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحرورية .

ثم ذكر الفصل الأربعين وعنوانه : « ذكر معرفة أسماء الله الحسنى التى تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر » . وهو كما ترى توحيد الأسماء ، ثم أورد تحته قوله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ . وقوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ .

ومن الأحاديث ما أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : (الله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة) .

ثم أتبعه بفصل بعنوان : « ذكر معرفة اسم الله الأكبر الذى تسمى به وشرفه على الأذكار كلها » .

ثم أورد تحته قوله تعالى : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ .
وقوله : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ . وغيرها من الآيات .

ومن هنا دخل إلى توحيد الألوهية حيث قال : فاسمه (الله) معرفة ذاته منع الله عز وجل خلقه أن يتسمى به أحد من خلقه ، أو يدعى باسمه إله من دونه ، جعله أول الإيمان وعمود الإسلام ، وكلمة الحق والإخلاص ومخالفة الاضداد والاشراك فيه . . . وبه تفتح الفرائض ، وتنعد الأيمان ، ويستعاذ من الشيطان ، وباسمه تفتح وتختتم الأشياء ، تبارك اسمه لا إله غيره .

ثم بدأ فى تعداد فصول فى توحيد الألوهية فقال فى الثانى والأربعين : قول النبى - ﷺ - : (أمرت أن أدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله) .
والثالث والأربعين : قول النبى - ﷺ - : (بنى الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله) .

وهكذا استمر فى ذكر فصول من هذا الباب إلى الفصل المكمل خمسين وعنوانه : « قول النبى - ﷺ - لأمرأ السرايا : اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله عز وجل » .

أما من الفصل الحادى والخمسين فقد عاد إلى تعداد أسماء الله عز وجل حيث قال : ومن أسماء الله عز وجل : الرحمن الرحيم .

وهكذا استمر في ذكر أسماء الله عز وجل بذكر الاسم والدليل عليه من الكتاب والسنة إلى الفصل الثاني والعشرين بعد المائة وعنوانه : «ومن أسماء الله المضافة إلى صفاته وأفعاله قوله عز وجل : ﴿ذو الجلال والاکرام﴾» .

قال ابن عباس : ذو الكبرياء والعظمة .

ثم بدأ في الصفات فقال في الفصل الثالث والعشرين بعد المائة من ورقة ٧٤ : «ذكر معرفة صفات الله عز وجل الذي وصف بها نفسه وأنزل بها كتابه وأخبر بها الرسول - ﷺ - على سبيل الوصف لربه عز وجل مبينا ذلك لأئمة» . ثم قال :

نقول وبالله التوفيق : إن الأخبار في صفات الله عز وجل جاءت متواترة عن نبي الله - ﷺ - موافقة لكتاب الله عز وجل نقلها الخلف عن السلف ، قرنا بعد قرن ، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل اثبات الصفات لله عز وجل والمعرفة والإيمان والتسليم لما أخبر عز وجل به في تنزيله ، وبينه الرسول - ﷺ - عن كتابه مع اجتناب التأويل والحدود وترك التمثيل والتكييف ، وأنه عز وجل أزلى بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها الرسول - ﷺ - غير زائلة عنه ولا كائنة دونه ، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا ، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت على أى معنى تأوله دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائها غير باقية ، وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته تعالى ، ودعا عباده إلى مدحه بذلك وصدق به المصطفى - ﷺ - ، وبين مراد الله عز وجل فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته ، فقال عز وجل : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ .

وقال النبي - ﷺ -: قال الله تعالى وتقدس : ﴿إني حرمت الظلم على نفسي﴾ .

وقال النبي - ﷺ - بيانا لقوله : إن الله عز وجل كتب كتابا على نفسه فهو عنده : ان رحمتي تغلب غضبي ، فبين مراد الله عز وجل فيما أخبر عن نفسه ، وبين أن نفسه قديم غير فان بفناء الخلق ، وأن ذاته لا يوصف إلا بها وصف ووصفه النبي - ﷺ - ، لأن المجاوز لوصفهما يوجب المماثلة ، والتمثيل ، والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ولا يكون باتفاق الأسماء ، وإنما وافق اسم النفس اسم نفس الإنسان الذي سماه الله عز وجل نفسا منقوسة .

وكذلك سائر الأسماء التي سمى الله بها خلقه إنما هي مستعارة لخلقها منحها عباده للمعرفة .

ثم بدأ يعدد الصفات ، فقال : فمن الصفات التي وصف بها نفسه ومنحها خلقه : الكلام ، والوجه ، والعلم ، والقدرة ، والرحمة . الخ .

موردا على كل صفة أدلتها من الكتاب والسنة . . إلى أن قال : ففيما ذكرنا دليل على جميع الأسماء والصفات التي لم نذكرها ، وإنما ينفي التمثيل والتشبيه النية والعلم بمباينة الصفات والمعاني ، والفرق بين الخالق والمخلوق في جميع الأشياء فيما يؤدي إلى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ ووجوب الإيمان بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه وأخبر عنه رسوله - ﷺ - ، وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني لحدوث خلقه وفنائهم ، وأزلية الخالق وبقائه ، وبما أظهر من صفاته ، ومنع استدراك كيفيتها فقال : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

ثم أورد بعد ذلك الصفات مفصلة بأدلتها :

ففى الفصل التاسع والعشرين بعد المائة، ذكر صفة السمع والبصر فقال : ومن صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه السمع والبصر.

وفى الفصل الثلاثين بعد المائة وعنوانه : «ذكر ما يدل على الفرق بين سماع الخالق، وسمع المخلوق المحدث». وأورد تحته آيات منها، قوله تعالى : ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ الآية . وحديث عائشة رقم ٤١٣ فى سبب نزول الآية.

وهكذا استمر فى ذكر الفصول التى جعلها شارحة للآيات والأحاديث وأقوال السلف التى يوردها تحتها إلى نهاية الفصل الرابع والستين بعد المائة وهو بعنوان : «بيان آخر يدل على أن الله تعالى لما خلق الرحم كلمه». ح ٦١٤-٦١٦ .

ثم بدأ فى أول الجزء السادس من المخطوط بالكلام عن القرآن الكريم حيث ذكر الفصل الخامس والستين بعد المائة وعنوانه : «ذكر ما يدل على أن التلو والمكتوب والمسموع من القرآن كلام الله عز وجل الذى نزل به جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل على قلب محمد - ﷺ -» .

ثم أورد فصولا يؤكد فيها أن التلو والمكتوب بين الدفتين والمحفوظ فى الصدور هو القرآن . لينفى بذلك قول من يقول إنه عبارة أو حكاية عن كلام الله عز وجل .

ثم استمر فى ذكر فصول فى الصفات من صفة الاستواء على العرش، وخلق العرش، وان العرش فوق السموات، وان الله تعالى فوق الخلق باثنا عنهم مؤكدا بذلك صفة الفوقية، وأن جبريل ينزل بالوحى من عند الله تعالى، رادا بذلك على الجهمية وغيرهم القائلين أن الله فى كل مكان، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ثم ذكر صفة الحب، وأن الله يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه. وهكذا استمر في ذكر الصفات بأدلتها إلى الفصل السابع عشر بعد المائتين وهو بعنوان: «ذكر الأخبار الماثورة في الصبر» ح ٧٩١-٧٩٥. حيث ختم الجزء السادس من المخطوط.

ثم بدأ في الجزء السابع بعنوان: «ذكر الأخبار الماثورة في التعجب»، وقد استمر في هذا الجزء على غرار الجزء السابق في ذكر الصفات بأدلتها من الكتاب والسنة، وقد ختم الجزء بالآيات والأحاديث والآثار الواردة في صفة النزول.

ثم أشار إلى توحيد الربوبية نصاً على ذلك في فصل - نزول الرب لفصل القضاء يوم القيامة مستدلاً على ذلك بآيات من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - وآثار عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - في اجابات على أسئلة وجهت إليه.

فبدأ بذكر أدلة توحيد الربوبية من ورقة ١٤٨ حيث قال: ان ذلك لا يكون بالقياس وإنما يعرف الله تعالى بأسمائه ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ...﴾ الآية.

قال: قال أبو يوسف: لم يقل الله عز وجل انظروا كيف أنا العالم، وكيف أنا القادر، وكيف أنا الخالق.

ولكن قال: انظروا كيف خلقت، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

أى تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبدئها ويعيدها .
وإنما دل الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا يعبدوه ويطيعوه
ويوحده ليعلموا إنه مكونهم لا هم كانوا .

قال : ثم تسمى فقال : أنا الرحمن الرحيم ، وأنا الخالق ، وأنا القادر ،
وأنا المالك ، أى هذا الذى كونكم يسمى المالك القادر ، الله الرحمن الرحيم
بها يوصف .

قلت : وهذا ما تشهد به الفطر السليمة - ان مكون العالم وموجدهم
هو الخالق وهو القادر على ايجادهم من العدم - وهو المالك لهم المتصرف
فيهم كيف يشاء ، وهو الرحمن ، الرحيم بهم ، يرحم عباده بما يجريه لهم فى
هذه الحياة الدنيا ثم يرحم عباده الموحدين برحمته الواسعة فى الآخرة . وليس
خالقهم الطبيعة - أى المادة الصماء - كما يقول أتباع كارل ماركس ان مكون
العالم هو الطبيعة ، وهو مذهب لفظه كل العقلاء ، بل حتى الحيوانات
والجمادات التى تسبح بحمد ربها ﴿وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم﴾ . (الأسراء : ١٤٤) .

اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

١ - جاء على الورقة الأولى من الجزء الأول وكذلك بقية أجزاء الكتاب إلى الجزء السادس ما يأتي :

الجزء الأول من كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد . تأليف الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده - رحمه الله - .

وهكذا جاء على الورقة الأولى من الجزء الثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس .

أما السابع ، فعند انتهاء النسخ من الجزء السادس ورقة ١٣٣ / ١ قال : يتلوه في الجزء السابع - إن شاء الله تعالى - « ذكر الأخبار المأثورة في التعجب » ، وهكذا جاء كما قال .

٢ - ذكره فؤاد سزكين في تأريخ التراث ص ٥٢٩ فقال : كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد (الظاهرية - توحيد ٣٦ (١٤٧) ورقة قبل ٥٢٧هـ) .

وقال الألباني عنه في كتابه فهرس منتخب الظاهرية / نسخة بخط عتيق بن محمد ، فرغ منه في سنة ٥٣٠هـ (١٤٧) .

٣ - ذكره ابن حجر في فتح الباري ٢ / ٢٥٨ حيث نقل نصا عنه نشبه فيما يلي :

الحديث في كتاب التوحيد ج ١ / ح رقم ٤ الفصل الأول « ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وانه أحد صمد لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد». في رواية عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فيختم في صلاته بـ «قل هو الله أحد» الحديث.

قال ابن منده: هذا حديث مجمع على صحته، الذي بعث على السرية «كلثوم بن زهدم».

قاله: عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما -.

قال ابن حجر في فتح الباري ٢/٢٥٨ قوله: «كلثوم بن زهدم» - بالزاي والهاء والداال والميم -، رواه ابن منده في كتاب التوحيد من طريق أبي صالح عن ابن عباس، كذا أورده بعضهم . . الخ.

وقد أوردت جميع ما ذكره ابن حجر في التعليق على الحديث المذكور فراجع.

عَدَدُ أَوْرَاقِ النِّسْخَةِ وَمَسْطَرَّتْهَا

تتألف هذه النسخة من كتاب التوحيد من سبعة أجزاء، وهي في مائة واثنين وخمسين ورقة، وليست في مائة وسبع وأربعين ورقة، كما ذكر فؤاد سزكين في تاريخ التراث، والشيخ الألباني كما في منتخب مخطوطات الظاهرية. فإن الناسخ قال في آخر ورقة ١٥٩/١ آخر الكتاب، ثم ذكر سماعات في ورقة ١٥٠/ب.

ثم اتبع ذلك بورقة ١٥١-١٥٢/١ وقد بدأ في أول ورقة ١٥١/١ بحديث قال فيه: أخبرنا خيثمة بن سليمان ثنا أبو يحيى بن أبي مسرة ثنا عبد الله بن الزبير الحميدى، ثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: ان لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد من حفظها أو من أحصاها دخل الجنة. اهـ.

ثم قال: روى حبان بن نافع بن صخر هذا الحديث عن ابن عيينة باسناده مثله. ثم ذكر حبان ان داود بن عمرو سأل ابن عيينة أن يملأ عليه التسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من كتاب الله عز وجل، فوعد أن يخرجها، قال: فلما أن طالت سألنا أبا زيد فأملا علينا، فأتينا سفيان فعرضنا عليه، فنظر فيها أربع مرات فقال: هي هذه، فقلنا: اقرأ علينا فقرأها في فاتحة الكتاب خمسة أسماء... ثم ذكرها^(١). ثم أضاف روايات

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري ١١/٢١٧ في كتاب الدعوات/ باب ٦٨/ لله مائة اسم غير واحد. حيث قال: ... وروينا في فوائد (تمام) من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة... الحديث. يعنى حديث إن لله تسعة وتسعين اسماً. قال: فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه... ثم ذكرها.

أخرى بأسانيد تبدأ بشيوخ ابن منده . مما يؤكد أن هذه الأوراق المضافة من كلام ابن منده ، وهى داخلة ضمن كتاب التوحيد له . وبذلك تكون أوراق الكتاب ١٥٢ ورقة . وعدد الأسطر فى كل صفحة من الجزء الأول خمسة عشر سطرا ، والأجزاء الأخرى ما بين واحد وعشرين إلى ثلاثة وعشرين سطرا .

ناسـخها :

هو عتيق بن محمد ، فرغ منها يوم الأربعاء من ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

وعليها ساعات كثيرة أقدمها ما ورد على الجزء الثالث مؤرخا فى شعبان سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وهو ما يشير إليه فؤاد سزكين بقوله : إنها نسخت قبل (٥٢٧هـ) .

إسـنادها :

أما إسنادها فهو برواية الإمام المفتى أبى عبد الله الحسن بن العباس الرستمى^(١) عن أبى عمرو عبد الوهاب بن منده عن والده .
ورواية أبى الخير الباغبان محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني^(٢) عن

(١) هو الإمام أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى الأصبهاني الفقيه الشافعى مسند أصبهان ، سمع أبا عمرو بن منده وطائفة ، وكان زاهدا ورعا خاشعا بكاء فقيها مفتيا محققا ، توفى فى صفر سنة احدى وستين وخمسمائة ، وله ثلاث وتسعون سنة . العبر ١٧٤/٤ .
(٢) أبو الخير الباغبان محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني ، سمع عبد الوهاب بن منده ، وجماعة ، وكان ثقة مكثرا ، توفى فى شوال سنة تسع وخمسين وخمسمائة . العبر ١٦٨/٤ .

أبى عمرو عبد الوهاب بن منده^(١) عن والده .

ورواية مسعود بن الحسن الثقفى أبو الفرج^(٢) عن أبى عمرو عبد الوهاب بن منده عن والده .

وقد جاء فى السماع المثبت على الورقة الأخيرة من الكتاب ان السماع للكتاب كله وقع على الشيخ أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد الباغبان بروايته عن أبى عمرو عن والده فى جمادى الآخرة فى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فى نسخة بنى منده .

وإذا كان نسخ هذه النسخة وقع سنة ثلاثين وخمسمائة فيظهر أنها مأخوذة من نسخة المؤلف ، وهى نسخة بنى منده المشار إليها فى السماع ، ويظهر من النسخة معارضتها حيث أثبت عليها العلامة الدالة على المقابلة وهى : (○) (نقطة فى وسط دائرة) .

ولذا فإن السماع المثبت على أجزاء النسخة مسلسلة باسنادها إلى المؤلف ، فهى سماعات على أبى عمرو عبد الوهاب بن منده ولد المصنف عن والده ، ثم هناك سماعات أخرى كثيرة مختلفة التواريخ تدل على اهتمام العلماء بدراسة هذا الكتاب لأهمية موضوعه .

ولذلك سوف أنقل بعض تلك السماعيات بتواريخها ، وحيث إن بعضها تصعب قراءته فسيجد القارئ صورة من كل السماعيات من المخطوطة فى أول الكتاب للاطلاع عليها .

(١) أبو عمرو عبد الوهاب ابن الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة العبدى الأصبهانى ، محدث أصبهان ومسندها ، الثقة المكثر ، سمع أباه وجماعة ، توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، العبر ٢٨٢/٣ ، دول الإسلام ٦/٢ ، شذرات الذهب ٣/٣٤٨ .
(٢) مسعود الثقفى الرئيس المعمر أبو الفرج بن الحسن بن الرئيس المعتمد أبى عبد الله القاسم ابن الفضل الأصبهانى ، مسند العصر ورحلة الآفاق ، سمع من جده وعبد الوهاب بن منده وطبقتهما ، توفى فى رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائة . وله مائة سنة . العبر ١٧٩/٤ - ١٨٠ .

ونبدأ بالسماع الوارد على آخر الجزء الأول حيث لم نتمكن من قراءة
السماع الموجود على الصفحة الأولى منه :

١ - سمع هذا الجزء جميعه وهو الجزء الأول الشيخ العالم المقرئ أبو
بكر أحمد بن علي بن موسى . . روايته عن أبي عمرو . . بقراءة أبي الطيب
محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن يوسف علي والده أبي بكر وهو ينظر
في الأصل ، واخواه أبو رشيد وعبد الخالق ، وأبو الفتوح المقرئ ، وابن أخيه
محمد بن أحمد الخرقى وذلك في شهر شعبان سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
والحمد لله وحده .

٢ - بلغ من أول الجزء سماعا من الشيخ الإمام أبي عبد الله الحسن
ابن أبي الطيب الرستمي سماعه من أبي عمرو بن منده ، بقراءة ثابت بن
أحمد بن أبي الفرج . . المفتي العالم أبو بكر محمد بن حامد .

وجاء مع الجزء الثاني السماعات التالية :

١ - سماع سنة ٥٣٥ هـ :

سمع الجزء كله على الوجه من الشيخ الصابر أبي بكر محمد بن أحمد
ابن محمد بن عمر . . حرسه الله - بقراءة الإمام الحافظ سراج الدين أبي
سعيد محمد بن حامد بن أحمد . . وابن أبي طاهر حامد وأخوه أبو سعيد
أحمد بن حامد . . ومحمد بن سفيان بن إبراهيم بن منده ، والفقيه أبو الحسن
علي بن عمر بن محمد . . الخ . . إلى قوله : ومحمد بن محمد بن حبان
البحال في رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . اهـ .

٢ - سماع سنة ٥٤٧ هـ :

سمع الجزء أجمع وكذلك الجزء الذي قبله والذي بعده من الإمام
المفتي أبي عبد الله الحسن بن أبي الطيب الرستمي بسماعه عن أبي عمرو

ابن منده حفظه الله صاحبه الشيخ المفتى العالم أبوبكر محمد بن حامد بن أبي الفتح . . والشيخ الإمام أبوبكر بن أبي سعد البروثاني ، والشيخ أبو الفرج ثابت بن محمد بن أبي الفرج . . بقراءته عليه بعضا من أوله والباقي إلى آخر الجزء الثالث بقراءة أبي الحسن بن أبي الرجاء بن أبي الفرج الثقفي عليه واصل السماع حاضر، وأحمد بن علي بن عدة التاجر، وأحمد ابن أبي طاهر بن علي . . وأبو طاهر بن سعيد بن علي شاذان وابنه أبو سعد محمد . . ومحمد بن عبد الملك الخرقى وأبو الحسن بن الحسين بن الحسن بن محمد النظرى وابن أخته أبو الغنائم نصر بن أحمد وختن الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي سعيد الحربى يعرف بالخطاط ، والخط له ، وصح لهم ذلك بمجلس واحد في يوم الثلاثاء الثامن من صفر سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمسجد فالجه ، نفعمهم الله به .

٣ - سماع سنة ٥٥١ هـ :

سمع الجزء كله من أبي الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الباغبان شفاه الله بسماعه عن أبي عمرو عن والده - رحمهما الله - بقراءة الإمام الحافظ أبي الخير عبد الرحيم بن أحمد بن موسى صاحبه الشيخ السديد أبوبكر محمد بن حامد بن أبي الفتح بن منصور الأحذب البزار ، وابن أخيه محمد بن أبي محمد بن حامد ومعهما مسعود بن عبد الله الجش والمشايع الإمام تاج الإسلام أبو الفتح سعيد بن محمد بن اسماعيل بن عبد الرحمن اليعقوبى وابناه سعد الدين بن المحاسن هبة الله والشهاب أبو المعالى المظفر وأصحابه ومحمود بن أبي طاهر الكرمانى . . ابن أبي منصور المقرئ ومحمد بن علي بن سليمان المالينى عمر ، وأبو الحسن بن أبي سعد النهاوندى وتلميذه أبو الحسن بن أبي سعد البوشنجى والأصيل كريم الدين أبو اسحاق إبراهيم بن سفيان بن منده وابنه أبو محمد بن سفيان

وأخوه أبو عمرو بن سفيان وابناه أبو عبد الله محمد وأبو نصر عبد الجبار .
حضر واحد من أبناء ثلاث سنين ونصف عن قول والده . وأبو الفتح محمد
ابن محمود بن أبي القاسم . . وأبو بكر بن محمود بن أحمد بن سعد البقال
وابنه محمود وعثمان بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد الكوجاني التاجر . .
إلى أن قال : وصح سماعهم في آخر جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين
 وخمسة في دار الشيخ - وصلى الله على محمد وآله وسلم - .

وفي آخر الجزء الثاني سماعات نذكر بعضها :

بلغ من أول الجزء سماعا من الشيخ الإمام الحافظ أبي سعد أحمد بن
محمد بن أحمد البغدادى من أول الجزء إلى آخر الجزء الأول بأجزاء ابن
منده بسماعه من أبي عمرو بن منده عن والده ، ومن هناك إلى آخر الجزء
بإجازته عنه بقراءة الشيخ أبي القاسم . . الخ . في شهر سنة ثمان وثلاثين
 وخمسة . اهـ .

ويليه سماع :

قال : سمع جميع هذا الكتاب وهو كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله
عز وجل وصفاته للإمام أبي عبد الله بن منده وهو سبعة أجزاء من هذه
النسخة على الشيخة المعمرة المسندة الصالحة أم عبد الله زينب^(١) بنت
الشيخ الإمام كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد

(١) مسند الشام أم عبد الله زينب بنت كمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية المرأة الصالحة
العدراء ، روت عن محمد بن الهادي وجماعة . وبالإجازة عن عجيبة الباقدرية ، وابن الخير وعدد
كثير ، وتفردت وروت كتباً كباراً ، توفيت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مائة عن أربع
وتسعين سنة . العبر ٦ / ٢١٣ .

المقدسى باجازتها من الشیخة ضوء الصباح عجیبة بنت أبی بكر (١) محمد ابن أبی غالب . . باجازتها من المشایخ . . الإمام أبی عبد الله الحسن بن العباس الرستمی وأبى الخیر محمد بن أحمد . . وأبى الفرج مسعود بن الحسن الثقفى سماعهم من أبى عمرو عبد الوهاب بن الإمام أبی عبد الله ابن منده سماعه من أبیه - رضی الله عنه - بقراءة كاتب السماع عبد الله بن أحمد . . ابنه أحمد وعمر وصاحب هذه النسخة الشیخ العالم الصدر الکبیر المحدث الفاضل الأوحد الأكمل الزاهد العابد . . محمود بن خلیفة بن محمد بن خلف . . أعزه الله ونفع به . وهو سماع طویل لم نتمكن من قراءته كله ولم یظهر التأریخ فیہ ، ولكنه یمتاز بذكر اسم الكتاب وبالنص على عدد أجزاء النسخة هذه وهو سبعة أجزاء . كما یلیه ورقة كاملة وصفحة كلها سماعات .

سماع الجزء الثالث :

سماع سنة ٥٣٥ هـ : سمع الجزء كله على الوجه من الشیخ الصابر أبی بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الباغیان بقراءة الشیخ الإمام الحافظ سراج الدین أبی سعید محمد بن حامد بن حمدس وابنه أبوطاهر حامد وأخوه أبورشید أحمد بن حامد وأبوزکریا یحیی بن الشیخ الأصبیل أبی محمد سفیان بن إبراهیم بن منده وأبو الحسن علی بن عمر بن محمد بن المنقولى الکوجی وأبو منصور علی بن محمد بن حجر بن هارون الصوفی الهمدانى والفقیه عثمان بن عمر الحلاوى الکرجى وابن أخیهما أبو القاسم

(١) عجیبة بنت الحافظ محمد بن أبی غالب الباقدارى البغدادیة ، سمعت من عبد الحق وعبد الله بن منصور الموصلى ، وهى آخر من روى بالاجازة عن مسعود والرستمی وجماعة ، توفیت فی صفر سنة سبع وأربعین وستائة ، عن ثلاث وتسعين سنة ، ولها مشیخة فی عشرة أجزاء . العبر ١٩٤/٥ .

ابن الحسن وأحمد بن عمر بن أبى بكر حالويه وابنه أبو عبد الله محمد وأبناء أخيه مسعود ومحمد أبناء أبى بكر بن عمر حالويه وسبط أخيه محمد بن محمد ابن أبى نصر يعرف بفولاذ ومحمد بن محمد بن حسان البقال فى رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

ويليه سماع فى صفر سنة ٥٤٧ هـ .

ويليه سماع طويل لم يظهر تأريخه .

* * وفى آخر الجزء الثالث :

١ - سماع مؤرخ فى شعبان سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

٢ - ويليه سماع مؤرخ سنة ثمان وخمسمائة .

٣ - وسماع لم يظهر تأريخه .

* * الجزء الرابع :

١ - سماع فى رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

٢ - سماع فى آخر جمادى الآخرة سنة ٥٥١ هـ .

٣ - وسماع لم يظهر تأريخه .

٤ - وفى آخره سماع فى شعبان سنة ٥٢٥ هـ .

٥ - وسماع فى المحرم سنة ٥٣٨ هـ .

* * الجزء الخامس :

١ - سماع فى رمضان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة هـ .

٢ - سماع فى المحرم وصفر سنة ٥٣٨ هـ .

٣ - سماع يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى الحجة سنة ٥٧٥ هـ .

٤ - وفى آخره سماع سنة ٥٢٥ هـ .

٥ - وسماع سنة ٥٥١ هـ .

**** الجزء السادس :**

- ١ - سماع مؤرخ فى رمضان سنة ٥٣٥هـ .
 - ٢ - سماع فى شهور سنة ٥٣٨هـ .
 - ٣ - سماع فى ذى الحجة سنة ٥٧٥هـ .
 - ٤ - سماع لم يظهر تاريخه .
- وفى آخره سماع فى شعبان سنة ٥٣٥هـ .

**** سماع آخر الجزء السابع - وهو آخر الكتاب :**

- ١ - سماع لكتاب التوحيد كله مؤرخ فى صفر سنة ٥١٩هـ .
- ٢ - وسماع مؤرخ بيوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ٥٣٧هـ .
- ٣ - وسماع للكتاب كله فى نسخة بنى منده فى جمادى الآخرة سنة ٥٣٧هـ .
- ٤ - وآخر سماع فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وستمائة .

جاء فى آخر الكتاب قول الناسخ :

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين حق حمده أولا وآخرا - وصلى
الله على محمد النبى وآله أجمعين وسلم كثيرا - اهـ . فرغ منه صاحبه عتيق
ابن محمد يوم الأربعاء وقت صلاة ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة
- رحم الله من دعا لكاتبه - .

مَنْهَجُ الْمُؤَلِّفِ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ

لقد سلك ابن منده في تأليفه لكتاب التوحيد مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى متونها مقتدياً في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان، ذلك أن طريقتهم في التأليف لاثبات العقيدة الإسلامية وشرائع الدين، أو الرد على الشبه الواردة عليها كانت بايراد النصوص الشرعية من الكتاب الكريم، ومن صحيح السنة المطهرة وآثار الصحابة والتابعين بأسانيدها تحت عناوين دالة على المعنى المراد من إيراد ذلك النص، كما يذكرون الأقوال المخالفة لما كان عليه السلف ثم يوردون النصوص التي فيها بيان الحجة على المخالف والرد عليه، وقد نهج ابن منده في هذا الكتاب هذا المنهج.

مَصَادِرُ الْكِتَابِ

ابن منده ولد وعاش في القرن الرابع الهجرى (٣١٠-٣٩٥هـ) وذلك بعد انتهاء عصر التدوين ، وهذا يبين إنه لا يمكن أن يستقل بحديث عن طريقه إلا ما ندر وإنما يرجع في ذلك إلى من سبقه ، غير انه لا زال العلماء في هذا العصر يلتزمون الرواية بالسند فتجدهم يعتنون بهذا الأمر أشد العناية فيرحلون في طلب سماع الحديث ويحاولون الحصول على الاسناد العالى .

وابن منده واحد من هؤلاء العلماء ، فقد اجتهد في الحصول على سماع الحديث بواسطة شيوخه الذين أخذ عنهم ، فقد كان من أكثر علماء عصره شيوخا وأوسعهم رحلة ، ولذلك فهو يروى الحديث بسنده الخاص على طريقة المحدثين .

وقد كانت طريقة المصنف في تأليف هذا الكتاب الاعتماد على النصوص من الكتاب والسنة أولا ، ثم الآثار ، وأقوال السلف ثانيا .

وقد أكثر من الآيات القرآنية في القسم الأول وهو بحث الوجدانية في الخلق وهي أدلة توحيد الربوبية ، ولم يخل فصل من ذكر الأحاديث المفسرة لتلك الآيات ، كما أكثر من الأحاديث والآيات في الأقسام الأخرى وهي بحث الأسماء الحسنى ، والصفات ، ولما تطرق للتصريح بذكر توحيد الربوبية في آخر الكتاب - تحت فصل - نزول الرب لفصل القضاء استدل على ذلك بآيات قرآنية وأقوال بعض السلف .

ولما كانت دراسة اسناد ابن منده للحكم على الحديث من طريقه أمر صعب، وذلك لأمرين :

أولهما : أن الحصول على تراجم شيوخ ابن منده وشيوخ شيوخه أى الذين هم دون رجال الستة أمر يصعب على الباحث يعرف ذلك أهل الصنعة .

ثانيهما : أن كثيرا ممن توجد تراجمهم قد لا يذكرون بجرح ولا تعديل ولو فرض أنه وجد فى أحدهم جرح ، فإذا كان الحديث فى الصحيحين أو فى أحدهما مثلا فلا يضر متن الحديث ما قيل فيمن هو دون سند الصحيحين ، وكذلك إذا كان الحديث فى السنن أو غيرها فالاعتماد على أسانيدها لا على مشايخه .

لذلك فقد اجتهدت قدر الاستطاعة فى تخريج الأحاديث التى أوردها المصنف فى هذا الكتاب للحصول على مصادر هذه الأحاديث مستعينا فى ذلك بمعاجم الأحاديث كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، ومفتاح كنوز السنة ، والأطراف ، وقد وصلت بعون الله وتوفيقه إلى عزو تلك الأحاديث والأثار إلى مصادرهما كما يرى القارئ ذلك فى الحاشية مع دراسة أسانيد ابن منده عند الحاجة والحكم عليها إن أمكن .

وبذلك تبينت مصادر الكتاب ، فمعظم أحاديثه فى الصحيحين وفى الأمهات الأخرى .

عَمَلِي فِي الْكِتَابِ

لقد مضى على تأليف هذا الكتاب ألف سنة وزيادة من غير أن ينشر رغم أهميته العلمية لاسيما وقد نصّ مؤلفه على جانب مهم من جوانب العقيدة ألا وهو التوحيد بأنواعه الثلاثة، وقد بحثه المؤلف بحثا مستفيضا وأورد الأدلة الكثيرة والمتنوعة من الكتاب والسنة وآثار السلف على ذلك.

إن أهمية الكتاب كون مؤلفه عاش في القرن الرابع الهجري وقد تعرض لهذا الموضوع المهم بالتفصيل، إلا أنه لم يتيسر لأحد القيام بنشر هذا الكتاب، وقد ترددت كثيرا في الاقدام على العمل فيه، وأخيرا استخرت الله وعزمت على القيام بتحقيقه، ومما شجعني على ذلك اني قد قمت بتحقيق كتاب «الإيمان» للمؤلف، وهو يقع في ثلاثة مجلدات، ثم كتاب «الرد على الجهمية» له أيضا، وبتشجيع من يهمة أمر نشر كتب السلف، لذلك كله رأيت أنه يلزمني القيام بنشره لتجربتي السابقة في تحقيق كتب المؤلف.

أما عمل التحقيق فألخصه في الفقرات التالية :

- ١ - تحقيق اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.
- ٢ - تحقيق نص الكتاب على قدر الامكان في أن يخرج على أقرب صورة تركه عليها المؤلف.
- ٣ - تحرير العزو للآراء التي ذكرها المؤلف وذلك بارجاعها إلى مصادرها.

- ٤ - بيان مواضع الآيات من السور.
- ٥ - تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب ، والحكم على أسانيد ابن منده إن أمكن وعلى الأحاديث الموجودة في غير الصحيحين .
- ٦ - تخريج الآثار .
- ٧ - شرح المفردات الغربية .
- ٨ - التعليق على فصول الكتاب بما يقتضيه المقام من الناحية العقدية ، وقد أطلت التعليق على كثير من الفصول لمناسبات اقتضت ذلك .
- ٩ - وضعت أرقاما للأحاديث ، رقما خاصا بأحاديث كل فصل من فصول الكتاب ، ورقما عاما متسلسلا من أول الكتاب إلى آخره ، وذلك لتمييز الأحاديث الواردة في الكتاب وليسهل الرجوع إليها عند الإحالة .
- ١٠ - جعلت أرقاما لفصول كل جزء على حدة .
- ١١ - أشرت لبدء صفحات المخطوطة ليسهل الرجوع إليها .
- ١٢ - عرفت بالطوائف والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب .
- ١٣ - الأعلام :

١ - عرفت بشيوخ ابن منده الذين روى عنهم في كتاب التوحيد - من وجدت منهم - وقد ذكرت الترجمة في المكان الأول الذي يرد فيه ذكر الشيخ ثم أحيل إليه عند الحاجة .

٢ - ترجمت لعدد من رجال الحديث الذين ورد ذكرهم في أسانيد الأحاديث عند الحاجة .

٣ - ختمت الكتاب بالفهارس العلمية الضرورية

وهي :

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث .
فهرس الفرق .

فهرس الأعلام .
أ - شيوخ ابن منده .

ب - فهرس الأعلام المترجم لهم غير شيوخ ابن
منده .
فهرس الموضوعات .

الرُّمُوزُ وَالْمَصْطَلَحَاتُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي الْكِتَابِ

خ : للبخارى .

م : لمسلم .

ت : للترمذى .

د : لأبى داود .

س : للنسائى .

جه : لابن ماجه .

حم : أحمد فى المسند .

ت : تأريخ بغداد .

تهذيب : لتهذيب التهذيب .

تقريب : تقريب التهذيب .

وما عدا هذه الكتب اصرح باسمه كاملا .



بسم الله الرحمن الرحيم

١/١

— الحمد لله وحده وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً —

١ - ذَكَرْنَا وَصَفَانَهُ عَزَّوَجَلَّ بِه نَفْسَهُ وَدَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
عَزَّوَجَلَّ وَأَنَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

(١-١) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن^(١) قال : حدثنا أحمد بن يوسف السلمى^(٢) قال : أخبرنا عبد الرزاق^(٣) (و) أخبرنا معمر بن راشد^(٤)

(١) محمد بن الحسين بن الحسن القطان النيسابورى مسند نيسابور. روى عن أحمد بن يوسف السلمى والكلبار، وهو الشيخ الصالح.
العبر ٢٣١/٢، تذكرة الحفاظ ٨٤٢/٢، شذرات الذهب ٣٣٢/٢، الوافى بالوفيات ٣٧٢/٢.

(٢) أحمد بن يوسف السلمى الامام الخافى محدث نيسابور، متفق على عدالته وجلالته، عاش اثنتين وثمانين سنة، توفى سنة أربع وستين ومائتين.
تذكرة الحفاظ ٥٦٥/٢، العبر ٢٨/٢، وقال : أكثر عن عبد الرزاق وطبقته.

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ الكبير أبوبكر الحميرى مولا هم الصنعانى صاحب التصانيف، ثقة، نعموا عليه التشيع، مات سنة احدى عشرة ومائتين. تذكرة الحفاظ ٣٦٤/١، البداية والنهاية ٢٦٥/١٠، تهذيب ٣١٠/٦، شذرات الذهب ٢٧/٢، ميزان الاعتدال ٦٠٩/٦، النجوم الزاهرة ٢٠٢/٢، طبقات الحفاظ ص ١٤٥.

(٤) معمر بن راشد الأزدى الحدانى مولا هم أبوعروة بن أبى البصرى، ثقة، مأمون، مات سنة ثلاث أو أربع وخسين. تهذيب ٢٤٣/١٠.

عن همام بن منبه^(١) قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : قال الله عز وجل : كذبني عبدى ولم يكن له أن يكذبني ، وشتمنى عبدى ولم يكن له ذلك . أما تكذبيه إياى أن يقول : لن يعيدنى كما بدأنى وأما شتمه إياى فقلوه : اتخذ الله ولدا وأنا الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد^(٢) .

(٢-٢) أخبرنا أبو عمرو وأحمد بن محمد بن إبراهيم^(٣) ، قال : حدثنا أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر^(٤) ، قال : حدثنا أبو اليمان الحكم ابن نافع^(٥) ، حدثنا أحمد بن شعيب بن أبى حمزة^(٦) ، عن أبى الزناد^(٧) ،

(١) همام بن منبه بن كامل الصنعانى ، تابعى ثقة ، مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين . تهذيب ٦٧/١١ .

(٢) اسناده صحيح . وأخرجه البخارى فى التفسير / سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ / فتح البارى ٧٣٩/٨ ، ح ٤٩٧٥ من طريق اسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق به .
(٣) أبو عمرو وأحمد بن محمد بن إبراهيم المدينى الأصبهانى ، يعرف بابن ملك ، سمع محمد ابن مسلم بن واره وحدث عنه ابن منده ، كان عالما أديبا فاضلا حسن المعرفة بالحديث ، توفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ٧٤/١٠ ، روى عن أبى حاتم . العبر ٢٣٣/٢ .

(٤) أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلى الرازى ، كان أحد الأئمة الحفاظ الاثبات ، ثقة ، مات سنة سبع وسبعين مائتين . تاريخ بغداد ٧٣/٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢ ، شذرات الذهب ١٧١/٢ ، طبقات الحفاظ ص ٢٥٥ ، العبر ٥٨/٢ ، وقال : حافظ المشرق .
(٥) أبو اليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي الحافظ أحد الأئمة ، ثقة نبيل ، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين . تذكرة الحفاظ ٤١٢/١ ، طبقات الحفاظ ص ١٦٤ .

(٦) شعيب بن أبى حمزة الإمام الحجة المتقن ، أبو بشر الأموي مولا هم الحمصي ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . تذكرة الحفاظ ٣٢١/١ ، طبقات الحفاظ ص ٩٤ ، شذرات الذهب ٢٥٧/١ .
(٧) هو عبد الرحمن بن ذكوان القرشى ، المعروف بأبى الزناد ، ثقة ، فقيه ، من الخامسة ، مات سنة ثلاثين ، وقيل بعدها . تقريب ٤١٣/١ .

عن الأعرج^(١)، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله - ﷺ -: قال (الله) تعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون على من أعادته، (وأما شتمه) إياي فقلوه: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد^(٢).

رواه (البخارى) عن أبي مغيرة^(٣). ورواه شعيب بن أبي حمزة عن ابن أبي حسين^(٤) عن نافع بن جبير^(٥) عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) أن الله عز وجل... اهـ.

(٣-٣) أخبرنا خيثمة بن سليمان^(٦)، ومحمد بن سعيد^(٧) قالا:

(١) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج - أبوداود المدنى، ثقة، ثبت، عالم، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة. تقريب ٥٠١/١.

(٢) اسناده صحيح. وأخرجه البخارى فى التفسير / سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ / فتح البارى ٧٣٩/٨، ح ٤٩٧٤ من طريق أبى اليان به.

(٣) أبوالمغيرة هو عبد القدوس بن الحجاج الخولانى، الحمصى، ثقة، من التاسعة، مات سنة اثنتى عشرة، روى عنه البخارى. تقريب ٥١٥/١، تهذيب ٣٦٩/٦.

(٤) ابن أبى حسين هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل المكى النوفلى، ثقة، عالم بالمناسك، روى عن نافع بن جبير، وعنه شعيب بن أبى حمزة، من الخامسة. تقريب ٤٢٨/١، تهذيب ٢٩٣/٥.

(٥) نافع بن جبير بن مطعم النوفلى، أبو محمد، المدنى، ثقة، فاضل، من الثانية، روى عن ابن عباس. تقريب ٢٩٥/٢، تهذيب ٤٠٤/١٠.

(٦) خيثمة بن سليمان بن حيدرة الامام محدث الشام، أبو الحسن الطرابلسى، أحد الثقات الرحالة، ولد سنة خمسين ومائتين، وتوفى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، قال ابن مندة: كتبت عنه بأطرابلس ألف جزء. تذكرة الحفاظ ٨٥٨/٣، سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٠، شذرات الذهب ٣٣٤/٢.

(٧) هو ابن اسحاق العسال. أخبار أصبهان ٢/٢٦٦ لم يذكر عنه شيئا.

حدثنا يحيى بن جعفر^(١) (بن الزبرقان عن زيد بن)^(٢) الحباب عن مالك بن مغول^(٣) عن عبد الله بن بريدة الأسلمي^(٤) عن أبيه^(٥) أن النبي - ﷺ - (. . .) باب المسجد فأخذ بيدي فأدخلني المسجد، فإذا رجل يصلى ويدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأنى أشهد ألا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال رسول الله - ﷺ -: والذى نفسى بيده لقد سأل ربه باسمه الأ (عظم الذى) إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب - قال زيد بن الحباب فحدثت زهير بن معاوية بعد ذلك (بسنتين فقال: حدثني أبو اسحاق)^(*) عن مالك بن مغول بهذا الحديث بعينه. قال زيد بن الحباب وأخبرنا سفيان الثوري به عن مالك بن

(١) يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزبرقان بن أبى طالب - قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبى، وسألت أبى عنه فقال: محله الصدق، وقال أبو عبيد محمد بن على الأجرى: خط أبو داود سليمان بن الأشعث على حديث يحيى بن أبى طالب، وعن موسى بن هارون قوله «أشهد على يحيى بن أبى طالب أنه يكذب، وسئل أبو بكر البرقاني عن يحيى بن أبى طالب والشارح بن أبى أسامة، ففضل يحيى وقال: أمرنى أبو الحسن الدارقطنى أن اخرج عنهما فى الصحيح. تأريخ بغداد ١٣/ ٢٢٠-٢٢١، وفى ترجمة زيد بن الحباب، آخر من روى عنه يحيى بن أبى طالب بن الزبرقان. تهذيب الكمال ١/ ٤٥١.

(٢) (مابين القوسين غير واضح فى الأصل)، وفى اسناد الترمذى: زيد بن الحباب عن مالك بن مغول. وفى ترجمة زيد بن الحباب قال ابن حجر: وآخر من روى عنه: يحيى بن أبى طالب بن الزبرقان وهو يحيى بن جعفر. تهذيب ٣/ ٤٠٣.

(٣) مالك بن مغول بن عاصم بن غزية، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، ثبت، مات سنة تسع وخمسين ومائة. تقريب ٢/ ٢٢٦، تهذيب ١٠/ ٢٢.

(٤) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضى مرو، ثقة، مات سنة خمس عشرة ومائة. تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٢، تهذيب ٧/ ١٥٧، شذرات الذهب ١/ ١٥١.

(٥) هو بريدة بن الحصيب الأسلمي، صحابي أسلم قبل بدر، مات سنة ثلاث وستين. تقريب ١/ ٩٦.

(*) (ما ذكر بين قوسين فمن رواية الترمذى).

مغول^(١). رواه ابن عيينه وغير واحد عن مالك بن مغول. وأخرجه النسائي^(٢)، ورواه اسماعيل بن مسلم البصرى، وعبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن بن بريدة عن أبيه - وقال عبد الوارث عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن حنظلة بن على بن محجن بن الأدرع.

(٤-٤) أخبرنا حمزة بن محمد بن العباس الكنانى^(٣)، قال: حدثنا عباس بن محمد البصرى^(٤) نزل مصر، قال: حدثنا أحمد بن صالح^(٥)، قال: حدثنا عبد الله بن وهب^(٦)، قال: حدثنا عمرو^(٧) (بن

(١) أخرجه الترمذى فى باب ما جاء فى جامع الدعوات . . . تحفة الأحوذى ٤٤٥/٩، ح ٣٥٤٢ من طريق جعفر بن محمد بن عمران الثعلبى الكوفى، أخبرنا زيد بن الحباب به. وقال هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه فى الأدب/ باب اسم الله الأعظم / ١٢٦٧/٢، ح ٣٨٥٧ من طريق على بن محمد، ثنا وكيع عن مالك بن مغول به.

(٢) فى السهو ٤٥/٣ من طريق عمرو بن يزيد أبو بريد البصرى عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حسين المعلم.

(٣) حمزة بن محمد العباس الكنانى الحافظ الزاهد العالم، كان حافظاً ثباتاً، قال الدارقطنى: متفق على تقدمه فى الحديث، مات فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، سير أعلام النبلاء ١٨٩/١٠، تذكرة الحفاظ ٩٣٢/٣، دول الاسلام ٢٢١/١، شذرات الذهب ٢٣/٣.

(٤) عباس بن محمد بن العباس البصرى، روى عن أحمد بن صالح المصرى. تهذيب الكمال ٢٤/١.

(٥) أحمد بن صالح المصرى، أبو جعفر الحافظ المعروف بابن الطبرى، ثقة، حافظ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، روى عنه عباس بن محمد بن العباس البصرى. تقريب ١٦/١، تهذيب ٣٩/١، تهذيب الكمال ٢٤/١.

(٦) عبد الله بن وهب الإمام الحافظ أبو محمد الفهرى، مولاهم المصرى الفقيه أحد الاعلام، كان حافظاً ثقة حجة مجتهداً لا يقلد أحداً ذا تعبد وتزهد، مات سنة سبع وتسعين ومائة. طبقات الحفاظ ص ١٢٦، تذكرة الحفاظ ٣٠٤/١، تهذيب ٧١/٦، الديباج المذهب ٤١٣/١، ميزان الاعتدال ٥٢١/٢، شذرات الذهب ٣٤٧/١.

(٧) عمرو. هو ابن الحارث بن يعقوب الأنصارى مولاهم المصرى أبو أيوب، ثقة، فقيه، حافظ، من السابعة، مات قديماً قبل الخمسين ومائة. روى عن سعيد بن أبى هلال. تقريب ٦٧/٢، تهذيب ١٤/٨.

(الحا) رث عن سعيد بن أبي هلال^(١)، إن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن^(٢) حدثه عن (أمه)^(٣) عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله (ﷺ) بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فيختم في صلاته بـ (قل هو الله)^(٤) أحد. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (ﷺ) - فقال: (سلوه لأى شىء) يصنع ذلك؟ (فسألوه) فقال: لأنها صفة الرحمن عز وجل فأنا أحب (أن أقرأ بها) قال: أخبروه أن الله عز وجل يحبه. هذا حديث مجمع^(٥) (على صحته)، الذى بعث على السرية كلثوم بن زهدم^(٦)، قاله (عبد الله بن عباس) - رضى الله عنها -.

(١) سعيد بن أبي هلال الليثى مولاهم أبو العلاء المصرى، صدوق، قال ابن حجر لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفا، إلا أن الساجى حكى عن أحمد أنه اختلط، من السادسة، مات بعد الثلاثين، وقيل قبل الخمسين سنة، وفي التهذيب: وثقه ابن سعد والعجلي، وابن خزيمة، والدارقطنى، والبيهقى، والخطيب، وابن عبد البر وغيرهم، تقريب ٣٠٧/١، تهذيب ٩٤/٤. (٢) أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن بن حارثة الأنصارى، أبو الرجال - بكسر الراء وتخفيف الجيم - مشهور بهذه الكنية، وهى لقبه، وكنيته فى الأصل أبو عبد الرحمن، ثقة، من الخامسة. تقريب ١٨٣/٢.

(٣) ما بين القوسين من البخارى. وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، المدنية، أكثرت عن عائشة، وهى ثقة، من الثالثة، ماتت قبل المائة، ويقال بعدها. تقريب ٦٠٧/٢.

(٤) ما ذكر بين قوسين فمن البخارى.

(٥) اسناده صحيح، وأخرجه البخارى فى التوحيد/ باب ما جاء فى دعاء النبى - (ﷺ) - أمته إلى توحيد الله/ فتح البارى ٣٤٧/١٣، ح ٧٣٧٥ من طريق أحمد بن صالح به.

(٦) قوله (كلثوم بن زهدم) - بالزاي والهاء والبدال والميم -، قال ابن حجر فى فتح البارى ٢٥٨/٢: هو (كلثوم بن الهدم) رواه ابن منده فى كتاب التوحيد من طريق أبى صالح عن ابن عباس، كذا أورده بعضهم. والهدم - بكسر الهاء وسكون الدال - وهو من بنى عمرو بن عوف سكان قباء، وعليه نزل النبى - (ﷺ) - حين قدم فى الهجرة إلى قباء، قيل وفى تعيين المبهمة به هنا نظر، لأن =

(٥-٥) أخبرنا خيثمة قال: حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان، قال حدثنا اسماعيل بن أبي أويس^(١)، قال: حدثني أخى أبو بكر^(٢) عن سليمان بن بلال^(٣) عن عبيد الله بن عمر^(٤)، عن ثابت البناني^(٥) عن أنس ابن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال لرجل: لم تلزم قراءة «قل هو الله أحد» فقال: إني أحبها، قال: فإن بحبها أدخلك الله عز وجل الجنة^(٦).

حديث عائشة في هذه القصة انه كان أمير سرية، وكلشوم بن الهدم مات في أوائل ما قدم النبي - ﷺ - المدينة فيما ذكره الطبري وغيره من أصحاب المغازي وذلك قبل ان يبعث السرايا. قال: ثم رأيت بخط بعض من تكلم على رجال العمدة: كلشوم بن زهدم، وعزاه لابن منده، قال أى ابن حجر: لكن رأيت أنا بخط الحافظ رشيد الدين العطار في حواشى مبهات الخطيب نقلا عن صفة التصوف لابن طاهر: أخبرنا عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن منده عن أبيه فسماه كرز بن زهدم. فالله أعلم. اهـ.

قلت: وتسميته: كلشوم بن زهدم - بالزاي والهاء والذال والميم - هى الرواية الموجودة هنا في كتاب التوحيد، وقد رمز الناسخ عليه بعلامة صح.

(١) اسماعيل بن أبي أويس بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله، صدوق، أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين. تقريب ٧١/١.

(٢) أبو بكر هو عبد الحميد بن عبد الله بن أويس الأصبحي بن أبي أويس، مشهور بكنيته كأبيه، ثقة، من التاسعة، مات سنة اثنتين ومائتين. تقريب ٤٦٨/١.

(٣) سليمان بن بلال التيمي مولا هم أبو محمد وأبو أيوب المدني، ثقة، من الثامنة. تقريب ٣٢٢/١.

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني، ثقة، ثبت، من الخامسة، مات سنة بضع وأربعين. تقريب ٥٣٧/١.

(٥) ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري، ثقة، عابد، من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين. تقريب ١١٥/١.

(٦) إسناده حسن، ويشهد لصحته الحديث التالي.

رواه الدراوردي عن عبيد الله بن عمر، ورواه مبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك نحوه^(١).

(٦-٦) أخبرنا عبد الله بن حمزة البغدادي، قال أخبرنا: اسحاق القاضي، وأخبرنا عبد الله بن محمد بن نصر بن الصقر قال حدثنا أبو اسحاق إبراهيم بن وأخبرنا علي بن محمد المطين، قال: أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محرز بن سلمة، قال: حدثنا عبد العزيز عن عبيد الله بن عمر، عن ثابت البناني عن أنس (كان رجل من الأنصار) يؤمهم (في مسجد) قباء، وكان (كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة، مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلّمه أصحابه فقالوا إنك تفتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإذا أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى) فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتكم أن أوكم بذلك فعلت. وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي - ﷺ - أخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة (في كل ركعة) فقال

(١) أخرجه الدارمي / في فضائل القرآن / باب في فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ ٢ / ٢٣٠

ح ٣٤٣٨ من طريق يزيد بن هارون، أنبا مبارك بن فضالة ثنا ثابت.
ومبارك بن فضالة صدوق يدلّس، ويسوي كما في التقريب ٢ / ٢٢٧، ولكنه هنا صرح بالتحديث عن ثابت كما ترى.

تنبيه: ما ورد بين القوسين في المتن فهو من رواية البخاري، وسوف أورد لفظه عن الترمذي في آخر الحديث لاخرجه إياه عن طريق البخاري. أما البخاري فقد أخرجه معلقاً عن عبيد الله بن عمر كما يأتي.

حبها يارسول الله ، فقال رسول الله - ﷺ - : حبها أدخلك الجنة (١) .
(رواه) ابن أبي أويس ، ومصعب الزبيري ، عن الدراوردي .

(٧-٧) أخبرنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا صالح
ابن محمد بن أبي الأشرس ومصعب بن عبد الله الزبيري قال :
حدثنا عبد العزيز بن محمد عن فقال حدثني ثابت البناني عن
أنس بن مالك أن رجلا قل هو الله أحد ، فقال له النبي
- ﷺ - : ما قال حبها ، قال حبك إياها أدخلك الجنة . رواه
مبارك « بن فضاله » .

(١) أخرجه البخارى فى الأذان / باب الجمع بين السورتين فى الركعة / ١ / ١٨٨ معلقا حيث
قال : وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس فذكره .
قال ابن حجر فى شرح الحديث فتح البارى ٢ / ٢٥٧ قوله : « وقال عبيد الله بن عمر » أى ابن
حفص بن عاصم ، وحديثه هذا وصله الترمذى والبخارى عن اسماعيل بن أبى أويس ،
والبيهقى من رواية محرز بن سلمة كلاهما عن عبد العزيز الدراوردي عنه بطوله ، قال الترمذى :
حسن صحيح غريب من حديث عبيد الله عن ثابت ، قال : وقد روى مبارك بن فضاله عن ثابت
فذكر طرفا من آخره ، وذكر الطبرانى فى الأوسط ان الدراوردي تفرد به عن عبيد الله .
وذكر الدارقطنى فى العلل ان حماد بن سلمة خالف عبيد الله فى اسناده فرواه عن ثابت عن
حبيب بن سبيعة مرسلا ، قال : وهو أشبه بالصواب ، وإنما رجحه لأن حماد بن سلمة مقدم فى حديث
ثابت .

قال ابن حجر : لكن عبيد الله بن عمر حافظ حجة ، وقد وافقه مبارك فى اسناده فيحتمل ان
يكون لثابت فيه شيخان . اهـ .

وما أشار إليه ابن حجر من أن الترمذى وصله عن البخارى هو الآتى :

فقد أخرجه الترمذى فى باب ما جاء فى سورة الاخلاص / تحفة الأحوذى ٨ / ٢١٢ من طريق

محمد بن اسماعيل - وهو البخارى - أخبرنا اسماعيل بن أبى أويس حدثني عبد العزيز بن محمد عن =

= عبيد الله بن عمر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك ولفظه : قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة يقرأ بها افتتح « بقل هو الله أحد » حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلّمه أصحابه فقالوا : انك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بسورة أخرى ، قال : ما أنا بتاركها ان أحببتكم أن تؤمكم بها فعلت وان كرهتم تركتكم ، وكانوا يرونه أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبي ﷺ - أخبروه الخبر ، فقال : يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك ، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة . فقال : يا رسول الله ! إني أحبها ، فقال رسول الله ﷺ - : ان حبها أدخلك الجنة . ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن عمر عن ثابت البناني . قال : وقد روى مبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن أنس : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! اني أحب هذه السورة ، « قل هو الله أحد » قال : ان حبك إياها يدخلك الجنة . اهـ .
وهذه هي رواية مبارك بن فضالة التي رواها المصنف رقم (٧) كما أخرجها الدارمي وتقدمت برقم (٥) .

التعليق :

افتتح المصنف - رحمه الله - كتابه «التوحيد» بهذا الفصل الذى جعل سورة الاخلاص عنوانا له وهو قوله :

ذكر ما وصف الله به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وإنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

ثم أورد تحت هذه الترجمة الروايات الواردة فى فضل سورة الاخلاص ، ليبين بذلك أن أول مطلوب من العباد نحو خالقهم وبارئهم - توحيده بالعبادة ، فهو الله الإله المعبود بحق الذى لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الأحد الذى لا شريك له فى خلقه فيجب أن يكون هو المعبود وحده الذى لا شريك له فى عبادته .

وهو الصمد الذى تصمد إليه جميع المخلوقات فى حوائجهم ، وهو المنزه عن الولد والوالد والصاحبة ، وهو الذى لا مثل له ولا شبيه فى ذاته ولا فى صفاته ، فلم يكن له كفوا أحد .

إن جعل المصنف هذه السورة العظيمة التى تعدل ثلث القرآن كما ثبت عن المصطفى - ﷺ - عنوانا لأول باب من كتاب «التوحيد» ، يدل على فقه المؤلف فى هذا الباب ، وهو توحيد الله تعالى فى عبادته ، وربوبيته وفى أسمائه وصفاته الذى زلت فيه أقدام كثير من الناس ذلك أن العبادة قائمة على توحيد المعبود وتنزيهه سبحانه وتعالى فى أسمائه وصفاته . كما قال تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ . وقال : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ .

كما قال فى باب تنزيهه تعالى عن وصفه بصفات المخلوقين : ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون . سبحانه الله عما يصفون﴾ (الصفات : ١٥٨-١٥٩) .

وقال : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ (الصفات : ١٨٠) .

وقد ورد فى سبب نزول هذه السورة ، أن المشركين أو اليهود سألوا رسول الله - ﷺ - عن نسب رب العزة فنزلت جوابا لهم ، فقد أورد ابن جرير فى تفسير هذه السورة بإسناده عن أبي بن كعب قال :

قال المشركون للنبي - ﷺ -: أنسب لنا ربك ، فأنزل الله ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ ، كما ذكر أيضا سؤال اليهود له ، عمن خلق الله ، وأنها نزلت جوابا لسؤالهم . تفسير ابن جرير ٢٩٩/٣٠ .

وقد أخرج الحديث عن أبي بن كعب الترمذى فى تفسير سورة الاخلاص ، تحفة الأحوذى ٢٩٩/٩ ح ٣٤٢٣ موصولا ولفظه : إن المشركين قالوا لرسول الله - ﷺ -: أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ والصمد الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وأن الله لا يموت ولا يورث ، ولم يكن له كفوا أحد ، قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شىء . اهـ .

ثم أورده مرسلا عن أبى العالية أن النبى - ﷺ - ذكر آلهتهم فقالوا : أنسب لنا ربك ، ثم رجح المرسل على الموصول لأن فى الموصول أبو سعد وهو محمد بن ميسرة ضعيف . كما فى تقريب التهذيب ٢١٢/٢ ، والمرسل عن عبيد الله بن موسى وهو ثقة .

قال ابن حجر فى فتح البارى ٧٣٩/٨ فى شرح حديث البخارى الذى أورده فى تفسير سورة الاخلاص ، وهو الذى أورده المصنف هنا - بعد أن ذكر أن الترمذى روى حديث أبى بن كعب فى سبب نزول السورة ، موصولا ومرسلا ، وأنه رجح المرسل على المتصل قال : وصحح الموصول ابن خزيمة والحاكم وله شاهد من حديث جابر عند أبى يعلى والطبرى والطبرانى فى الأوسط . اهـ .

هذا وقد أورد المصنف تحت هذا العنوان سبع روايات فى سورة ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ فى وصف الله عز وجل بالوحدانية فى الألوهية وفى أسماء الله وصفاته ، وفى فضل سورة الاخلاص وأن فيها صفة الرحمن وأن من أحبها أحبه الله وأدخله الجنة ، وهذه الروايات فى الصحيحين وغيرها كما ترى فى تخريجها .

وقد جاء فى رواية الحديث الأول وهو حديث أبى هريرة قول الرسول - ﷺ - قال الله تعالى : « كذبنى عبدي ولم يكن له أن يكذبني وشتنى عبدي ولم يكن له ذلك . وهو حديث قدسى ، وقد فسر التكذيب بإنكار البعث حيث قال : أما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى .

وقد بين الله تعالى فى مواضع من كتابه قدرته المطلقة على البعث ، لأن أمره

نافذ وقدرته مطلقة . قال تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس : ٨٢) .

كما رد على الجاحدين للبعث بآيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (يس : ٧٨-٧٩) . فعلمه سبحانه محيط بكل شيء ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ (ق : ٤) . وقدرته نافذة لأن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى ، وهذا بالنسبة للمخلوق ، فكيف بالخالق جل وعلى ﴿وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الروم : ٢٧) . ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على سيرة﴾ (التغابن : ٧) . نعم إنه يسير على الله ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (القمر : ٥٠) . ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾ (لقمان : ٢٠٨) .

أما الشتم :

فقد فسره بنسبة الولد إلى الله جل وعلى ، وهو الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وقد نسب أهل الملل ذلك لله عز وجل كما نسبته المشركون .

فقال اليهود : «عزيز بن الله» . كما قالت النصارى : «المسيح ابن الله» . وقال المشركون : «الملائكة بنات الله» ذلك قولهم بأفواههم .

وهذه السورة العظيمة رد على هؤلاء جميعا وتنزيه للبارى جل جلاله عن صفات النقص ، إذ أن الموصوف بالوالد والولد والصاحبة لمخلوق ، والخالق منزّه عن ذلك فهو ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فأعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ (الأنعام : ١٠١-١٠٢) .

يقول ابن كثير فى التفسير ٥٤٨/٨ : أى هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه .

قال تعالى : ﴿وقالوا أتأخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات
يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن
يتخذ ولدا، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم
وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا﴾ (مريم : ٨٨-٩٥).

وقال تعالى : ﴿وقالوا أتأخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون، لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يعلمون﴾ (الأنبياء : ٢٦-٢٧).

وقال تعالى : ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون
سبحان الله عما يصفون﴾ (الصافات : ١٥٨-١٥٩).

وأما الحديث الرابع الذى جاء فيه أن في هذه السورة صفة الرحمن، وأن من
أحبها أحبه الله، فهو حديث عائشة - رضى الله عنها - وهو أن رسول الله - ﷺ - بعث
رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاته بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ وحينها
سئل عن ذلك قال : إن فيها صفة الرحمن وهو يحبها، وقد بشره الرسول - ﷺ - بأن الله
يحبها، وفي الرواية الخامسة والسابعة بأنه بسبب تلك المحبة أدخله الله الجنة.

هذا الحديث أورده البخارى - رحمه الله - في صحيحه في كتاب التوحيد - باب
دعاء النبى - ﷺ - أمته إلى التوحيد، فتح البارى ١٣/ ٣٤٧ ح رقم ٧٣٧٥ وقد أطلال
ابن حجر النفس في شرح أحاديث هذا الباب، فأورد آراء المتكلمين ومذهب
السلف، ثم ذكر شذوذ ابن حزم في هذا الحديث ومحاولته تضعيف أحد رواته ليتفق
مع رأيه في نفي أن تكون لله صفة، مخالفا بذلك رأي الجمهور، ثم رد على المتكلمين
وعلى ابن حزم، ورجح مذهب السلف في جميع ذلك، وإنى أرى إنه من المناسب ذكر
بعض ما أورده عن العلماء في هذا الباب، وذلك لأن فتح البارى وما حواه من بحوث
عظيمة في هذا المجال وفي غيره لا يصل إليها كل طالب، ومن أراد إتمام البحث
فيرجع إليه في الجزء والصفحة التى سوف أشير إليها في هذا البحث :

قال - رحمه الله - في شرح هذا الباب من فتح البارى ١٣/ ٣٤٨ قوله (باب ما
جاء في دعاء النبى - ﷺ - أمته إلى توحيد الله تعالى) قال : المراد بتوحيد الله تعالى :
الشهادة بأنه إله واحد، قال : وهذا الذى يسميه بعض غلاة الصوفية بتوحيد العامة .

قلت: (وهذا هو التوحيد الذى اعتقده الصحابة والتابعون ومن سلك مسلكهم).

قال ابن حجر: وقد أدعت طائفتان فى تفسير التوحيد أمرين اخترعهما:

أحدهما: تفسير المعتزلة كما تقدم أى فى ص ٣٤٤ قال: وقد سمو أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفى الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه، ومن شبه الله بخلقه أشرك، وهم فى النفى موافقون للجهمية.

ثانيهما: غلاة الصوفية، فإن أكابرهم لما تكلموا فى مسألة المحو والفناء وكان مرادهم بذلك المبالغة فى الرضاء والتسليم وتفويض الأمر، بالغ بعضهم حتى ضاهى المرجئة فى نفى نسبة الفعل إلى العبد، وجر ذلك بعضهم إلى معذرة العصاة، ثم غلا بعضهم فعذر الكفار، ثم غلا بعضهم فزعم أن المراد بالتوحيد إعتقاد وحدة الوجود. هذا بعض ما ذكره عن المعتزلة وغلاة الصوفية فى تفسير التوحيد، ثم ذكر أقوالاً أخرى عن بعضهم إلى أن قال: ولهم فى ذلك كلام طويل ينبوعه سمع كل من كان على فطرة الإسلام. والله المستعان.

وفى ص ٣٤٩ قال قوله: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله» تمسك به من قال: أول واجب المعرفة كإمام الحرمين، ثم أورد كلامه إلى أن قال: واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى إلا بالنظر والاستدلال وهو مقدمة الواجب، فيجب، فيكون أول واجب النظر قال: وذهب إلى هذا طائفة كابن فورك، ثم ذكر ما تعقب به عليه إلى أن قال: وقد ذكرت فى «كتاب الإيمان» من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾. وحديث: «كل مولود يولد على الفطرة» فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة وأن الخروج على ذلك يطرأ على الشخص لقوله - عليه الصلاة والسلام - : «فأبواه يهودانه أو ينصرانه».

قال: وقد وافق أبو جعفر السمنانى وهو من رؤوس الأشاعرة على هذا وقال: إن هذه المسألة بقيت فى مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة، وتفرع عليها إن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه، وأنه لا يكفى التقليد فى ذلك. اهـ.

كما أورد أقوالاً أخرى في هذا الباب إلى أن قال : وقال القرطبي في المفهم في شرح حديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة ، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وسلف أمته ، إلى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وأمور صناعية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية أو مناقضة لفظية ينشأ بسببها على الأخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الإيمان معها ، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدهم لا أعلمهم ، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها ، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها ، ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال ، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفية تعلق صفات الله تعالى وتعييدها واتحادها في نفسها ، وهل هي الذات أو غيرها ، وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم ، وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو الوصف ، وكيف تعلق في الأزل بالمأمور مع كونه حادثاً ، ثم إذا انعدم المأمور هل يبقى التعلق ، وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلاً هو نفس الأمر لعمر وبالزكاة إلى غير ذلك مما ابتدعه مما لم يأمر به الشرع ، وسكت عنه الصحابة ، ومن سلك سبيلهم ، بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل لكون العقول لها حد تقف عنده ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات ، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها ، وعن كيفية إدراك ما يدرك به فهو عن إدراك غيره أعجز ، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزّه عن الشبيه مقدس عن النظير ، متصف بصفات الكمال ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسائه قبلناه ، واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف ، وما عداه لا يأمن صاحبه الزلل ، ويكفى في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين ، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلّالاً .

قال : وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك ، وبعضهم إلى الإلحاد ،

ويعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: «ركبت البحر الأعظم وغصت في كل شيء نهي عنه أهل العلم في طلب الحق فرارا من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف». هذا كلامه أو معناه، وعنه أنه قال عند موته: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنه يبلغ بى ما بلغت ما تشاغل به» إلى أن قال القرطبي: «ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقا بالذم:

إحدهما: قول بعضهم أن أول واجب الشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر، وإليه أشار الإمام بقوله: ركبت البحر.

ثانيتهما: قول جماعة منهم أن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه حتى لقد أورد على بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك، فقال: لا تشنع على بكثرة أهل النار قال، وقد رد بعض من لم يقل بهما علي من قال بهما بطريق من الرد النظري وهو خطأ منه، فإن القائل بالمسألتين كافر شرعا لجعله الشك في الله واجبا، ومعظم المسلمين كفارا حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة، وإلا فلا يوجد في الشرعيات ضرورى، وختم القرطبي كلامه بالاعتذار عن إطالة النفس في هذا الموضوع لما شاع بين الناس من هذه البدعة حتى اغتر بها كثير من الأغمار فوجب بذل النصيحة، والله يهدى من يشاء. انتهى.

ثم نقل في هذا الباب قول الآمدى، وبعد أن أنهى كلامه، نقل أقوالا أخرى، إلى أن قال في ص ٣٥٢: وقال غيره: قول من قال طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم، ليس بمستقيم، لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بالآفاظ القرآن، والحديث، من غير فقه في ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف، والدعوى في طريقة الخلف، وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده،

وليس من سلك طريق الخلف واثقا بأن الذى يتأوله هو المراد ولا يمكن القطع بصحة تأويله .

قلت : ومما يدل على أن طريقة السلف أعلم واحكم رجوع كثير من أئمة الأشاعرة إليها، وذلك بعد أن امضوا السنوات الطوال بحثا وتفكيراً وتأملًا - كما مر كلام امام الحرمين لأصحابه نصحا لهم ومتحسراً على ما فات ويصبح من السرف في الوقت والجهد اتباع طريقتهم الكلاميه فيه بعد رجوعهم عنها، انظر : منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين ص ٢٠٢ هـ .

كما نقل عن أبى المظفر السمعاني رده على أهل الكلام في هذه المسألة، وخلاصة كلامه، قوله :

أولاً : أن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع، وأمروا بالاتباع، وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب في الأصول . وأما الفروع فلم يثبت عن أحد منهم النهى عنها إلا من ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس .

وثانياً : فإن الدين قد كمل لقوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإذا كان الله أكمله وأتمه وتلقاه الصحابة عن النبي - ﷺ -، واعتقده من تلقى عنهم وأطمأنت به نفوسهم فأى حاجة بهم إلى تحكيم العقول والرجوع إلى قضاياها وجعلها أصلاً، والنصوص الصحيحة الصريحة تعرض عليها، فتارة يعمل بمضمونها، وتارة تحرف عن مواضعها لتوافق العقول، وإذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصاناً في المعنى، مثل زيادة إصبع في اليد . الخ .

كما نقل عن أبى المظفر السمعاني وغيره أيضاً - أن دعوة الرسول - ﷺ - للمشركين هى للإيمان بالله وحده، وتصديقه فيما أخبر به عنه، وأن من فعل ذلك قبل منه سواء كان إذعانه عن تقدم نظر أم لا .

وأيد أقوالهم - بما أخرجه أبو داود عن ابن عباس أن رجلاً قال لرسول الله - ﷺ - : أنشدك الله - الله أرسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال : نعم . فأسلم، وأصله في الصحيحين في قصة ضهाम بن ثعلبة، وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم أنه «أتى النبي - ﷺ - فقال : ما أنت؟ قال : نبي الله .

قلت : - الله أرسلك؟ قال : نعم . قلت : بأى شىء؟ قال : أوحى الله لا أشرك به شيئاً . الحديث .

وفى حديث أسامة بن زيد فى قصة قتله الذى قال لا إله إلا الله ، فأنكر عليه النبى - ﷺ - وكتب النبى - ﷺ - إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد ، إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة المتواتر المعنوى الدال على أنه - ﷺ - لم يزد فى دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه ، فمن فعل ذلك قبل منه .

هذا بعض ما أورده ابن حجر فى شرح هذا الباب من نقول عن العلماء تبين طريقة سلف هذه الأمة فى الدعوة إلى توحيد الله تعالى فى عبادته والإيمان بأسمائه وصفاته ، وهى نقول عظيمة لا يستغنى الباحث عن الاطلاع عليها ، وقد أيدها ابن حجر بأدلة ثابتة عن المصطفى - ﷺ - وذلك مما يوضح أنه يقول بها ، ويذهب إليها . وابن منده واحد من الأئمة الذين سبقوا من نقل عنهم ابن حجر آراءهم مؤيدين لها ، فهو من الأئمة الذين سلكوا هذا المنهج فى الدعوة إلى توحيد الله فى عبادته والإيمان بأسمائه وصفاته . فالبخارى - رحمه الله - وهو قبل ابن منده أورد هذا الحديث وغيره فى كتاب التوحيد تحت عنوان «دعوة النبى - ﷺ - أمته إلى توحيد الله» ، وكذلك فعل المصنف .

وفى معرض رد ابن حجر على ابن حزم شذوذه ، قال فى ص ٣٥٦ : قوله : «لأنها صفة الرحمن» : وفى حديث الباب حجة لمن أثبت لله صفة وهو قول الجمهور ، وشذ ابن حزم فقال : هذه لفظة اصطلاح عليها أهل الكلام من المعتزلة ومن تبعهم ، ولم تثبت عن النبى - ﷺ - ولا عن أحد من أصحابه ، فإن اعترضوا بحديث الباب فهو من أفراد سعيد بن هلال ، وفيه ضعف ، قال : وعلى تقدير صحته ، فقل هو الله أحد صفة الرحمن كما جاء فى هذا الحديث ولا يزداد عليه ، بخلاف الصفة التى يطلقونها ، فإنها فى لغة العرب لا تطلق إلا على جواهر أو عرض كذا قال .

قال ابن حجر : وسعيد متفق على الاحتجاج به ، فلا يلتفت إليه فى تضعيفه ، وكلامه الأخير مردود باتفاق الجميع على إثبات الأسماء الحسنى . قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ .

وقال بعد أن ذكر منها عدة أسماء في آخر سورة الحشر «له الأسماء الحسنى» والأسماء المذكورة فيها بلغة العرب صفات ، ففي إثبات أسمائه إثبات صفاته ، لأنه إذا ثبت أنه حي مثلاً فقد وصف بصفة زائدة على الذات وهي صفة الحياة ، ولولا ذلك لوجب الاقتصاد على ما ينبيء عن وجود الذات فقط ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ . فنزه نفسه عما يصفونه به من صفة النقص ، ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع ، قال : وقد قسم البيهقي وجماعة من أئمة السنة جميع الأسماء المذكورة في القرآن ، وفي الأحاديث الصحيحة على قسمين :

أحدهما : صفات ذاتية .

والثاني : صفات فعله .

قال : ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة أو أجمع عليه ، ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام من صفات ذاته ، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة من صفات فعله ، ومنه ما ثبت بنص الكتاب والسنة كالوجه واليد والعين من صفات ذاته ، وكالاستواء والنزول والمجيء من صفات فعله ، فيجوز إثبات هذه الصفات له لثبوت الخبر على وجه ينفي عنه التشبيه .

أقول : هذا ما نقله ابن حجر في الرد على ابن حزم ، وقد أيد ذلك بما نقله عن البيهقي وغيره في إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله وكماله ، ومدار ذلك على ما جاء في كتاب الله تعالى ، وثبت في سنة رسول الله - ﷺ - وهذه طريقة سلف هذه الأمة في هذا الباب ، وقد ألف الإمام الحافظ الدارقطني كتاباً سماه «الصفات» ، كما ألف البيهقي كتاباً سماه «الأسماء والصفات» ، وألف غيرهم من العلماء كتباً في هذا الباب للرد على المنحرفين الذين أنكروا صفات الباري كالجهمية والنفاة من المعتزلة إما خطأ أو عمداً وعلى المؤلة من الأشاعرة والماتوريدية .

ولما كان كل علم وفن يسأل عنه أربابه وهي قاعدة مقررة ، إذ لا يطلب المريض العلاج إلا من الطبيب ، ولا يطلبه من الحداد أو النجار أو الفلاح ، فكذلك لا ينبغي لمن لا يعلم شيئاً في علم من العلوم أن يقحم نفسه فيه كما يفعل ذلك كثير من الناس ، فقد نقل عن بعض المعاصرين في محاضرة ألقاها في جمع من الشباب في «الكويت» وقد

سمعت الشريط بنفسى قال المحاضر: «إن ما يسمى فى التوحيد - بالصفات بدعة -» .

وقد استند فى رأيه هذا حتى يقبله الشباب منه إلى ما قاله ابن حزم - رحمه الله - فى كتابه «الفصل» فى شرح هذا الحديث الذى أورده الإمام البخارى فى كتاب التوحيد من صحيحه . وقد رأيت رد ابن حجر على ابن حزم شذوذه هذا عن الجمهور بهذا رأى، ولا شك فى شذوذه، وقد ألف العلماء من سلف هذه الأمة ومن تبعهم قبل ابن حزم وبعده كتباً سموها «الصفات» ردوا بها على الذين نفوا الصفات أو حرقوها بالتأويل وصرفها عما دلت عليه كالجهمية والمعتزلة، والأشاعرة، والماتوريدية وغيرهم ممن سلك هذا المسلك فى هذا الباب، فكتب هؤلاء العلماء - رحمهم الله - كافية فى الرد على من يقول: إنما يسمى - بالتوحيد فى الصفات بدعة .

ومن تدبر القرآن الكريم وجد ذلك واضحاً وضوح الشمس فى رابعة النهار ولذا فإنه لا ينبغى لمن يراقب الله تعالى ويخاف عقابه أن يتبع الأقوال الشاذة لاسيما فى أصول الدين ثم يروىها بين الشباب المسلم، لأن فى إضلال الناس عن الحق والهدى وعيد شديد، وكذلك فىمن يقول على الله بلا علم .

ويكفى فى هذا الباب إضافة إلى حديث البخارى الذى شذ فيه ابن حزم عن الجمهور كما يقول ابن حجر حديث عائشة - رضى الله عنها - الذى رواه الإمام أحمد وذكره ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ .

قالت: الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبى - ﷺ - تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل ﴿قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها﴾ إلى آخر الآية . وكذا رواه البخارى فى كتاب التوحيد تعليقا .

وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . انظر ابن كثير ٦٠ / ٨ طبعة الشعب .

٢- ذكر معرفة بدء الخلق .

أ/٣ (قال الله تعالى مخبرا عن وحدانيته وتفردية) (بالخلق من غير ظهور) (١) ولا معين ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذًا المضلّين عضدا﴾ (٢) .
وقال عز وجل: ﴿أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ (٣) .

(٨-١) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن (٤) قال: حدثنا أحمد بن يوسف (٥) قال: حدثنا سفيان بن عيينة (٦) عن جامع بن شداد المحاربي (٧) عن صفوان بن محرز (٨) عن عمران بن حصين (٩) .
وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى (١٠) وعبد الله بن إبراهيم قالا: حدثنا

(١) غير واضح في الأصل، وانظر تفسير الطبري ٢٦٣/١٥ .

(٢) سورة الكهف الآية: ٥١ .

(٣) سورة الزخرف الآية: ١٩ .

(٤) ، (٥) محمد بن الحسين بن الحسن ، وأحمد بن يوسف . تقدمت تراجمهما في الحديث رقم (١) .

(٦) سفيان بن عيينة أبو محمد الكوفي ثم المكي ، ثقة ، حافظ فقيه إمام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بآخيه ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات ، من الثامنة ، مات سنة ثمان وتسعين . تقريب ٣١٢/١ .

(٧) جامع بن شداد أبو صخرة الكوفي ، ثقة ، من الخامسة . تقريب ١٢٤/١ .

(٨) صفوان بن محرز بن زياد المازني الباهلي ، ثقة ، عابد ، من الرابعة . تقريب ٣٦٨/١ .

(٩) عمران بن حصين . صحابي مشهور .

(١٠) عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، أبو محمد يروي عن أبي مسعود أحمد بن الفرات توفي سنة عشرين وثلاثمائة . أخبار أصبهان ١١٧/٢ .

أبو مسعود أحمد بن الفرات^(١) قال : أخبرنا معاوية بن عمرو^(٢) قال : حدثنا أبو اسحاق الفزاري^(٣) عن الأعمش^(٤) عن جامع بن شداد المحاربي عن صفوان بن محرز المازني عن عمران بن حصين قال : أتيت النبي - ﷺ - فعقلت ناقتي ودخلت فأتاه نفر من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى «يا بني تميم» قالوا : قد بشرتنا فاعطنا ، وجاءه نفر من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها اخوانكم بنو تميم فقالوا : قد قبلنا وجئناك لتتفق في الدين ولنسألك عن بدء هذا الأمر ، فقال : كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في «الذكر كل شيء» ثم خلق السموات والأرض ثم جاءني رجل فقال : أدرك ناقتك ذهبت ، فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب (فوالله لو ددْتُ أنى كنت تركتها)^(٥) .

(٢-٩) أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حاتم ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق^(٦) ، قال : حدثنا

(١) أحمد بن الفرات بن خالد الضبي أبو مسعود الرازي . تكلم فيه بلا مستند ، من الحادية عشرة . تقريب ٢٣/١ .

(٢) معاوية بن عمرو بن المهلب بن عمرو الأزدي المعنى . أبو عمرو البغدادي ، ثقة ، من صغار التاسعة ، روى عن أبي اسحاق الفزاري . تقريب ٢٦٠/٢ ، تهذيب ٢١٥/١٠ .

(٣) أبو اسحاق هو : إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسهاء بن خارقة . . الفزاري الإمام ، ثقة ، حافظ ، له تصانيف ، من الثامنة . تقريب ٤١/١ .

(٤) الأعمش هو : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءة ، ورع ، ولكنه بدلس ، من الخامسة . تقريب ٣٣١/١ .

(٥) اسناده صحيح ، وأخرجه خ / في بدء الخلق / باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ . ٧٣/٤ من طريق عمر بن حفص بن غياث ، ثنا أبي عن الأعمش به .

(٦) علي بن الحسن بن شقيق أبو عبد الرحمن المروزي ، ثقة ، حافظ ، من كبار العاشرة ، مات سنة خمس عشرة ، وقيل قبل ذلك ، روى عن أبي حمزة السكري ، وعنه محمد بن موسى بن حاتم . تقريب ٣٤/٢ ، تهذيب ٢٩٨/٧ ، تهذيب الكمال ٩٦١/٢ .

أبو حمزة السكري^(١) عن الأعمش عن جامع بن شداد، عن صفوان بن

عمرز، عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال: إني لجالس عند رسول الله - ﷺ - إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، فقالوا: قد قبلنا «بشرتنا» فاعطنا قال فدخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا: قد قبلنا يا رسول الله جئناك لتتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، فقال: كان الله عز وجل ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر (كل شيء)^(٢) قال: ثم أتاني رجل فقال يا عمران بن حصين أدرك ناقتك فقد ذهبت قال: فانطلقت أطلبها قال: فإذا السراب ينقطع دونها (وأيم الله) لوددت أنها ذهبت وإني لم أقم^(٣) - رواه أبو عوانة^(٤) - عن الأعمش.

(١) أبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروزي ثقة، فاضل، من السابعة، مات سنة سبع أو ثمان وستين. تقريب ٢١٢/٢.

(٢) ما ذكر بين قوسين من البخارى.

(٣) أخرجه خ/ في التوحيد/ باب وكان عرشه على الماء وهورب العرش العظيم، فتح البارى ٤٠٣/١٣ ح ٧٤١٨ من طريق عبدان عن أبى حمزة، وهو السكري به.

كما أخرجه في المغازى باب/ وفد بنى تميم/ فتح البارى ٨٣/٨ ح ٤٣٦٥ من طريق أبى نعيم عن أبى صخرة، وهو جامع بن شداد إلى قوله: قد قبلنا يا رسول الله.

وفي قصة عمان والبحرين ٧٤/ فتح البارى ٩٨/٨ ح ٤٣٨٦ من طريق عمرو بن على ثنا أبو عاصم ثنا سفيان ثنا أبو صخرة جامع بن شداد.

(٤) أبو عوانة - هو وضاح بن عبد الله الشكرى الواسطى البزار مشهور بكنيته، ثقة، ثبت،

من السابعة، مات سنة خمس أو ست وسبعين، روى عن الأعمش. تقريب ٣٣١/٢. تهذيب

١١٦/١١ وروايته لهذا الحديث عن الأعمش: قال ابن حجر أنها عند أبى نعيم. فى المستخرج. فتح البارى ٤٠٩/١٣.

(١٠-٣) أخبرنا إسماعيل بن محمد قال : حدثنا محمد بن محمد
قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : حدثنا شيبان عن الأعمش عن جامع
إبن شداد، عن صفوان بن محرز عن عمران بمثله سواء.

* * *

التعليق :

أورد المصنف تحت هذا العنوان آية الكهف، وآية الزخرف، وروايات حديث عمران بن حصين الذى فيه بيان أول ما خلق الله من هذا العالم . وهو قوله «ذكر معرفة بدء الخلق» .

فقد بين الله فى هاتين الآيتين أنه هو وحده خالق السموات والأرض، وخالق العالم جميعا، تفرد بذلك الخلق وحده من غير ظهير ولا معين، ليس معه فى ذلك شريك ولا وزير ولا مشير، كما بين أن هؤلاء الذين اتخذهم المشركون أولياء من دونه عبيد أمثالهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا أشهدهم الله عز وجل خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، ولا كانوا إذاك موجودين، فالله وحده هو المستقل بخلق الأشياء كلها، ومديرها ومقدرها وحده، إذا فكيف يتخذ هؤلاء المخلوقون شركاء خلقهم الله مثلهم، فيتخذون إبليس وأعوانه شركاء مع الله وهم لم يشهدوا خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم والله يقول : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة/ ٢١] .

فالخالق وحده هو المستحق للعبادة .

يقول ابن جرير فى تفسير آية الكهف ٢٦٣/١٥ :

ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض، أى ما أحضرتهم ذلك فاستعين بهم على خلقها، ولا خلق أنفسهم، أى ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم فاستعين به على خلقه، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دونى وهم خلق أمثالهم وتركوا عبادتى وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالقهم وخالق من يوالونه من دونى متفردا بذلك من غير معين ولا ظهير «وما كنت متخذ المضلين عضدا» أى أعوانا، وليس الله متخذاً غيرهم أعوانا سبحانه وتعالى .

ويقول فى تفسير آية الزخرف ٥٨/٢٥ وهى قوله تعالى : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون﴾ .

يقول الله تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن الذين هم خلقه وعباده يسبحونه ويقدمونه إناثاً ، أشهد هؤلاء المشركون

الجاعلين ملائكة الله إنائاً خلق ملائكته الذين هم عنده فعلمو ما هم فوصفهم بذلك لعلمهم بهم وبرؤيتهم إياهم، ستكتب شهادة هؤلاء القائلين الملائكة بنات الله في الدنيا بما شهدوا به عليهم ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة، أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً. إهـ.

أما من السنة :

فقد أورد رواية حديث عمران بن حصين الذي أخرجه البخارى في بدء الخلق، والمغازى، والتوحيد، وقد جاء فيه أن رسول الله - ﷺ - قال: اقبلوا البشرى يا بنى تميم، فقالوا: قد بشرتنا فاعطنا، فدخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، فقالوا: قد قبلنا يا رسول الله، وجئناك لتتفقه في الدين ولنسألك عن بدء هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شىء غيره، وفي رواية ولم يكن شىء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شىء، ثم خلق السموات والأرض. . الحديث.

وقد استوفى ابن حجر شرح هذا الحديث وما يتعلق به في كتاب بدء الخلق، وفي كتاب التوحيد، ونحن نذكر مقتطفات من ذلك الشرح مما له صلة بعنوان الفصل.

قال في بدء الخلق - فتح البارى - ٢٨٨/٦ :

قوله: (عن هذا الأمر) أى الحاضر الموجود، وقوله: «كان الله ولم يكن شىء غيره»، وفي الرواية الآتية في التوحيد «لم يكن شىء قبله» - وهى الرواية الثانية هنا - قال: وفي رواية غير البخارى «لم يكن شىء معه». قال: والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى.

قال: وفيه دلالة على أنه لم يكن شىء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى، ويكون قوله: «وكان عرشه على الماء» معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء، قال: وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميرى بلفظ «كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن»، فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش، فالحديث يدل على أن الماء خلقه الله قبل العرش.

وقوله: «وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض» هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو، ووقع في الرواية التي في التوحيد، «ثم خلق السموات والأرض» ولم يقع بلفظ «ثم» إلا في ذكر خلق السموات والأرض.

قال: وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً «أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، قال: وهذا الحديث يؤيد رواية من روى «ثم خلق السموات والأرض» باللفظ الدال على الترتيب.

قلت: وهذا القدر هو المناسب للعنوان، وهو معرفة بدأ الخلق، وسيأتي زيادة إيضاح من كتاب التوحيد بعد هذا.

قال ابن حجر: «تنبیه»:-

وقع في بعض كتب الحديث «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية.

قال: وهو مسلم في قوله: وهو الآن على ما عليه كان إلى آخره. أي أن هذه الجملة هي الزيادة في الحديث. إهـ.

قلت: وقد ذكر ابن تيمية - أن المقصود منها نفى الاستواء على العرش.

قال في الفتاوى ٢٧٣/٢ طبعة الرياض: وهذه الزيادة اللاحقة، وهو قولهم «وهو الآن على ما عليه كان» قصد بها المتكلمة المتجهمة نفى الصفات التي وصف بها نفسه، من استوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا، وغير ذلك، فقالوا: كان في الأزل ليس مستويا على العرش، وهو الآن على ما عليه كان، فلا يكون على العرش لما يقتضي ذلك من التحول والتغير.

ثم ذكر إجابة أهل السنة والاثبات، منها: أن ذلك وإن اقتضى تحولا من حال إلى حال، ومن شأن إلى شأن فهو مثل مجيئه، واتيانه، ونزوله، وتكليمه لموسى، واتيانه يوم القيامة في صورة، ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص، وقال به أكثر أهل

السنة، والحديث، وكثير من أهل الكلام، وهو لازم لسائر الفرق. إهـ.

أما في كتاب التوحيد - فتح الباري ١٣/٤٠٥ :

فقد قال البخارى باب (٢٢) «وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم».

قال ابن حجر: كذا ذكر قطعتين من آيتين وتلطف في ذكر الثانية عقب الأولى، لرد من توهم من قوله في الحديث «كان الله ولم يكن شئ قبله وكان على عرشه على الماء» إن العرش لم يزل مع الله تعالى، وهو مذهب باطل، وكذا من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع.

وقول المصنف «وهو رب العرش العظيم» اشارة إلى أن العرش مربوب وكل مربوب مخلوق، وختم الباب بالحديث الذى فيه «فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش» فإن في اثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاد وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق.

هذا. وقد أورد ابن حجر في شرح أحاديث هذا الباب أقوال المعتزلة والجهمية ومن سلك مسلكتهم في نفى صفات البارى عز وجل أو تأويلها، كما نقل عن إمام الحرمين قوله: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأ بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آى الكتاب وما يصح من السنن.

وزهد السلف إلى الانكشاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردھا وتفويض معانيها إلى الله تعالى، قال: والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن اجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك على الوجه المتبع. انتهى.

قال ابن حجر: وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار كالشورى والأوزاعى ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة. إهـ.

قلت: قول إمام الحرمين: إنه يرتضى مذهب السلف رأياً ويدين الله به

عقيدة ، وهو الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الله تعالى .

أقول : إن أراد بالتفويض كيفيات تلك الصفات ، فمسلم ، وهذا معنى قول السلف - ثبت لله ما أثبت لنفسه وأثبت له رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، بل على أساس قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

أما إن أراد بالمعاني - المعاني المفهومة لتلك الظواهر كما يقول - أى النصوص من أى الكتاب وما ثبت من السنة ، المفهومة معانيها من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، فليس هذا هو مذهب السلف ، فإن السلف يفهمون معاني تلك الصفات التى وردت بها النصوص ويعتقدونه ، ولكنهم لا يعلمون كيفيتها .

وقد أشار ابن حجر إلى هذا بقوله السابق : وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعى ومالك . الخ .

وقول هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم مشهور متداول فى هذا الباب ، وقد سرد أقوالهم الذهبى فى كتابه «العلو للعلو للغفار» ، وقول الإمام مالك - رحمه الله - فى اجابته على من سأله عن الاستواء مشهور ، متداول بين العلماء ، وذلك حينما سأله ذلك السائل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى؟ فقال مالك : الاستواء معلوم - أى معلوم معناه من لغة العرب - ، والكيف مجهول - أى كيفية الاستواء مجهولة لنا لا نعلمها ، لأننا لا نعلم كيفية الذات والإيمان به واجب - لأن الله هو المخبر بذلك ، وكلامه حق ، وصدق ، والسؤال عنه بدعة - لأن السلف لم يخوضوا فى ذلك .

ثم قال للسائل : وما أراك إلا مبتدعا وأمر باخراجه - وصلى الله على محمد وآله - . والله أعلم .

٣- ذِكْرُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ تَقَدَّمَ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ (١).

٤/أ

(١-١١) أخبرنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: أرأيتم ما أنفق الله عز وجل منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء ويده الأخرى الميزان يرفع ويخفض (٢).
هذا حديث مجمع على صحته.

(١) أورد المصنف هذا الحديث استدلالاً به على أن خلق العرش تقدم على المخلوقات جميعاً، وكون العرش مخلوقاً كما نص عليه الحديث، وقد أورده البخارى في كتاب التوحيد في باب قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ لاثبات هذه الصفة لله تعالى على أساس قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وفي باب (وكان عرشه على الماء وهرب العرش العظيم) وقد سبق في الباب السابق ما أشار إليه ابن حجر من أن البخارى أراد بذلك الإشارة إلى رفع توهم من توهم أن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل، أما قوله: قبل خلق الأشياء فإن الحديث يدل على أن الماء خلق قبل العرش، وهوشىء من الأشياء، فيمكن أن يقيد قوله: بأنه خلق قبل الأشياء كلها إلا الماء، لقوله في الحديث: وعرشه على الماء، وقد سبق توضيح هذا في الباب السابق. أما ما يدل عليه العنوان والحديث في باب التوحيد، فهو أن الله الواحد الأحد هو الخالق لجميع العالم، فيجب أن يكون هو المعبود وحده. والله الموفق.

(٢) استاده صحيح، وأخرجه خ/ في التوحيد/ باب (١٩) قول الله تعالى ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ فتح البارى ١٣/ ٣٩٣ ح ٧٤١١، وباب (٢٢) وكان عرشه على الماء وهرب العرش العظيم ١٣/ ٤٠٣ ح ٧٤١٩ من طريق على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق به.
وأخرجه المصنف في الرد على الجهمية ص ٧٦ ح ٤٩ من حديث أبي هريرة. ج/ في المقدمة/ باب فيما انكرت الجهمية ١/ ٧١ ح ١٩٧. عن أبي الزناد به، دون ذكر العرش.

٤ - ذَكَرَ مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) الآية .

(١-١٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد^(٢)، قال : حدثنا أبو يحيى ابن أبي مسرة محمد بن الحسين ، قال : حدثنا علي بن الحسن قال أبو عبد الرحمن (الجبلي)^(٣) عبد الله بن يزيد ، قال حدثنا حيوة بن شريح^(٤) قال حدثني أبو هانئ^(٥) (الخلولاني) سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو قال : (رسول الله) - ﷺ - يقول قدر الله عز

(١) سورة القمر الآية : ٤٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن زياد الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم ، أبو سعيد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف ، كان ثقة ثبتا عارفا عابدا كبيرا القدر بعيد الصيت ، مات سنة أربعين وثلاثمائة . تذكرة الحفاظ ٨٥٢/٣ ، طبقات الحفاظ ٣٥٢ ، شذرات الذهب ٣٥٤/٢ .
(٣) الجبلي : هو عبد الله بن يزيد المعافري أبو عبد الرحمن ، ثقة ، من الثالثة ، مات سنة مائة بأفريقيا ، روى عن عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو ، وعنه أبو هانئ . تقريب ٤٦٢/١ ، تهذيب ٨١/٦ .

(٤) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، زاهد ، يروى عن أبي هانئ حميد بن هانئ الخولاني المصري ، لا بأس به ، من الخامسة ، وهو أكبر شيخ لابن وهب ، روى عن الجبلي . تقريب ٢٠٤/١ ، تهذيب ١٥٠/٣ .
(٥) ما ذكر بين قوسين فمن رواية مسلم .

وجل المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة^(١).
رواه عبد الله باسناده نحوه، وزاد فيه وكان عرشه (على
الماء).

(٢-١٣) بن عبد الرحمن بمصر قال حدثنا يحيى بن
أيوب، قال حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال حدثنا نافع بن يزيد والليث بن
سعد قالا: حدثنا أبو هانئ الخولاني عن عبد الرحمن الحبلي، عن عبد
الله بن عمرو - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: فرغ الله عز
وجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين
ألف سنة - لفظ نافع بن يزيد^{(٢)(٣)}.

(٣-١٤) أخبرنا علي بن العباس بن الأشعث، قال حدثنا محمد
ابن حماد قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر والثوري عن (سليمان)^(٤) عن
أبي ظبيان^(٥) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أول ما خلق (الله

(١) في اسناد ابن منده بياض في الأصل . . وقد أخرج الحديث م / في القدر / باب حجاج
آدم وموسى عليهما السلام / ٤ / ٢٠٤٤ ح ١٦ من طريق أبي الطاهر أحمد بن عمرو أخبرنا ابن وهب
أخبرني أبو هانئ الخولاني به .

ومن طريق ابن أبي عمر ثنا المقرئ ثنا حيوة به .

ت / أبواب القدر / تحفة الأحوذى ٦ / ٣٧٠ ح ٢٢٤٥ من طريق إبراهيم بن عبد الله بن المنذر
أخبرنا عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا حيوة به، وقال: حديث حسن صحيح غريب .

(٢) نافع بن يزيد الكلاعي أبو يزيد المصري، ثقة عابد، من السابعة، روى عن أبي هانئ
وعنه سعيد بن أبي مريم . تقريب ٢ / ٢٩٦، تهذيب ١٠ / ٤١٢ .

(٣) تقدم تخريجه ح رقم ١٢ .

(٤) سليمان . هو الأعمش . تقدمت ترجمته، وما ورد ذكره بين قوسين فهو من ابن جرير .

(٥) هو حصين بن جندب . ثقة . تقريب ١ / ١٨٢، تهذيب ٣ / ٣٧٩ .

(من) شيء القلم، فقال: أكتب، فقال: أي رب وما أكتب قال: (أكتب القدر قال) فجرى في ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم (رفع بخار الماء) رفع القلم^(١). ثم قرأ ابن عباس ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾^(٢) ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴿٣﴾ أراد النبي - ﷺ - .

(١٥-٤) أخبرنا (..... حسين)^(٤) قال: حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس قال: حدثنا عبيد الله (.....) (عن الأعمش) عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى (من شيء القلم فقال له) أكتب قال: أي رب وما أكتب قال القدر وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ثم خلق النون ثم بسط الأرض على ظهر النون فاضطربت فمادت فأنبتت بالجبال فهي تفخر عليها^(٥). رواه جماعة عن الأعمش^(٦)، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس أتم من هذا.

(١) في تفسير ابن جرير ١٤/٢٩: «ثم رفع البخار فخلقت منه السموات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض على ظهر النون فتحركت الأرض فمادت فأنبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض قال: وقرأ: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾».

ولأول الحديث شاهد من حديث عبادة بن الصامت أخرجه أبوداود في السنة - باب في القدر - ٧٦/٥ ح ٤٧٠٠. وفي حم ٣١٧/٥.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٤/٩، من طريق محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان - الأعمش به. وإسناده صحيح.

(٣) سورة ن الآية: ١-٢.

(٤) ما ذكر بين قوسين فمن ابن جرير.

(٥) ابن جرير ١٤/٢٩ من طريق واصل بن عبد الأعلى، وهو ثقة. تقريب ٣٢٨/٢، قال: ثنا محمد بن فضيل وهو صدوق عارف. تقريب ٢٠١/٢ عن الأعمش به. وإسناده حسن.

(٦) ذكره ابن كثير في التفسير فقال: وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الأعمش به، وزاد شعبة في روايته: ثم قرأ: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ٢١٠/٨ طبعة الشعب.

التعليق :

أورد المصنف تحت هذا العنوان قوله تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ الآية . والأحاديث الدالة على أن الله جل جلاله قد قدر مقادير كل شيء من خير وشر وحياة وموت ، وهداية ، واضلال قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي جاءت في حديث جبريل الذي رواه مسلم ، وفيه : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . . إلى قوله : والإيمان بالقدر خيره وشره .

يقول ابن كثير في تفسير الآية قوله : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ كقوله : ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ ، وكقوله : ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذى قدر فهدى﴾ . أى قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه . ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه ، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها ، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات ، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدريّة الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة . اهـ . تفسير ابن كثير ٤٥٧/٧ .

والإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من عقائد الإسلام ، المبنية على أساس الإيمان بالله كما جاء في حديث جبريل ، فقد جعل الإيمان بالقدر خيره وشره الركن السادس من أركان الإيمان . مسلم الإيمان ٣٧/١ ح ٢ .

وهذه العقيدة مبنية على التوحيد الخالص لله تعالى ، والإيمان بالله وبأسماائه الحسنی ، ولذا فإنه مما يجب على المسلم الإيمان به واعتقاده ، أن العلم الواسع الشامل المحيط بكل شيء لله وحده كما قال تعالى : ﴿إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾ (طه/٩٨) .

وإنه القادر على كل شيء الفعال لما يريد ، إذ الإيمان بذلك واعتقاده يجعل الإنسان يحس بأن كل ما يحدث في آفاق الحياة من خير وشر وحزن ، وفرح ، ونصر ، وهزيمة ، وخفض ، ورفع ، وإحياء ، وإماته ، يشمله العلم الإلهي ، وتتصرف فيه قدرة

الله المطلقة ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ (آل عمران/٢٦).
أى انك أنت المعطى وأنت المانع ، وأنت الذى ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن .
ابن كثير ٣٥٦/١ .

وقال تعالى : ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين﴾ (يونس/٦١) .

ففى هذا الكتاب المبين سطر الله تعالى ما هو كائن ومن ذلك ما قضى وما قدر لكل إنسان من شقاوة وسعادة ورزق ، وأجل وعمل كما جاء فى حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق ، أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد . مسلم : القدر : ٤/٢٠٣٦ ح ٢ .

ولذا فإن المؤلف يقصد بهذا الفصل وما أورده تحته بعد الآية من أحاديث أن التوحيد الخالص لله تعالى ، يقتضى من المرء المسلم الإيمان الكامل بما قدره الله تعالى له وعليه ، وأن الموحد الحق هو المؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى . والله أعلم .

هـ - ذِكْرُ مَا يَتَّبِعُ بِهِ أُولُو الْأَلْبَابِ .

من الآيات الواضحة التي جعلها الله عز وجل دليلا لعباده من خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعته وبدائع حكمته في خلق السموات والأرض وما أحكم فيها وخلق الإنسان (.)^(١) والأرواح وما ركب فيها . قال الله عز وجل منها على قدرته ﴿ ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر ﴾^(٣) الآية .

وقال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار ﴾^(٥) .

بيان ذلك من الأثر يدل على أن (.)^(*) العقول ودلالة على توحيد الله تعالى .

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) الأنعام الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الملك الآية : ٣ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٩١ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

(*) غير واضح في الأصل .

(١-١٦) أخبرنا (محمد بن الحسين) النيسابوري^(١)، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي^(٢) قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس^(٣)، وأخبرنا محمد بن يوسف الطوسي^(٤) قال: حدثنا محمد بن نصر المروزي^(٥) قال: حدثنا يحيى بن يحيى^(٦) قال: قرأت على مالك بن أنس^(٧) عن مخزومة بن سليمان^(٨) عن كريب^(٩) مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي - ﷺ - وهي خالته، فاضطجع في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله - ﷺ - وأهله في طولها، فنام رسول الله - ﷺ - حتى انتصف الليل أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله - ﷺ - فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران يعنى ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) النيسابوري تقدم ح رقم (١).

(٢) أبو حاتم تقدم ح رقم (٢).

(٣) ابن أبي أويس تقدم ح رقم (٥).

(٤) محمد بن يوسف الطوسي، هو الفقيه الطوسي، كان زاهدا ورعا، ثقة توفي سنة أربعين وثلاثمائة. اللباب لابن الأثير ٢/٢٨٨، سير أعلام النبلاء ١٠/١٢١، شذرات الذهب ٢/٣٦٨.

(٥) محمد بن نصر المروزي الفقيه، أبو عبد الله، ثقة، إمام جليل، من كبار الثامنة، مات سنة أربع وتسعين. تمييز تقريب ٢/٢١٣.

(٦) يحيى بن يحيى بن كثير الليثي مولاهم القرطبي، أبو محمد، صدوق، فقيه، قليل الحديث وله أوهام، من العاشرة، روى عن مالك الموطأ إلا يسيرا، مات سنة أربع وثلاثين على الصحيح. تمييز تقريب ٢/٣٦٠، تهذيب ١١/٣٠٠.

(٧) أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبير المشيخين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر. تقريب ٢/٢٢٣.

(٨) مخزومة بن سليمان الأسدي البوالي، ثقة، من الخامسة. تقريب ٢/٢٣٤.

(٩) كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولاهم، مولى ابن عباس، ثقة، من الثالثة. تقريب

١٣٤/٢.

. . الآية . ثم قام إلى شن^(١) معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلى ، قال ابن عباس فقامت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى ففعلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر بواحدة ، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح^(٢) . رواه جماعة عن (. .) بن سعيد ، وسعيد بن أبى هلال والضحاك بن عثمان (ومالك)^(٣) عن مخزومة .

(٢-١٧) أخبرنا عمر بن الربيع بن سليمان^(٤)، قال: حدثنا يحيى

ابن أيوب^(٥)، قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري^(٦)، قال: حدثنا أ/٦

(١) الشن: القرية. النهاية ٥٠٦/٢.

(٢)، (٣) اسناده صحيح، وأخرجه خ: في الوضوء - باب (٣٦) - قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، فتح الباري ١/ ٢٨٧ ح ١٧٣ من طريق اسماعيل قال حدثني مالك به .
وفي الوتر: باب (١) ما جاء في الوتر/ فتح الباري ٢/ ٤٧٧ ح ٩٩٢ من طريق عبد الله بن مسلمة ثنا مالك به .

وفي العمل في الصلاة. فتح الباري ٣/٧١ ح ١١٩٨.

وفي التفسير ٢٣٦/٨ ح ٤٥٧١.

م/ في صلاة المسافرين - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٥٢٥/١٠، ح ١٨٢ من طريق يحيى بن يحيى قرأت على مالك به.

طأ/ صلاة الليل/ باب (٢) صلاة النبي - ﷺ - في الوتر ح ٩٥/١١ من طريق يحيى عن مالك هـ.

ح ۲/۲۴۲.

(٤) عمر بن الربيع بن سليمان. لم أجد ترجمته.

(٥) يحيى بن أيوب بن بادي الخولاني العلاف، صدوق، من الحادية عشرة، روى عن سعيد

ابن ابی مریم، مات سنة تسع وثمانین. تقریب ۳۴۳/۲، تہذیب ۱۱/۱۸۵.

(٦) سعيد بن أبي مریم - هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مریم الجمحی بالولاء، أبو محمد المصری - ثقة، ثبت، فقیه، من كبار العاشرة. تقریب ٢٩٣/١.

محمد بن جعفر بن أبي كثير^(١)، قال: حدثني شريك بن أبي نمر^(٢)، عن كريب، عن ابن عباس قال:

رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي - ﷺ - عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله - ﷺ - بالليل، قال: فتحدث النبي - ﷺ - مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر أوبعضه خرج فنظر في السماء فقال: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٣) الآية، حتى قرأ هذه الآيات، ثم قام فتوضأ فاستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى للناس الصبح^(٤) - (رواه أبو صخر)^(٥) حميد بن زياد^(٦) عن شريك بن عبد الله، ورواه (. . .) عبد الله بن عباس وطاووس بن كيسان عن

(٣-١٨) أخبرنا الحسين بن علي النيسابوري^(٧) (. . .) قال:

-
- (١) محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري مولاهم المدني، أخو إسماعيل، وهو الأكبر، ثقة، من السابعة. تقريب ١٥٠/٢.
- (٢) شريك بن عبد الله بن أبي نمر أبو عبد الله المدني. صدوق، يخطئ، من الخامسة. تقريب ٣٥١/١.
- (٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٠.
- (٤) أخرجه م/ في صلاة المسافرين/ باب (٢٦) الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٥٣٠/١ ح ١٩٠ من طريق أبي بكر بن إسحاق، أخبرنا ابن أبي مريم به.
- (٥) بياض في الأصل - وما بين القوسين من ترجمة أبي صخر كما ترى.
- (٦) أبو صخر حميد بن زياد، أبو صخر ابن أبي المخارق الخراط، صاحب العباء، سكن مصر، صدوق يهم، روى عن شريك بن عبد الله. تقريب ٢٠٢/١، تهذيب ٤١/٣.
- (٧) الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري أبو علي، العلامة الثبت أحد الثقات، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء ١٠/١٥٦، شذرات الذهب ٢/٣٨٠، العبر ٢٨١/٢.

حدثنا الحسن بن سفيان بن عامر^(١) قال : ثنا (حبان بن) موسى^(٢) قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك^(٣) (ثنا إسماعيل بن)^(٤) مسلم العبدى قال : حدثنا
أبو المتوكل الناجي^(٥) أن عبد الله بن عباس حدث أنه بات عند النبي
ﷺ - ذات ليلة ، فقام النبي - ﷺ - من الليل فخرج فنظر في السماء ثم
تلى هذه الآية في آل عمران التى ﴿إن في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار﴾ حتى قرأ : ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فقتلنا عذاب النار﴾ ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم
خرج أيضا فنظر في السماء ثم تلى هذه الآية ، ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام
فصلى ثم اضطجع ثم خرج أيضا ونظر في السماء ثم تلى هذه الآية ثم
رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى^(٦) - رواه أبو نعيم (بن مسلم) عن
إسماعيل بن مسلم^(٧) .

(١) الحسن بن سفيان بن عامر الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو العباس الشيباني ، صاحب
المسند متقدم في الثبوت والكثرة والفهم والفقہ والأدب ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة . تذكرة الحفاظ
٧٠٣/٢ ، طبقات الحفاظ ص ٣٠٥ ، العبر ١٢٤/٢ .

(٢) (حبان) في الأصل بياض ، وأخذ من الترجمة - وهو حبان بن موسى بن سوار السلمى
- أبو محمد المروزي ، ثقة ، من العاشرة ، روى عن ابن المبارك ، وعنه الحسن بن سفيان . تقريب
١٤٧/١ ، تهذيب ١٧٥/٢ .

(٣) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، عالم جواد مجاهد ،
جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنة . تهذيب ٣٨٢/٥ ، تقريب ٤٤٥/١ .

(٤) إسماعيل بن مسلم العبدى ، أبو محمد البصرى القاضى ، ثقة ، من السادسة ، روى عن
أبي المتوكل ، وعنه ابن المبارك . تقريب ٧٤/١ ، تهذيب ٣٣١/١ .
(وما بين القوسين في الترجمة من التهذيب) .

(٥) أبو المتوكل الناجي - هو على بن داود البصرى ، مشهور بكنيته ، ثقة من الثالثة ، روى
عن ابن عباس ، وعنه إسماعيل بن مسلم العبدى . تقريب ٣٦/٢ ، تهذيب ٣١٨/٧ .
(٦) أسناده صحيح .

(٧) أخرجه حم : ٢٧٥/١ عبد الله حدثني أبي ثنا أبو نعيم بن مسلم ثنا إسماعيل أبو العبدى
ثنا الفضل بن دكين به .

التعليق :

أورد المصنف تحت هذا العنوان عددا من الآيات التى تدل المتأمل فيها على انتظام الصنعة وبدائع الحكمة ، فينتقل من ذلك التفكير الواعى إلى الإيمان بوحداية هذا الخالق عز وجل ، فقوله تعالى : ﴿ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق کل شیء فاعبدوه﴾ . تدل دلالة واضحة أن الخالق لهذا العالم كبيره وصغيره ، عظيمه وحقيقه ، هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده - ولذلك جاء فى الآية بعد ذكر الخلق ، الأمر بالعبادة - (فاعبدوه) وحده ، ولا تعبدوا معه غيره ، إذ إن الذين تدعون من دونه لن یخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له .

يقول ابن جریر فى تفسیر الآية التى أوردها المصنف وهى قوله ﴿ذلکم الله ربکم لا إله إلا هو خالق کل شیء فاعبدوه﴾ . ﴿ يقول الله جل ثناؤه للذين یشركون به غیره : أيها الجاهلون إنه لا شیء له الألوهية والعبادة إلا الذى خلق کل شیء ، وهو بكل شیء علیم ، فإنه لا ینبغى أن تكون عبادتکم وعبادة جمیع من فى السموات والأرض إلا له خالصة بغير شریک تشركونه فيها ، فإنه خالق کل شیء وبارئہ وصانعه وحق على المصنوع أن یفرد صانعه بالعبادة فاعبدوه .

والآیات التى أوردها المصنف بعد تلك الآية وهى قوله تعالى :

(١) ﴿ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ الآية .

(٢) ﴿الذين یذكرون الله قیاما وقعودا﴾ الآية .

(٣) ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ الآية .

فیهما دلالة على انتظام الصنعة وبدائع الحكمة ، والمتأمل فى کتاب الله العزیز یجد فى القرآن الکریم ، الحدیث عن آیات الله الکوئیة الدالة على عظمتہ وقدرتہ ، وإنه المتفرد بذلك الخلق المتقن ، كما قال تعالى : ﴿صنع الله الذى اتقن کل شیء إنه خیر بما تفعلون﴾ (النمل / ٨٨) .

كما إن المصنف أورد بعد تلك الآیات روايات حدیث ابن عباس المتفق علیه الشارح لآیات سورة آل عمران ، والذى بین لنا ما كان علیه رسول الهدى - ﷺ - من الحرص الشدید على عمل الخیر ، والتفکر ، والاعتبار بآیات الله فى الکوّن ، فقد

أوضح ابن عباس - رضى الله عنهما - فى روايته لهذا الحديث وذلك ليلة مبيته عند خالته أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - فى تلك الليلة بعد حديثه مع أهله - وهذا يدل على كمال أخلاقه وحسن معاشرته - ﷺ - نام أول الليل ، ثم قام آخره ، فقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران وهى قوله تعالى : ﴿ إِن فى خلق السموات والأرض . . . ﴾ الآيات . ثم صلى بعد ذلك ثلاث عشرة ركعة . فقد بين - ﷺ - بعمله هذا أن تلك الآيات الكونية دليل لأولى الألباب - أى العقول - على وحدانية خالقها وبارئها ومتقن صنعتها ، كما أن فى عمله ذلك بعد تلاوة تلك الآيات توجيه لأتمه إلى عمل الخير والاكثار من النوافل لاسيما صلاة الليل ، فهو يعمل هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر شكرا لله على ما أنعم به عليه ، فقد قال لعائشة - رضى الله عنها - حينما سألته عن قيامه الليل حتى ورمت قدماءه ، وقد غفر الله له ، قال : أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا .

فحرى بك أيها المسلم التأسى بنبيك ، لاسيما ونحن مثقلون بالذنوب والمعاصى ، وقد جاء فى صحيح البخارى كتاب التهجد ٢٩/٣ ح ١٤٥٤ .

عن عبادة بن الصامت عن النبى - ﷺ - قال : من تعار من الليل - أى استيقظ - فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم اغفر لى - أو دعا - استجيب ، فإن توفضاً قبلت صلاته .

وأى خير أعظم عند الله من أن يستجيب دعاءك ويقبل صلاتك .
وسياتى زيادة ايضاح لآيات الله فى الكون فى الفصل السابع - إن شاء الله - .

٦- ذكراً بدأ الله عز وجل من الآيات الواضحة الدالة على وحدانيته.

قال الله عز وجل: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٥) . . الآية .

أ/٧ (١-١٩) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن معروف الصفار الأصبهاني^(٦)

(١) غافر ٥٧/ وتامها: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

(٢) سورة النحل الآية: ٣.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٤، وتامها: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٦.

(٥) الأنبياء الآية: ٣٠، وتامها: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾.

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن معروف بن يزيد بن عبد الله بن معروف الصفار الأصبهاني، سمع الكثير بالعراق، وخراسان صاحب تصانيف كثيرة، حسن الدين والخلق والمروءة. أخبار أصفهان ٣٠٢/٢.

قال : حدثنا الحسن بن علي بن بحر^(١) قال : حدثنا زكريا بن عدى^(٢) قال : حدثنا عبيد الله بن عمر الرقي^(٣) عن زيد بن أبي أنيسة^(٤) عن المنهال بن عمرو^(٥) عن سعيد بن جبير^(٦) قال : قال رجل لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف على ، وقد وقع ذلك في صدري ، فقال ابن عباس : أتكذيب؟ قال : لا ، ولكن اختلاف ، قال فهل مآقع في نفسك من ذلك ، فقال : أسمع الله عز وجل يقول : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾^(٧) . وقال في آية أخرى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾^(٨) . وقال في آية أخرى : ﴿ أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ﴾^(٩) . الآية ، فبدأ بخلق السماء في هذه الآية قبل خلق الأرض ،

(١) الحسن بن علي بن بحر ، روى عن زكريا بن عدى بن الصلت . تهذيب الكمال ٤٣٠/١ .

(٢) زكريا بن عدى بن الصلت التيمي مولا هم أبو يحيى نزيل بغداد ، وهو أخو يوسف ، ثقة ، جليل ، يحفظ ، من كبار العاشرة ، روى عنه الحسن بن علي بن بحر بن برى . تهذيب الكمال ٤٣١/١ ، تقريب ٥٣٧/١ .

(٣) عبيد الله بن عمر الرقي أبو وهب الأسدي ، ثقة ، فقيه ، ربما وهم ، من الثالثة . تقريب ٥٣٧/١ .

(٤) زيد بن أبي أنيسة الجزري أبو أسامة ، رحل من الكوفة ثم سكن الرها ، ثقة ، له أفراد ، من السادسة . ع . تقريب ٢٧٢/١ .

(٥) المنهال بن عمرو الأسدي مولا هم الكوفي ، صدوق ، ربما وهم ، من الخامسة . خ / عم . تقريب ٢٧٨/٢ .

(٦) سعيد بن جبير الأسدي مولا هم الكوفي ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، من الثالثة ، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسله ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين . ع . تقريب ٢٩٢/١ .

(٧) المؤمنون الآية : ١٠١ .

(٨) الصافات الآية : ٢٧ .

(٩) النازعات الآية : ٢٧ ، ٢٨ .

وقال في آية أخرى: ﴿لَتَكْفُرُون بِالذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمِينَ﴾^(١) . . إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ فبدأ بخلق الأرض في هذه الآية قبل خلق السماء، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣)، فقد كتموا في هذه الآية، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٦)، فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس: هل وقع في نفسك من ذلك؟ قال: إذا أنبأتني بهذا فحسبى. قال:

أما قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. فهذا في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، فإذا كان في النفخة الأخرى قاموا فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. فإن الله تعالى يغفري يوم القيامة لأهل الإخلاص ذنوبهم ولا يتعاضم ذلك عليه أن يغفره، فلما رأى المشركون ذلك قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك فتعالوا حتى نقول إنها كنا أهل ذنوب ولم نكن أهل شرك فسألهم الله عز وجل: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ قالوا: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وإنها كنا أهل ذنوب. فقال الله عز وجل: أما

(١) سورة فصلت الآية: ٩.

(٢) سورة النساء الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢٣.

(٤) النساء الآية: ١٥٨، ١٦٥.

(٥) سورة النساء الآية: ٩٦، ٩٩. سورة الفرقان الآية: ٧٠.

(٦) سورة النساء الآية: ١٣٤، ٥٨.

إذ كتمت الانس فاختموا على أفواههم فختم الله عز وجل على أفواههم فنطقت أيديهم وشهدت أرجلهم بما كانوا يكسبون، فعند ذلك عرف المشركون أن الله عز وجل لا يكتُم حديثاً، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ حَدِيثًا﴾.

وأما قوله: ﴿السَّيِّئُ بِنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا﴾ . . الآية . فإنه خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم «نزل إلى الأرض»^(١) فدحاها، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى،^{٨/أ} وشق فيها الأنهار وجعل السبل، وخلق الجبال والرمال، والأكام وما بينها في يومين آخرين، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ . وقوله: ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ . . إلى قوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلنَّاسِ لِلسَّائِلِينَ﴾، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فإنه عز وجل نحل^(٢) نفسه بذلك (أى وصف)^(٣)، ولم ينحله أحدا غيره، وكان أى لم يزل كذلك، ثم قال ابن عباس للسائل: احفظ عني ما حدثتك، واعلم أن ما اختلف من القرآن أشباه ما حدثتك، وإن الله عز وجل لم ير (د شيئا)^(٤) إلا وقد أصاب به الذى أراد، ولكن الناس لا يعلمون فلا يختلف (عليك) القرآن، فإن

(١) في البخارى: ثم دحا الأرض . . الخ.

(٢) في البخارى: سمى نفسه ذلك، وذلك قوله.

(٣) هذا تفسير من قول الراوى - وقد أثبت في الهامش .

(٤) ما ذكرين قوسين في المتن، فمن البخارى، وذلك لاتمام النقص الوارد في النص في أصل

المخطوطة.

كلا من عند الله^(١) عز وجل . رواه جماعة عن (. . .) ورواه مطرف عن المنهال بن عمرو، وحديث (زيد بن أبي أنيسة . . .) .

(٢-٢٠) أخبرنا عبد الله بن إبراهيم قال : حدثنا أبو(الأزهر أحمد ابن منيع)^(٢) ثنا إسحاق بن سليمان^(٣) قال : حدثنا عمرو بن أبي قيس^(٤) (عن مطرف بن طريف الحارثي)^(٥)^(٦) عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال إن في قلبي من القرآن لشكا قال . . . وملك هل سألت أحدا غيري ؟ قال : لا . قال : وما هو قال : سمعت الله يقول : وكان الله ، كأنه شيء قد كان . وسمعتة يقول : ﴿ولا يكتُمون الله حديثا﴾ ، وسمعتة يقول : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ، وسمعتة يقول : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ ، وسمعتة يقول :

(١) خ/ في سورة حم السجدة ٨/٥٥٥-٥٥٦ قال في آخره : حدثني يوسف بن عدي ثنا عبيد الله بن عمرو بن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال .

(٢) أبو الأزهر أحمد بن الأزهر بن منيع العبدى النيسابورى ، صدوق ، من الحادية عشرة ، س ق ، روى عن إسحاق بن إبراهيم . تقريب ١/١٠ ، تهذيب الكمال ١/١٤ .

(٣) إسحاق بن سليمان الرازى ، أبويحيى ، كوفى الأصل ، ثقة ، فاضل ، من التاسعة / عم روى عن عمرو بن أبي قيس . تقريب ١/٥٨ ، تهذيب الكمال ١/١٨٤ .

(٤) عمر بن أبي قيس الرازى الأزرق ، كوفى نزل الري ، صدوق له أوهام ، من الثامنة / خت ، عم ، روى عن مطرف بن طريف .

تقريب ٢/٧٧ ، تهذيب الكمال ٢/١٠٤٧-١٠٤٨ .

(٥) مطرف بن طريف الكوفى ، أبوبكر أو أبو عبد الرحمن ، ثقة ، فاضل ، من صغار السادسة ، مات سنة احدى وأربعين ، أوبعد ذلك . / عم روى عن المنهال بن عمرو ، وعنه عمرو بن أبى قيس الرازى .

تقريب ٢/٢٥٣ ، تهذيب الكمال ٣/١٣٣٥ .

(٦) ما ذكرين قوسين فى الاسناد فمن تراجم الرواة فى تهذيب الكمال . وذلك لاكمال البياض الوارد فى الاسناد من ترجمة الراوى والمروى عنه .

﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فقال : أما قولك «وكان الله» فإنه لم يزل، ولا يزال، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾. وأما قولك «ولا يكتمون الله حديثا»، فإنهم إذا رأوا أن لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا فلنجدده فيختم على ألسنتهم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون ولا يكتمون الله حديثا، وأما قولك ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فإنه إذا كانت النفخة الأولى وهلك الخلق . . . الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فقال له ابن عباس) (بقى في قلبك شيء انه ليس من) (١) القرآن شيء إلا وقد أنزل في شيء، ولكن لا تعرفون وجوهه.

أ/٩

ورواه غير مطرف نحو حديث ابن أبي أنيسة .

(١) في فتح الباري في شرح الحديث ٥٥٩/٨ قال ابن حجر: وفي رواية ابن أبي حاتم من طريق مطرف عن المنهال بن عمرو وفي آخره قال: فقال له ابن عباس: هل بقي في قلبك شيء؟ انه ليس من القرآن شيء إلا نزل فيه شيء، ولكن لا تعرفون وجهه. أهـ.
قلت: وهي هذه الرواية هنا من طريق مطرف.

التعليق :

أورد المصنف تحت هذا العنوان آيات من كتاب الله تدل المتأمل فيها على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى ، فآية سورة غافر وردت في سياق آيات تدل على وقوع البعث وأنه أمر لازم لأبد من وقوعه ، وقد كان انكار البعث من الكفار مبني على عدم إيمانهم بوحداية الخالق وقدرته على إعادة الموتى مرة أخرى ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ . التغابن / ٧ .

ولذلك فقد عالج القرآن الكريم قضية البعث بعدد من أساليب القرآن معالجته لقضية الوحدانية ، ومن الأمثلة التي ضربها مبينا لعباده قدرته على البعث هذه الآية وما شابهها ، فهو ينبه عباده على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل يسير لديه فهو خلق السموات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأ وإعادة ، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأخرى ، كما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ . الأحقاف الآية : ٣٣ .

وآية النحل وهي قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ وردت في سياق تقرير الوحدانية ، والنبوة ، وانزال الوحي على الأنبياء وأمرهم بانذار الناس بأنه لا إله إلا الله .

ثم أخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية ، أنه خلق العالم العلوي وهو السماء وما حوت من عجائب دالة على خالقها ، والعالم السفلي وهو الأرض وما حوت من آيات ، وإن ذلك الخلق لهما هو بالحق لا للعبث ، وإنما ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره ، وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له ، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له .

ثم أورد بعد ذلك الآيات الأخرى وكلها دالة على وحدانية الخالق ، إذ أنه خالق السموات والأرض وما فيهما وحده ، وإنه خالقهما بالحق ، والخالق لكل شيء هو المستحق للعبادة ، وإن الذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .

وقد سبق في الفصل السابق لهذا عرض عن خلق السموات والأرض وبيان دلالتها على وحدانية خالقها، فليراجع.

هذا وقد أورد المصنف بعد تلك الآيات حديث ابن عباس، وفيه أن رجلاً سأل فقال له: إني أجد في القرآن أشياء تختلف على... الخ. فقال له ابن عباس: أتكذب؟ فقال: لا. ولكن اختلاف... الخ، وقد أخبر سبحانه وتعالى: إن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون متشابه القرآن. وابن عباس - رضى الله عنهما - وهو ترجمان القرآن.

طلب من السائل أن يقدم تلك الآيات المتشابهة والتي استشكلها، وقد ورد ذكرها في الحديث كما ترى. وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري ٥٥٧/٨ في شرح هذا الحديث عدد تلك المسائل، كما أورد روايات يستنتج منها أن الرجل السائل لابن عباس الذي لم يذكر اسمه أنه «نافع بن الأزرق» الذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة من الخوارج.

فقال ابن حجر قوله: (قال رجل لابن عباس) كأن هذا الرجل هو نافع بن الأزرق الذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة من الخوارج، وكان يجالس ابن عباس بمكة ويسأله ويعارضه، ومن جملة ما وقع سؤاله عنه صريحاً ما أخرجه الحاكم في «المستدرک» من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ - فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، وقوله: ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ - هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾ الحديث بهذه القصة حسب، وهي إحدى القصص المسؤولة عنها في حديث الباب.

قال: وروى الطبراني من حديث الضحاک بن مزاحم قال: قدم نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رءوس الخوارج بمكة، فإذا هم بابن عباس قاعداً قريباً من زمزم والناس قياماً يسألونه، فقال له نافع بن الأزرق: أتيتك لأسألك، فسأله عن أشياء كثيرة من التفسير ساقها في ورقتين.

قال - أي ابن حجر - : وأخرج الطبري من هذا الوجه بعض القصة ولفظه: إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: قول الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وقوله ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقال: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم:

أين ابن عباس فألقى عليه متشابه القرآن ، فأخبرهم أن الله تعالى : إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون : «إن الله لا يقبل إلا من وحده ، فيسألهم فيقولون : «والله ربنا ما كنا مشركين» . قال : فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم . انتهى .

قال : وهذه القصة إحدى ما ورد في حديث الباب .

قال ابن حجر بعد ذلك : فالظاهر أنه المبهم فيه ، أى أن الرجل السائل لابن عباس هونافع بن الأزرق . ولا يبعد ذلك ، لأن الله قد أخبر أن الذين في قلوبهم زيغ هم الذين يتبعون متشابه القرآن ، ولا يردون هذا المتشابه إلى المحكم كما يعمل الراسخون في العلم الذين وفقهم الله لذلك .

ثم قال : وحاصل ما وقع السؤال في حديث الباب أربعة مواضع :

الأول : نفى المساءلة يوم القيامة وإثباتها .

الثاني : كتمان المشركين حالهم وافشاؤه .

الثالث : خلق السموات والأرض أيهما تقدم .

الرابع : الاتيان بحرف «كان» الدال على الماضى مع أن الصفة لازمة .

قال : وحاصل جواب ابن عباس :

عن الأول : أن نفى المساءلة فيما قبل النفخة الثانية ، وإثباتها فيما بعد ذلك .

وعن الثانى : أنهم يكتمون بالسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم .

وعن الثالث : أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ، ثم خلق السماء فسواها في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرواسى وغيرها في يومين ، فتلک أربعة أيام للأرض ، فهذا الذى جمع به ابن عباس بين قوله تعالى في هذه الآية ، وبين قوله : ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ هو المعتمد .

ثم أورد حديثاً عن عبد الرزاق يخالف ذلك وضعفه .

وعن الرابع : بأن «كان» وإن كانت للماضى لكنها لا تستلزم الانقطاع ، بل المراد أنه لم يزل كذلك .

ثم أورد بعد ذلك ما يؤيد به تلك الأجوبة .

٧- ذكر الآيات المنفقة المنتظمة الدالة على توحيد الله عز وجل
في صفه خلق السموات التي ذكرها في كتابه ويتنصا على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم تنبيهاً بخالفه .

قال الله عز وجل : ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾^(١) ،
﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾^(٢) . الآية .
وقال عز وجل : ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾^(٣) .
وقال تعالى : ﴿ان في خلق السموات والأرض﴾^(٤) . الآية .
فأخبر أن في السموات والأرض آية لذوى العقول والألباب ، ثم
أمرهم بالتفكر في خلقها فقال : ﴿ويتفكرون في خلق السموات
والأرض﴾^(٥) . الآية .

(١) سورة الروم الآية : ٢٢ .

وتقامها : ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ .

(٢) الروم الآية : ٢٥ .

وتقامها : ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ .

(٣) سورة الرعد الآية : ٢ .

وتقامها : ﴿ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر
يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ .

(٤) آل عمران الآية : ١٩٠ .

وتقامها : ﴿واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ .

(٥) آل عمران الآية : ١٩١ . وهو جزء من الآية وهي : ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب
النار﴾ .

وأخبر بارتفاعها فقال: ﴿أُم السَّاءِ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَاهَا﴾^(١).
الآية.

ثم أخبر بكشافتها وارتفاعها، وأن فوق ذلك العرش، وبينها على
لسان (رسوله) - ﷺ - :

(١-٢١) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى (وعمر بن محمد) بن
إبراهيم قالا: حدثنا أبو مسعود قال: أخبرنا عبد الرحمن بن سعد الرازي^(٢)
قال: حدثنا عمرو بن أبي قيس^(٣) عن (سماك) بن حرب^(٤) عن عبد الله بن
عميرة^(٥) عن الأحنف (بن قيس^(٦) عن العباس) بن عبد المطلب قال: كنا
عند النبي - ﷺ - فمرت سحابة فقال: ما هذا؟ قلنا السحاب، قال:
والمزن، قلنا: والمزن. قال: والعنان، قلنا: والعنان، قال أتدرون كم بين

(١) سورة النازعات الآية: ٢٧، ٢٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكي، أبو محمد الرازي المقرئ، ثقة،
من العاشرة، روى عن عمرو بن قيس. تقريب ٤٨٦/١، تهذيب ٢٠٧/٦.

(٣) عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق، كوفي، نزل الري، صدوق له أوهام، من الثامنة،
روى عن سماك بن حرب. تقريب ٧٧/٢، تهذيب ٩٣/٨.

(٤) سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي، أبو المغيرة، صدوق،
ورواياته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بآخره، فكان ربما يلحق، من الرابعة. تقريب
٣٣٢/١.

(٥) عبد الله بن عميرة - يفتح أوله -، كوفي، مقبول، من الثانية، د، ت، ق. وفي
التهذيب: روى عن الأحنف بن قيس حديث الأوعال، وعنه سماك بن حرب، وفيه عن سماك
اختلاف.

قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف، وذكره ابن حبان في الثقات وحسن الترمذي
حديثه. تقريب ٤٣٨/١، تهذيب ٣٤٤/٥.

(٦) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر، اسمه الضحاك،
وقيل صخر، مخضرم، ثقة. تقريب ٤٩/١، تهذيب ١٩١/١.

الأرض إلى السماء؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (أحد وسبعين أو اثنين وسبعين أو ثلاث وسبعين سنة)^(١). ثم سبع سموات كذلك ثم فوق ذلك بحرين أعلاه وأسفله ما بين سماء إلى سماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء والعرش فوق ذلك، والله عز وجل فوق العرش^(٢). رواه إبراهيم بن طهمان وعنبسة بن سعيد وجماعة عن سمالك.

(١) هكذا في الأصل أحد وسبعين. الخ. والصواب كما في رواية أبي داود (إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة) بالرفع.

(٢) في أسناده عبد الله بن عميره مقبول، لكن حسن الترمذي حديثه. وقد أخرج الحديث: — د/ في السنة/ باب في الجهمية ٩٣/٥ ح ٤٧٢٣ من طريق محمد بن الصباح البزاز، ثنا الوليد بن أبي ثور عن سمالك به.

— جـه/ المقدمة/ باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية ١/٦٩ ح ١٩٣ من طريق محمد بن يحيى ثنا محمد بن الصباح، ثنا الوليد بن أبي ثور عن سمالك به.

— ت/ في تفسير سورة الحاقة/ تحفة الأحوذى ٩/٢٢٣ ح ٣٣٧٦ من طريق عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرحمن بن سعد، عن عمرو بن قيس عن سمالك بن حرب به، وقال: قال عبد بن حميد سمعت يحيى بن معين يقول: ألا يريد عبد الرحمن بن سعد أن يحج حتى يسمع منه هذا الحديث. ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

قال: المباركفوري معلقاً على الحديث (والله فوق ذلك) أى فوق العرش، وفيه دليل على أن الله تعالى فوق العرش، وهذا هو الحق وعليه تدل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم - رضوان الله عليهم أجمعين - . قالوا: إن الله تعالى استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معلوم، والكيف مجهول. والجهمية قد أنكروا العرش وأن يكون الله فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان. ولهم مقالات قبيحة باطلة، وإن شئت الوقوف على دلائل مذهب السلف والاطلاع على رد مقالات الجهمية الباطلة، فعليك أن تطالع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب أفعال العباد للبخاري، وكتاب العلل للذهبي. اهـ. تحفة الأحوذى ٩/٢٢٥-٢٢٦.

قلت: وتطالع أيضاً في الرد على الجهمية: كتاب الرد على الجهمية لابن منده، وكتاب الصفات والنزول للدارقطني، وكلها مطبوعة. وكتاب اللالكائي، والتوحيد لابن خزيمة.

(٢-٢٢) أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب، قال: حدثنا محمد ابن أحمد بن حمويه بن عباد، قال: حدثنا أحمد بن حفص، قال: حدثنا أبي، قال: ثنا إبراهيم بن طهمان^(١) بهذا. ورواه شيبان وغيره عن قتادة، عن الحسن عن أبي هريرة - رضى الله عنه - (قال): مسيرة كل سماء خمسمائة عام. وكذلك رواه أبو معاوية عن الأعمش عن أبي نضرة عن أبي ذر قال خمسمائة عام.

إخبار النبى (ﷺ) عن ليلة المعراج

(... ..) سماء فوق سماء ووصفه ذلك لأصحابه رضوان الله عليهم -

١/١٠ (٣-٢٣) أخبرنا محمد بن الحسين^(٢) قال: حدثنا أبو الأزهر أحمد

(١) إبراهيم بن طهمان الخراساني، أبو سعيد، سكن نيسابور ثم مكة، ثقة يغرب، تكلم فيه للارجاء، وذكر الحاكم أنه رجع عنه، من السابعة، وقد وثقه غير واحد. تقريب ٣٦/١، تهذيب ١٣١-١٢٩/١.

(٢) محمد بن الحسين. تقدم ح رقم (١).

ابن الأزهر^(١) قال : حدثنا روح بن عبادة^(٢) قال : حدثنا سعيد^(٣) عن قتادة^(٤) قال : حدثنا أنس بن مالك^(٥) عن مالك بن صعصعة^(٦) أن نبي الله ﷺ - لما عرج به إلى السماء -

وأخبرنا عبد الله بن محمد بن الحرث قال : حدثنا محمد بن يزيد ويحيى بن إسماعيل البخاري قالا : حدثنا محمد بن سلام قال : حدثنا محمد ابن سليمان قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : حدثنا نبي الله ﷺ - قال : بينا أنا عند البيت بين اليقظان والنائم إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين ، أتيت فأنتلق بي فشرح صدرى إلى كذا وكذا يعنى أسفل بطنه (فاستخرج) قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فغسل ثم أعيد مكانه وحشى إيماناً وحكمة ثم أتيت بدابة (أبيض يقال) له البراق فوق الحمار

(١) أبو الأزهر أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط العبدى النيسابورى ، الثقة ، الجوال ، قال أبو حاتم : صدوق ، وقال النسائي والدارقطني : لا بأس به ، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين . تذكرة الحفاظ ٤٤٥/٢ ، تقريب ١٠/١ .

(٢) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسى ، أبو محمد البصرى ، ثقة ، فاضل ، له تصانيف ، من التاسعة . / عم ١ . تقريب ٢٥٣/١ ، روى عنه أحمد بن منيع . تهذيب ٢٩٣/٣ .
(٣) سعيد بن أبي عروبة ، مهران اليشكرى مولاهم أبو النضر البصرى ، ثقة ، حافظ ، له تصانيف ، لكنه كثير التدليس ، واختلط ، وكان من أثبت الناس فى قتادة ، من السادسة . / عم ١ . تقريب ٣٠٢/١ .

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى ، أبو الخطاب البصرى ، ثقة ، ثبت ، وهو رأس الطبقة الرابعة . / عم ١ . تقريب ١٢٣/٢ .

روى عن أنس وعنه سعيد بن أبي عروبة . تهذيب ٣٥١/٨ .
(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى خادماً رسول الله ﷺ - صحابي مشهور ، روى عنه قتادة . تقريب ٨٤/١ ، تهذيب ٣٧٦/١ .

(٦) مالك بن صعصعة الأنصارى المازنى ، صحابي ، روى عنه أنس حديث المعراج ، وكأنه مات قديماً ، تقريب ٢٢٥/٢ .
قلت : وهو هذا الحديث .

ودون البغل يقطع خطوه (عند أقصى) طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل - عليه السلام - وقيل من هذا؟ قال جبريل «قيل ومن معك» قال محمد، قال ففتح لنا الباب وقالوا مرحبا به ولنعم المجيء جاء، ثم أتيت على آدم فقلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. ففتح لنا وقالوا: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى عليهما السلام فقلت: يا جبريل من هذان؟ قال: هذان عيسى ويحيى، قال سعيد أحسبه قال ابنا الحالة، قال فسلمت عليهما فقالا مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة فكان مثل قولهم فأتيت على يوسف - عليه السلام - فسلمت عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة، فأتينا على إدريس - عليه السلام - فسلمت عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الخامسة فأتيت على هارون - عليه السلام - فسلمت عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فأتيت على موسى - عليه السلام - فسلمت عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما جاوزته بكى فنودى ما يبكيك فقال: يارب هذا غلام بعثته بعدى تدخل من أمته الجنة أكثر مما تدخل من أمتى، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة فاستفتح جبريل - عليه السلام - فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال (محمد) قيل، وقد بعث إليه قال نعم، ففتح لنا وقالوا مرحبا به ولنعم المجيء جاء، قال سعيد بن أبى عروبة عند كل سماء قيل لهم مثل هذا يعنى من استفتاح جبريل - عليه السلام - ومن

قولهم له فأتيت على إبراهيم - عليه السلام - فقلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه، فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم رفع لنا البيت المعمور، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت (المعمور) يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لا يعودن إليه آخر ما عليهم ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فحدث نبى الله (ﷺ) أن ورقها مثل آذان الفيلة وأن نبقها مثل قلال هجر (وحدث النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذه الأنهار يا جبريل؟ فقال: أما النهران الظاهران النيل والفرات، وأما الباطنان فنهران فى الجنة. قال نبى الله ﷺ - ثم أتيت بإنائين أحدهما خمر، والآخر لبن، فعرضا على فاخترت اللبن فقال لى أصبت، أصاب الله بك، أمتك (على الفطرة) ثم فرضت على الصلاة^(١).

* * *

(١) اسناده صحيح. وأخرجه خ/ فى بدء الخلق/ باب (٦) ذكر الملائكة / ٦/ ٣٠٢ ح ٣٢٠٧ من طريق هذبة بن خالد، ثنا همام عن قتادة، وقال لى خليفة: ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد وهشام قالا: ثنا قتادة مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

— م/ فى الإيمان/ باب الاسراء ١/ ١٤٩ ح ٢٦٤ من طريق محمد بن المثنى، ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة به.

— س/ فى الصلاة/ فرض الصلاة ١/ ١٧٨ من طريق يعقوب بن إبراهيم، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا هشام الدستوائى قال: ثنا قتادة مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

التعليق :

توحيد الألوهية هو مناط الإيمان بالله وحده خالفاً ومعبوداً، وإخلاص العبادة له ﴿إلا الله الدين الخالص﴾ (الزمر/٣).

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ (البينة/٥).

هذا النوع من التوحيد هو الذى اشتد الخصام فيه بين الأنبياء وأممهم فقد قال عنه المشركون كما حكاه الله عنهم ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾ (ص/٥).

لذلك كانت دعوة الرسل جميعاً لتصحيح هذا النوع من التوحيد، فكل نبي قال لقومه ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾.

وقد كانت دعوة خاتم الرسل محمد - ﷺ - الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، كدعوة من سبقه من الأنبياء، فهم أبناء علات دينهم واحد، وكونه - ﷺ - خاتم الأنبياء ودينه آخر الأديان لا يقبل الله من أحد ديناً غيره ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾. . فقد أيده الله بهذا الكتاب الذى لم يفرط الله فيه من شيء، وجعله معجزته الخالدة، وضمنه الحجج القاطعة الدامغة فى باب العقائد وفى غيرها لشموله لجميع نواحي الحياة، ولما كان الناس الذين بعث فيهم المصطفى - ﷺ - معترفون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت، وكذلك يعترف بهذه الحقيقة كل ملحد معاند قبله - ﷺ - وبعده إلى عصرنا الحاضر.

فقال عن المشركين ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ (الزخرف/٨٧).

وقال عن فرعون المدعى الربوبية والألوهية ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾.

﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾.

ومثله الملحدون فى العصر الحاضر، فهم يجحدون بألسنتهم ما تستيقنه قلوبهم، لذلك فقد جاءت حجج هذا الكتاب المبين ملزمة لهم بهذا الاعتراف أى إذا كان الله هو الخالق وحده، فيجب أن تخلص له العبادة وحده.

هذا وقد تنوعت آيات الاستدلال بالخلق ، حيث شملت كل مخلوقاته تعالى العظيمة والحقيرة - الحقيرة - بالنسبة في نظر المخلوق ، وإلا فكل شيء أمام القدرة الإلهية حقير ويسير ، ﴿إنها أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ . فمخلوقاته الدالة على وحدانيته لا تعد ولا تحصى ، ففى كل شيء له آية تدل على أنه واحد . وقد أورد المؤلف تحت هذه الترجمة عدداً من آيات الله القرآنية التى تنبه المخاطب وتلفت نظره إلى آيات الله الكونية ، ومن تلك الآيات :

خلق السماء :

فقد بين القرآن الكريم أنها جرم خلقه الله تعالى ، بناه ورفعها ، وأنها محكمة فى صنعها ليس فيها خلل ولا تصدع ، ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ مرفوعة بأمر خالقها محفوظة بقدرته ، وأنها آية من آيات الله الكبرى المعروضة للأنظار المصاحبة للواقع المشهود للنظر فيها بعين البصيرة لا بالبصر المجرد حتى يأخذ منها المخاطب الدليل على وحدانية خالقها ومتقن صنعها .

يقول تعالى : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ .

ويقول : ﴿أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها﴾ .

ولكونها آية دالة على وحدانية خالقها ، فقد اثنى على المتفكرين فيها فقال : ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ .

فتأملهم فى خلق السموات والأرض وما اشتملنا عليه من آيات كونية دالة على قدرة خالقها أدى ثمرته كما بيته الآية الكريمة ، إذ رتبت النتائج على مقدمات التفكير دون فاصل بينهما ، فتفكرهم دعاهم إلى ذكره تعالى فى كل حالة من حالاتهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ثم علموا أن هذه المخلوقات لا يمكن أن توجد عبثاً ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ فنقلهم ذلك التفكير الواعى فى هذا الكون الفسيح وفى بديع صنعه إلى الإتيان بالله وحده خالق هذا الكون ، وبها وراء هذا العالم المشاهد ، وهذه

الحياة الحاضرة، ولذلك طلبوا من ربهم وخالقهم، وقياتهم من عذاب النار ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية ١٩٤/٤ : هذه هي طريقة المنهج الرباني في التوجيه للانتقال من مرحلة التأثير الوجداني بالتفكير والتدبر في خلق الله إلى مرحلة العمل الإيجابي وفق هذا التأثير تحقيقاً للمنهج الذي أراده الله .

هذا وقد تحدث ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة ١/١٩٦-١٩٧) : عن آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته وقدرته وحكمته في خلق السموات، وابداع صنعها، وما هي عليه من سعة وعظم خلق، وحسن بناء، كما بين أنها أجمع للعجائب الدالة على وحدانية خالقها من كل المخلوقات الأخرى، بل إنه لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات، فقال : الأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر، ولهذا قل أن تحيىء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها.

إما إخباراً عن عظمتها وسعتها، وإما أقساماً بها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتشام بنائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته . وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها . اهـ .

ثم اتبع المؤلف الآيات بأحاديث تفسر تلك الآيات وتوضحها، وتبين عظم السموات وبعد ما بينهن وعظم خلقهن وما حوته من آيات عجيبة دالة على قدرة خالقها وفاطرها وأنه الإله الحق .

فحديث ابن عباس حسنه الترمذى .

وحديث الاسراء والمعراج الذى أورده المؤلف فى هذا الفصل، وهو فى الصحيحين قد شمل آيات عجيبة عن السموات وما فيها من مخلوقات .

كما إن فيه الدليل القاطع فى الرد على من يتشكك فى أن السبع الشداد التى

بناها الله فوق أهل الأرض، والسموات السبع، وهى الطرائق السبع فى موضع آخر، بأنها قد تكون سبع مجموعات من المجرات. . الخ.

حيث إن الرسول - ﷺ - أخبر ويجب قبول خبره إذ هو الصادق المصدوق، بأن جبريل عليه السلام استفتح له من سماء الدنيا وهكذا من سماء إلى سماء إلى السماء السابعة، وإن كل سماء محروسة ومقفلة لا يدخلها جبريل إلا بعد الاستئذان.

فهذا الحديث المتفق عليه يوضح ويفسر الآيات التى ورد فيها ذكر خلق السموات السبع، والسبع الطرائق، والسبع الشدادات التى بناها الله فوق أهل الأرض، والتى لا فطور فيها ولا تصدع، لأن الله يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل/ ٤٤).

ولعل قائل ذلك، لم يطلع على أحاديث الاسراء والمعراج، أو لم يتأمل دلالتها على ذلك، وإلا لن يتردد فى القول بما دلت عليه - إن شاء الله -.

كما أشار المؤلف بعد ذكر تلك الآيات، ان فوق تلك السموات السبع العرش، وقد وردت آيات بينت أن الله سبحانه وتعالى مستوى على عرشه. كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/ ٥).

وفىما أشار إليه المؤلف رد على الجهمية الذين انكروا العرش وأن الله مستوعب عليه وقالوا: إن الله فى كل مكان، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

إذ إن فى حديث المعراج دليل على علو الله على خلقه سبحانه وتعالى. والله المستعان.

٨- ذَكُرْ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِجَ بِبَيْدِهِ
يَقْظَانَا وَأَنَّ قَرِيشًا أَنْكَرَتْ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ رُؤْيَا لَمْ تَنْكَرْ عَلَيْهِ.

(١-٢٤) أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو^(١) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى^(٢) قال: حدثنا ابن وهب^(٣) قال: حدثنا يونس بن يزيد^(٤) قال: قال ابن شهاب^(٥) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن^(٦) سمعت جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس فظفقت

-
- (١) أبو الطاهر أحمد بن عمرو والحامى، محدث مصر، روى عن يونس بن عبد الأعلى وجماعة، توفى سنة احدى وأربعين وثلاثمائة. العبر ٢/٢٥٦، شذرات الذهب ٢/٣٥٨.
- (٢) يونس بن عبد الأعلى عالم الديار المصرية، أبو موسى الصدقى المصرى الحافظ المقرئ الفقيه، ثقة، توفى سنة أربع وستين ومائتين. تذكرة الحفاظ ٢/٥٢٧، شذرات الذهب ٢/١٤٩.
- (٣) ابن وهب. إمام حجة. تقدم فى ح ٤.
- (٤) يونس بن يزيد بن أبى النجاد الحافظ الثبت، أبو يزيد الأيلى، ثقة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة. تذكرة الحفاظ ١/١٦٢، تهذيب ١١/٤٥٠، النجوم الزاهرة ٢/٢٠، ميزان الاعتدال ٤/٤٨٤، طبقات الحفاظ ص ٧١، إلا أن فى روايته عن الزهرى وهما قليلا وعن غيره خطأ. تقريب ٢/٣٨٦.
- (٥) ابن شهاب، أعلم الحفاظ أبو بكر محمد بن مسلم الزهرى، مات سنة أربع وعشرين ومائة. تذكرة الحفاظ ١/١٠٨، حلية الأولياء لأبى نعيم ٣/٣٦٠، تهذيب ٩/٤٤٥، طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٦٣.
- (٦) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى، ثقة، مكث، من الثالثة، روى عنه الزهرى. تقريب ٢/٤٣٠، تهذيب ١٢/١١٦.

أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه^(١). رواه عقيل ومعمربن راشد، وابن أخى الزهرى.

(٢-٢٥) أخبرنا خيثمة بن سليمان^(٢)، قال: حدثنا (محمد ابن) عوف^(٣)، قال: حدثنا أحمد بن خالد الوهبي الحمصى^(٥)، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة^(٦)، قال أخبرنى عبد الله بن الفضل^(٧) عن أبى سلمة، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال:

قال رسول الله - ﷺ -: لقد رأيتنى (وأنا فى الحجر وقريش

(١) اسناده صحيح، وأخرجه: خ/ مناقب الأنصار/ باب (٤١) حديث الاسراء... فتح البارى ١٩٦/٧ ح ٣٨٨٦، من طريق يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب به.
— وفى التفسير/ باب (٣) أسرى بعبد لهيلا من المسجد الحرام/ فتح البارى ٣٩١/٨ ح ٤٧١٠ من طريق أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب به.
— م/ فى الإيمان/ باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١٥٦/١ ح ٢٧٦ من طريق قتيبة بن سعيد، ثناء ليث عن عقيل عن الزهرى.
— ت/ فى التفسير/ سورة بنى اسرائيل ٥٦٦/٨ ح ٥١٤٠.

(٢) خيثمة بن سليمان. تقدم فى ح ١.
(٣) كلمة (محمد) من تهذيب الكمال.
(٤) محمد بن عوف بن سفيان الطائى، أبوجعفر الحمصى، ثقة، حافظ، من الحادية عشرة. / د عم. تقريب ١٩٧/٢.

(٥) أحمد بن خالد بن موسى الوهبي الحمصى الكندى أبوسعيد، صدوق، من التاسعة، روى عنه محمد بن عوف بن سفيان الطائى. تقريب ١٤/١، تهذيب ٢٦/١، تهذيب الكمال ٢٠/١.

(٦) عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون المدنى، نزيل بغداد مولى آل الهدير، ثقة، فقيه، مصنف، من السابعة، روى عن عبد الله بن الفضل الهاشمى. تقريب ٥١٠/١، تهذيب ٣٤٣/٦.

(٧) عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمى المدنى، ثقة، من الرابعة. تقريب ٤٤٠/١.

تسألني^(١) عن مسيري . قال : فسألوني عن أشياء فلم اثبتها من بيت (المقدس) وكربت كربا ما كربت مثله^(٢) ، فرفعه الله عز وجل إلي أنظر إليه فما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى - عليه السلام - قائم ، وإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم أقرب الناس به شبهة عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم - عليه السلام - قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ، قال : فحانت الصلاة فأعتمتهم^(٣) .
رواه أبو داود وحجين بن المثني وغيرهما عن عبد العزيز .

(٣-٢٦) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ، قال : حدثنا محمد ابن نعيم ، قال : حدثنا محمد بن رافع .
وحدثنا حمزة ، قال : حدثنا أحمد (. .) أبي أحمد ، قال : حدثنا زهير ابن حرب ، قال : حدثنا حجين بن المثني ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن عبد الله بن الفضل ، عن أبي (سلمة)^(٤) عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :

قال رسول الله - ﷺ - : رأيتني في الحجر (وقريش)^(٤) تسألني عن

(١) في مسلم (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي إلى بيت المقدس) .
(٢) قوله (فكربت كربا ما كربت مثله) الضمير في مثله يعود على الكرب أو الغم أو الهمة أو الشيء . والكربة والغم الذي يأخذ بالنفس ، وكذا الكرب وكربه الغم إذا اشتد عليه . النهاية ١٦١/٤ .

(٣) اسناد ابن منده حسن ، والحديث صحيح .
— أخرجه م / في الإيمان باب ذكر المسيح ١٥٦/١ ح ٢٧٨ من طريق زهير بن حرب ثنا حجين ثنا عبد العزيز به ، وهي الرواية التالية برقم ٢٦ .
— وأخرجه المصنف في الإيمان ٧٢٥/٢ ح ٧٤٠ مكرر نفس الاسناد هنا .
(٤) ما بين القوسين من رواية مسلم .

مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها (فكربت) (١) كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله عز وجل لى أنظر إليه فما يسألوني عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى وجماعة من الأنبياء ، فإذا موسى - عليه السلام - قائم يصلى ، وإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه ، فحانت الصلاة فأمتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل : يا محمد ! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت فبدأنى بالسلام (٢) .

(٤-٢٧) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن ، قال : حدثنا أحمد ابن أبى الأزهر بن منيع ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن (معروف) قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن على بن بحر ، قال : حدثنا هوزة بن خليفة (٣) ، قالا : حدثنا عوف بن أبى جميلة (٤) ، عن زرارة بن أوفى (٥) قال : قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : قال رسول الله - ﷺ - : لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة عرفت أن الناس مكذبى ، (فقعد) رسول الله - ﷺ - معتزلا حزينا فمر به أبو جهل ، (فجاء

(١) ما بين القوسين من رواية مسلم .

(٢) أخرجه م / فى الإيمان / باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١٥٦ / ١ ح ٢٧٨ من طريق زهير بن حرب به .

(٣) هوزة بن خليفة بن عبد الله ، أبو الأشهب البصرى الأصم نزيل بغداد ، صدوق ، من التاسعة . تقريب ٣٢٢ / ٢ .

(٤) عوف بن أبى جميلة - بفتح الجيم - الاعرابى العبدى البصرى ، ثقة ، روى بالقدر والتشيع ، من السادسة . تقريب ٨٩ / ٢ .

(٥) زرارة - بضم أوله - ابن أوفى العامرى الحرشى - بمهملة وراء مفتوحين ثم معجمة ، أبو حاجب البصرى قاضيهما ، ثقة ، عابد ، من الثالثة ، مات فجأة فى الصلاة . تقريب ٢٥٩ / ١ .

(١) جلس إليه فقال له كالمستهزىء هل كان من شىء؟ قال : نعم . قال : ما هو؟ قال : إنه أسرى بى الليلة . قال : أين؟ قال : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين (ظهرانينا؟ قال : نعم . قال) : فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يحجده الحديث إذا دعا قومه (إليه ، قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم) بما حدثتني إن دعوتهم لك ، قال : نعم . قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا : قال : فجاءوا حتى جلسوا إليهما فقال له : (حدث قومك) بما حدثتني ، فقال رسول الله - ﷺ - : أسرى بى الليلة ، قالوا : (٢) إلى أين؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال : نعم . قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم ، وقالوا أتستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال وفي القوم من قد سافر إلى تلك البلد ورأى المسجد قال رسول الله - ﷺ - : فذهبت أنعت لهم فما زلت أنعت وأنعت حتى ألبس على بعض النعت قال فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حين وضع دون دار عقيل أودار عقال قال فنعته وأنا أنظر إليه قال فقال القوم أما النعت فوالله قد أصاب (٣) .

(٢٨٥) أخبرنا ابن سعد قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن شعيب النسائي (٤) قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا المعتمر بن سليمان (٥) ، عن عوف (بن أبى جميلة) عن زارة بن أوفى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - لما كانت ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة ، فذكر الحديث بطوله نحوه .

(١) ما ذكر بين قوسين فمن المسند .

(٢) (قالوا) في (الأصل) : قال . والتصحيح من المسند .

(٣) اسناده صحيح . وأخرجه حم ٣٠٩/١ من طريق عبد الله حدثني أبى ثنا محمد بن جعفر - وهو غندر - ثقة - وروح المعنى قالوا : ثنا عوف بن أبى جميلة به . واسناده صحيح .

(٤) أحمد بن شعيب بن على بن سنان النسائي الحافظ ، صاحب السنن . تقريب ١٦/١ .

(٥) المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصرى ، ثقة ، من كبار التاسعة . تقريب

٢٦٣/٢ ، تهذيب ٢٢٧/١٠ .

التعليق :

مباحث الإسلام والإيمان متداخلة ، فإذا كانت أركان الإسلام الخمسة تبدأ بالشهادة لله بالوحدانية ، ولرسوله - ﷺ - بالرسالة ، فإن أركان الإيمان الستة تبدأ ، بالإيمان بالله ، والإيمان به يعنى الشهادة له بالوحدانية كما جاء فى حديث وفد عبد القيس . ثم يتبع ذلك الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره .

والإيمان بالرسول معناه تصديقهم فيما جاءوا به من عند الله ، فقد أرسلهم مبشرين ومنذرين ، فيجب تصديقهم فى جميع ما أخبروا به لأنهم لا يقولون إلا الصدق ، سواء أدركت عقول البشر ما أخبروا به أم لا ؟

وما أخبر به محمد - ﷺ - الاسراء والمعراج وما شاهده فى تلك الليلة من آيات ربه الكبرى .

وقد جاء ، قوله تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (الاسراء/ ١) . نص فى الاسراء .

أما المعراج فقد نصت عليه السنة الصحيحة المروية فى الصحيحين وغيرهما كما ترى فى تخريج بعض أحاديث الاسراء التى أوردها المؤلف هنا .

ولما كان الاسراء والمعراج من الأمور الخارقة للعادة ، والتى لا يتحملها عقل الإنسان البذى لا يؤمن بالله القادر على كل شىء أصبح هذا المبحث من مباحث الإيمان الذى مناطه الإيمان بالغيب المبني على الإيمان بالله الواحد الأحد القادر على كل شىء الذى يقول للشىء كن فيكون ، والإيمان بأنه بعث إلى الناس رسولا يبلغهم ما أمره الله به ، ليظهر بذلك الصادق فى إيمانه من الكاذب فيه . وهنا جاء الاختبار لمن واجههم الرسول - ﷺ - بهذا الخبر الذى لم تتحمله عقول الذين لا يؤمنون بالله ، بل فرح بهذا الخبر الطاغية ، فرعون هذه الأمة عدو الله أبوجهل ، فقد اعتبر ذلك الخبر بمثابة طعنة يوجهها إلى دعوة الرسول - ﷺ - ، وإنه كاذب فى دعواه النبوة . ولذلك كما ترى فى الحديث رقم ٢٧ حينما مر أبوجهل على الرسول - ﷺ - وجلس إليه يسأله كالمستهزئ : هل كان من شىء ؟ فقال له الرسول - ﷺ - : نعم . قال : ما هو ؟ قال :

إنه أسرى بى الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . قال : فلم ير أنه يكذبه ، فاستثبت لنفسه حيث قال له : أرايت ان دعوت قومك تحدثهم بمثل ما حدثتني به . قال : نعم . فدعاهم وحدثهم الرسول بكل ذلك .

هنا ظهر الإيمان الصادق ، فقد ارتد من كان إيمانه ضعيفا ، وتعتت المعاند ، وازداد تعنتا وعنادا ، واستهزاء كأبى جهل وأمثاله .

فهؤلاء الذين لم يؤمنوا بالله الواحد الأحد القادر على كل شىء لم تتحمل عقوبتهم هذا الخبر ، لأنهم يقولون - نحن نضرب أكباد الابل إلى بيت المقدس شهرا ذهابا وشهرا إيابا ، فكيف يدعى محمد انه فى ليلة واحدة ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد وأصبح بين ظهرانينا .

والمؤمن بالله حينما قالوا له : إن صاحبك يزعم أنه ذهب فى ليلة إلى بيت المقدس وأصبح بيننا ، قال : إن كان قال ذلك فقد صدق ، كيف لا أصدقه وهو يأتيه خبر السماء صباح مساء ، وقد سمى أبو بكر : الصديق من حينها .

هذا . وإن العقلاء منهم أوجيعهم العاقل والسفيه المعاند قالوا : نخبره عن أوصاف بيت المقدس لعلمهم أنه لم يره اطلاقا ، ولأن منهم من قد سافروا به .

فبدءوا باختباره عن بيت المقدس وعن أوصافه ، وهو يخبرهم بأوصافه ، فلما سألوه عن أشياء لم يشتهها ، رفعه الله له ، وفى رواية : فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ، كما فى رواية مسلم التى أوردها المصنف هنا رقم ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، وفى رواية الإمام أحمد رقم ٢٧ قال : فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حين وضع دون دار عقيل ، أودار عقيل قال : فنعته وأنا أنظر إليه ، فقال القوم : أما النعت فوالله قد أصاب .

نعود الآن إلى رأى المؤلف فى الاسراء والمعراج يقول فى عنوان هذا الفصل : إن ذلك كان بيدنه يقظانا ، وإن قريشا انكرت ذلك ، ولو كان رؤيا لم تنكر عليه ، أى لو كان رؤيا منامية لم تنكر عليه ذلك ، ولماذا ، لأن كل واحد منهم يرى فى منامه أنه سافر إلى بلاد بعيدة ثم يصبح وهو على فراشه ، فلو أن محمدا - ﷺ - قال لهم ذلك لم ينكر عليه أحد .

وإنما أنكروا عليه أنه ذهب بجسده يقظانا في ليلة واحدة وأصبح بينهم، لأن المسافة لا تقطع إلا في شهر ذهابا وشهرا إيابا.

وما قاله المصنف هو الحق الذى دلت عليه الأدلة الصحيحة، وهويشير بهذا إلى قول من يقول: إن الاسراء والمعراج كانا مناما، وقد استند من قال هذا إلى ما ورد في رواية شريك: (وهونائم) وفي الرواية الأخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، والتي أخرجها البخارى - باب ٣٧ - وكلم الله موسى تكليما ح ٧٥١٧ - كتاب التوحيد - فتح البارى ١٣ / ٤٨٠، وسوف أذكر هنا أقوال العلماء في الاسراء والمعراج باختصار:

قال الإمام النووى في شرح مسلم ٢٠٩/٢ - ٢١٠ عن الاسراء، وهل كان مناما، وعن رواية شريك بن أبى نمر التي أخرجها البخارى في كتاب التوحيد من حديث أنس، قال: لخص القاضى عياض - رحمه الله - في الاسراء جملا حسنة فقال: اختلف الناس في الاسراء برسول الله - ﷺ - فقليل، إنما جميع ذلك في المنام.

والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسرى بجسده - ﷺ - والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل، ثم قال: وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك في روايته لحديث الاسراء.

منها: قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه، فإن الاسراء أقل ما قيل أنه كان بعد مبعثه - ﷺ - بخمسة عشر شهرا.

وقال الحرى: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعثه - ﷺ - بخمس سنين.

وقال ابن اسحاق: أسرى به - ﷺ - وقد فشى الإسلام بمكة والقبائل.

قال: وأشبه الأقوال، قول الزهرى وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة - رضى الله عنها - صلت معه - ﷺ - بعد ما فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة، قيل: ثلاث سنين، وقيل خمس، ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه.

وأما قوله في رواية شريك : وهونائم ، وفي الرواية الأخرى ، بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ، ولا حجة فيه ، إذ قد يكون ذلك حالة وصول الملك إليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها ، هذا كلام القاضي - رحمه الله - .

قال النووي : وهذا الذي قاله في رواية شريك ، وأن أهل العلم أنكروها قد قاله غيره ، وقد ذكر البخاري - رحمه الله - رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه ، وأتى بالحديث مطولا .

قال الحافظ عبد الحق - رحمه الله - في كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكره هذه الرواية : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب ، وثابت البناني ، وقتادة - يعني عن أنس - فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث ، قال : والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها ، هذا كلام الحافظ عبد الحق - رحمه الله - . اهـ .

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٤٨٠ في شرح الحديث معذرا عن تفرد شريك ، قوله « قبل أن يوحى إليه » أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي ، ثم بعد أن نقل كلام النووي قال : وصرح المذكورون بأن شريكا تفرد بذلك . قال : وفي دعوى التفرد نظير ، فقد وافقه كثير بن خنيس عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتاب المغازي من طريقه . . إلى أن قال : قوله (لم يرهم) أي بعد ذلك (حتى أتوه ليلة أخرى) ولم يعين المدة التي بين المجيئين ، فيحتمل على أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحى إليه ، وحيث وقع الاسراء والمعراج . . وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق في ذلك بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي كثيرة أو عدة سنين ، وهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الاسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ، ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم وغيرهما بأن شريكا خالف الاجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة وبالله التوفيق .

ويقول ابن القيم في الهدى النبوى ٤٧/٢ باب المعراج، قال: ثم أسرى برسول الله - ﷺ - بجسده على الصحيح.

وفى ص ٤٩ بعد رده على القائلين بتعدد الاسراء، وكيف يكون ذلك مع فرض الصلاة، وهل فرضت مرات متعددة، ثم بين أن ذلك خبط من ضعفاء الظاهرية أرباب النقل الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، قال: والصواب الذى عليه أئمة النقل، أن الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، وقد غلط الحفاظ شريكا فى ألفاظ من حديث الاسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد - رحمه الله - . اهـ.

وهذا يتضح أن ما أشار إليه المصنف من أن الاسراء كان يقظة لا مناما هو الراجح وأن قریشا لم تنكر على الرسول إلا ذلك، ولو كان رؤيا منام لم ينكروا عليه، لأنهم يشاركونه فى مثل ذلك. والله الموفق.

٩ - ذِكْرَانِيَّةٌ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَدِيعِ صُنْعَتِهِ فِي خَلْقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .

قال الله عز وجل : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١) الآية .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٢) الآية .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (٣) الآية .

(١-٢٩) أخبرنا اسماعيل بن محمد بن اسماعيل (٤) وعثمان بن أحمد (٥) قالا : حدثنا محمد بن عبيد الله بن أبي داود (٦) ، وأخبرنا محمد بن

(١) سورة يس الآية : ٣٨ .

(٢) سورة الأسراء الآية : ١٢ . .

وقامها : ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ .

(٣) سورة ابراهيم الآية ٣٣ .

(٤) اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الصفار، أبو علي النحوي صاحب المبرد، سمع ابن المنادي، قال الدارقطني : ثقة، وكان متعصبا للسنّة، مات سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . تأريخ بغداد ٣٠٢/٦، المنتظم لابن الجوزي ٣٧١/٦، العبر ٢/٢٥٦ .

(٥) عثمان بن أحمد - أبو عمرو الدقاق - بن عبد الله بن يزيد المعروف بابن السماك، ثقة، ثبت، مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . تأريخ بغداد ٣٠٢/١١ .

(٦) محمد بن عبيد الله بن يزيد بن أبي داود - بن المنادي - قال أبو حاتم : صدوق، وقال عبد الله بن أحمد ومحمد بن عبدوس : ثقة، مات سنة اثنتين وسبعين ومائتين . تأريخ بغداد ٢/٢٢٦، تهذيب ٩/٣٢٥، تقريب ٢/١٨٨ .

يعقوب قال : حدثنا إبراهيم بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن عبيد .
وأخبرنا عمر بن محمد العطار بمصر قال : حدثنا أحمد بن خليف الحلبي
قال : حدثنا أبو نعيم^(١) جميعا عن الأعمش عن إبراهيم التيمي^(٢) عن
أبيه^(٣) عن أبي ذر - رضي الله عنه - ثم قال : كنا مع رسول الله - ﷺ - في
المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس ؟
قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش عند
ربها عز وجل فيقال لها اطلعي من مكانك فذلك قوله ﴿والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٤) . الآية .^(٥) رواه وكيع وأبو معاوية
(ووكيع مكرر)^(٦) .

أ/١٤

(٢-٣٠) أخبرنا الحسين بن علي قال : حدثنا الحسن بن عامر
قال : حدثنا عبيد الله بن محمد العباسي ، وأخبرنا حسان بن محمد قال :

-
- (١) أبو نعيم - الفضل بن دكين الكوفي - أبو نعيم الملائني ، مشهور بكنيته ، ثقة ، ثبت ، من
التاسعة ، من كبار شيوخ البخاري ، روى عن الأعمش تقريب ١١٠/٢ ، تهذيب ٢٧٠/٨ .
روى عنه أحمد بن خليف الحلبي . تهذيب الكمال ١٠٩٦/٢ .
- (٢) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، يكنى أبا أسماء الكوفي العابد ، ثقة ، إلا أنه يرسل
ويدلس ، من الخامسة ، روى عن أبيه . تقريب ٤٥/١ ، تهذيب ٣٣٧/١١ .
- (٣) يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي ، ثقة ، يقال إنه أدرك الجاهلية ، من الثانية ،
روى عن أبي ذر وعنه ابنه إبراهيم . تقريب ٣٦٦/٢ ، تهذيب ٣٣٧/١١ .
- (٤) سورة يس الآية : ٣٨ .
- (٥) إسناده صحيح ، وأخرجه :
- خ / بدء الخلق / باب (٤) صفة الشمس والقمر / فتح الباري ٢٩٧/٦ ح ٣١٩٩ من
طريق محمد بن يوسف ، ثنا سفيان عن الأعمش به .
- وفي التفسير / باب والشمس تجري لمستقر لها / فتح الباري ٥٤١/٨ ح ٤٨٠٢ من طريق
أبي نعيم به .
- (٦) هكذا في الأصل .

حدثنا إبراهيم بن أبي طالب قال: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - قال: دخلت المسجد ورسول الله - ﷺ - جالس فلما غابت الشمس قال: يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قيل لها أرجعي من حيث جئت قال: فتطلع من مغربها قال: ثم قرأ في قراءة عبد الله وذلك مستقر لها^(١).

(٣-٣١) أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل، (ومحمد) بن يعقوب قالوا: حدثنا أحمد بن سلمة قال: حدثنا اسحق (ابن إبراهيم)^(٢) قال: أخبرنا وكيع قال: حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي (عن أبيه)^(٢) عن أبي ذر- رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - عن قول الله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾. قال: مستقرها تحت العرش^(٣).

(٤-٣٢) أخبرنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا أبو بكر بن اسحق

(١) خ / في التوحيد / ب باب وكان عرشه على الماء وهورب العرش العظيم / فتح الباري ٤٠٤/١٣ ح ٧٤٢٤ من طريق يحيى بن جعفر، ثنا أبو معاوية عن الأعمش به .

م / في الإيمان / باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٩/١ ح ٢٥٠ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب قالوا : ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش به .

(٢) ما ذكرين قوسين من مسلم .

(٣) أخرجه : خ / التفسير / باب والشمس تجري لمستقر لها ٥٤١/٨ ح ٤٨٠٣ من طريق الحميدي، ثنا وكيع به .

— وفي التوحيد / باب تعرج الملائكة والروح إليه / فتح الباري ٤١٦/١٣ ح ٧٤٣٣ من طريق عياش بن الوليد، ثنا وكيع به .

— م / في الإيمان ١٣٩/١ ح ٢٥١ من طريق أبي سعيد الأشج واسحاق بن إبراهيم به .

قال : حدثنا مومل بن هشام قال : حدثنا اسماعيل بن عليّة عن يونس بن عبيد عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال يوما : أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إن هذه تجري حين تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حين تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها . قال رسول الله - ﷺ - : أتدرون متى ذلكم؟ حين ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ (١)، (٢) .
رواه خالد بن عبد الله .

(٥-٣٣) أخبرنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن العباس الكنانى ١/١٥

قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جابر قال : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعة حتى

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥٨ .

(٢) أخرجه م / الإيمان / باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/١٣٨ ح ٢٥٠ من

طريق يحيى بن أيوب ، وإسحاق بن إبراهيم جميعا عن ابن عليّة به .

تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾ (١). الآية (٢).

(٦-٣٤) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفى (٣) قال: ثنا ابراهيم ابن مرزوق البصرى (٤) قال: حدثنا عثمان بن عمر (٥)، حدثنا اسرائيل (٦) عن أبى اسحق (٧) عن وهب بن جابر (٨) عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنها - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (... ..) إثمًا أن يضيع

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥٨ .

(٢) أخرجه : خ / في التفسير / سورة الأنعام / فتح البارى ٢٩٧/٨ ح ٤٦٣٦ .
— م / في الإيمان / باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ١٣٧/١ ح ٢٤٨ من طرق منها عن أبى بكر بن أبى شيبة، ثنا حسين بن على عن زائدة عن عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن الأعرج به .

— كما أخرج هذه الروايات جميعا المصنف في كتاب الإيمان / في ذكر وجوب الإيمان بطلوع الشمس من مغربها... الخ ٩٠٣/٣ حديث رقم : ١٠١٢، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧ .

(٣) الحسن بن يوسف الطرائفى المسند، أبو على، سمع منه ابن مندة، توفى في رجب سنة أربعين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٠ .

(٤) ابراهيم بن مرزوق بن دينار الأموى ابو اسحاق البصرى، نزيل مصر. قال الدارقطنى : ثقة، إلا أنه يخطئ، فيقال له فلا يرجع. مات سنة سبعين ومائتين. تهذيب ١٦٣/١، روى عن عثمان بن عمر. تهذيب ١٤٢/٧ .

(٥) عثمان بن عمر بن فاس العبدى، بصرى، أصله من بخارى، ثقة، قيل كان يحبى بن سعيد لا يرضاه، من التاسعة، روى عن اسرائيل، وعنه ابراهيم بن مرزوق. تقريب ١٣/٢، تهذيب ١٤٢/٧ .

(٦) اسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى، ثقة، تكلم فيه بلا حجة، من السابعة. تقريب ٦٤/١ .

(٧) أبو اسحاق. هو السبيعى .

(٨) وهب بن جابر الخيوانى - بفتح الحاء المعجمة وسكون التحتانية - الهمدانى الكوفى، =

من يقوت ثم أنشأ يحدث عن الشمس (.) إذا غربت صعدت إلى السماء فسلمت وسجدت (.) فأذن لها وباتت تجري فهي كذلك حتى تأتي عليها ليلة فتسجد فلا يقبل منها وتسلم فلا يرد عليها وتستأذن فلا يؤذن لها وتلمس من يشفع لها فلا تجد لها أحدا يشفع لها فتقول إن المشرق بعيد فلا يؤذن لها، فإذا طلع الفجر قيل لها اطلعي من مكانك فذلك حين ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها ﴾ الآية .

أول الحديث رواه الثوري وغيره .

وآخر الحديث من قول عبد الله بن عمر، وهذا اسناد صحيح على رسم النسائي^(١)، ووهب بن جابر روى عنه ابنه سعيد وغيره .

(٧-٣٥) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن منده وعبد الله بن ابراهيم بن الصباح قالا : حدثنا أحمد بن الفرات قال : أخبرنا أبو داود واسحق بن سليمان عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : نظر النبي ﷺ - إلى القمر فقال : استعيزي بالله عز وجل من شره ، فإنه الغاسق إذا وقب . هذا خبر ثابت على رسم النسائي^(٢) وجماعة . أخرجه في التفسير .

= روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، لقيه بيت المقدس . روى عنه أبو إسحاق الهمداني وحده ، قال عثمان الدارمي عن ابن معين : ثقة . وقال العجلي : ثقة . وعن ابن المديني : مجهول . وقال النسائي : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات . وفي التقريب : مقبول من الرابعة . / د ، س .

تهذيب ١١/١٦٠ ، تقريب ٢/٢٣٧ .

(١) حكم المصنف للاسناد بالصحة على شرط النسائي . وقد ذكر ان وهب بن جابر روى عنه ابنه سعيد . وكما ترى في ترجمة وهب . قال ابن حجر : روى عنه أبو إسحاق الهمداني وحده . وقد راجعت تهذيب الكمال ٣/١٤٧٨ فقال : روى عنه أبو إسحاق ولم يرو عنه غيره ، وكأنه يشير إلى كلام ابن مندة هذا . والله أعلم .

(٢) وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير سورة الفلق ٣٠/٣٥٢ من طريق ابن حيد ، ثنا مهران عن سفيان عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب به .

التعليق :

المتأمل في هذا العالم المترابط الأجزاء يجد فيه الدلالة الواضحة على قدرة خالقه، وكمال حكمته، فالناظر فيه بعين البصيرة يعلم أن خلق هذه الموجودات كلها وتسخيرها لمن خلقت له، أوضح دليل على وحدانية خالقتها وبارئها، فهي تسير وفق نظام واحد لا يتغير مما يدل على أنها تسير بإرادة خالق واحد، وإذا تأمل الإنسان بفكره وعقله في بعض جزئيات هذا العالم المسخر لمصلحته، والتي بها استقرار حياته كفاه ذلك دليلاً واضحاً وحجة بينة على وحدانية خالقه، وأنه المستحق لأن يعبد وحده .

فمن تلك الجزئيات الشمس، وما تضمنته من مصالح عليها قوام حياة الناس ومعاشهم، وحياة المخلوقات جميعاً، من حيوان، ونبات، فإن الناظر فيها يلمس كمال العناية واللفظ من الله تعالى، والرحمة بهذا الإنسان الذي كرمه على كثير من مخلوقاته، ذلك أن أول ما ينتج عن طلوع الشمس وغروبها تعاقب الليل والنهار، اللذان هما من أعجب آيات الله، وبدائع مصنوعاته كما قال تعالى : ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت/ ٣٧).

فلولا تسخير العليم القدير لها لتعطل أمر العالم، إذ كيف يتصرف الناس ويسعون لكسب معاشهم، وطلب أرزاقهم إذا لم يكن هناك ضياء يبصرون به، ثم كيف يكون لهم قرار وهدوء تستريح به أبدانهم ويستعيدون فيه قواهم إذا لم يكن هناك ليل يسكنون فيه، فنعمة الليل والنهار الناجمين عن طلوع الشمس وغروبها من أعظم آيات اللطيف الخبير .

وقد نبه الله عباده إلى تلك العناية والرحمة بهم في جعله الليل والنهار متعاقبين ليتمكنوا من طلب المعاش والسعى في تحصيل الرزق في النهار المبصر، والهدوء والراحة في لباس الليل الهادئ، وبين أن ذلك التصريف الحكيم حاصل بأمره وتقديره ومشيئته وإرادته .

يقول تعالى : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من

إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿ (القصص / ٧١-٧٣) .

أى لعلكم تشكرون نعمة الله وإحسانه إليكم فتخلصوا له العبادة .

والقمر آية عظيمة من آيات الله العليم القدير ، وسيبقى كذلك إلى أن يأتي انقضاء هذا العالم كله ، وحيث أن له ارتباطاً وثيقاً بحياة هذا الإنسان على هذه الأرض فقد أشار الله إلى ذلك في مواضع من كتابه ، ليدل بذلك على وحدانيته في تصريف هذا العالم .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (البقرة / ١٨٩) .

فخلق الله للقمر من عجائب آياته الدالة على كمال وحدانيته ، وعنايته بعباده إذ يبدیه الله تعالى كالمخطط دقيقاً ، ثم يزايد شيئاً فشيئاً كل ليلة إلى أن يصير بدراً ، ثم يأخذ الاستدارة في النقصان حتى يعود^(١) كالمرجون القديم ، كما قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (يس / ٣٩) .

فيتميز بذلك عدد الأشهر والسنين ، ويقوم حساب العالم ، فبالشمس تعرف الأيام ، وبسير القمر في منازل تعرف الشهور والأعوام ، لأنه لو كان الزمن نسقاً متساوياً سرمداً ، لما عرف شيء من ذلك ، وقد نبه الله عباده إلى ذلك حيث يقول : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ . (يونس : ٥) .

وقد قال ابن كثير في تفسير الآية : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

قال في معنى «لستقر لها» قولان :

أحدهما : ان المراد مستقرها المكانى ، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك

(١) تفسير ابن كثير ٥٦٣/٦ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١٩٨/١ .

الجانب، وهى أينما كانت فهى تحت العرش هى جميع المخلوقات، لأنه سقفها، وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هوقبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهو فوق العالم مما يلى رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت فى قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت فى فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون من العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث.

ثم أورد الأحاديث التى أوردها المصنف هنا.

والقول الثانى: أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة يبطل سيرها، وتسكن حركتها وتكور وينتهى هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزمانى.

قال قتادة: «لمستقرها» أى لوقتها ولأجل لا تعدوه.

ثم نقل أقوالاً أخرى عن عبد الله بن عمرو، وابن مسعود

هذا وقد أورد المصنف معظم هذه الأحاديث فى كتاب الإيمان / باب (١٠١) ذكر وجوب الإيمان بطلوع الشمس من مغربها ٣/٩٠٣، وقد جاء فى هذه الأحاديث سجود الشمس واستئذانها كما ترى هنا، وهما أمران أخبر بهما من لا ينطق عن الهوى.

وقد قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾. (الأسراء: ٤٤).

فنحن نؤمن بتسبيح كل شيء من مخلوقاته له تعالى، وإن لم نفقه ذلك التسبيح، فكذلك يجب أن نؤمن بسجود الشمس تحت العرش واستئذانها لصحة الخبر بذلك عن النبي - ﷺ - وإن لم نعلم كيفية ذلك السجود والاستئذان.

ومناط الإيمان هو الإيمان بالغيب، ولا يتم إيمان امرء حتى يؤمن بجميع ما أخبر الله به فى كتابه، وأخبر به رسوله - ﷺ - فى سنته الصحيحة.

وقد أثنى الله على المؤمنين بالغيب فى مواضع من كتابه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾ الآية. البقرة ١-٣ إلى غير ذلك من الآيات.

والله الهادى إلى سواء السبيل.

١٠- ذَكَرَ آيَةُ أُخْرَى نَدَّلَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اسْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ فِي خَلْقِ النُّجُومِ.

قال الله تعالى : ﴿وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾^(١) .
وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾^(٢) الآية .
وقال الله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾^(٣) .

(١-٣٦) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف^(١) قال : حدثنا بحر ١/١٦
ابن نصر بن سابق^(٥) قال : حدثنا عبد الله بن وهب^(٦) قال : حدثنا يونس
ابن يزيد^(٧) عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري^(٨) عن علي بن
الحسين^(٩) عن ابن عباس قال : حدثني رجال من أصحاب
النبي - ﷺ - .

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٤ ، وسورة النحل الآية : ١٢ .

(٢) سورة الملك الآية : ٥ .

(٣) سورة الصافات الآية : ٦ ، ٧ .

(٤) محمد بن يعقوب بن يوسف الأخرم ، امام ، تقدم .

(٥) بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولا هم المصري أبو عبد الله ، ثقة ، من الحادية عشرة /
كن / تقريب ٩٣/١ .

(٦) عبد الله بن وهب ، امام ، تقدم في ح ٤ .

(٧) يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي ، أبو يزيد ، تقدم في ح ٢٤ .

(٨) الزهري . تقدم في ح ٢٤ .

(٩) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، فاضل ،

مشهور ، من الثالثة ، روى عن ابن عباس . تقريب ٣٥/٢ ، تهذيب ٣٠٤/٧ .

وأخبرنا خيثمة بن سليمان^(١) ومحمد بن يعقوب قالا : حدثنا العباس ابن الوليد بن مزيد^(٢) قال : أخبرني أبي ، الوليد^(٣) قال : حدثني الأوزاعي^(٤) عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال : حدثني رجال من الأنصار أنهم بينا هم جلوس ليلة مع النبي - ﷺ - إذ رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله - ﷺ - : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ، قلنا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ، ومات الليلة رجل عظيم . فقال رسول الله - ﷺ - : إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا عز وجل إذا قضى «أمرا»^(٥) سبحت حملة العرش ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء (الدنيا) يقول الذين يلون حملة العرش ماذا قال ربكم (فيخبرونهم ماذا قال ، فيستخبر) أهل السموات بعضهم بعضا حتى يبلغ (الخبر هذه السماء الدنيا) فتخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم ويرمون بالشهاب^(٦) ، فما جاءوا به على وجهه فهو الحق ولكنهم يقرفون^(٧) فيه ويزيدون^(٨) .

(١) خيثمة بن سليمان ، امام . تقدم في ح ٣ .

(٢) العباس بن الوليد بن مزيد العذري أبو الفضل البيروتي ، صدوق ، مات سنة سبعين ومائتين . تهذيب ١٣١/٥ .

(٣) الوليد بن مزيد العذري ، ثقة ، ثبت ، مات سنة سبع وثمانين ومائة ، وقال العباس : مات أبي سنة ثلاث ومائتين . تهذيب ١٥٠/١١ .

(٤) الأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو ، الفقيه ، ثقة ، جليل ، من السابعة . تقريب ٤٩٣/١ .

(٥) ما ذكر بين قوسين في المتن فمن رواية مسلم .

(٦) في مسلم (ويرمون به) .

(٧) «يقرفون» : أي يضيغون ، قرفه بكذا ، أضافه إليه واتهمه به . النهاية ٤٥/٤ .

(٨) استاده صحيح . وأخرجه :

رواه الوليد بن مسلم وأبو المغيرة، ورواه جماعة عن الزهري منهم صالح بن كيسان، وشعيب بن أبي حمزة، ومעقل بن عبيد الله، وزياد بن سعد، ومحمد بن اسحاق^(١)، ورواه معمر عن الزهري، عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن النبي - ﷺ -، ورواه محمد بن اسحاق عن عمر يعني ابن أبي عمر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة^(٢)، عن علي ابن الحسين.

(٢-٣٧) أخبرنا عمرو بن ابراهيم البزار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مسلم أبو يحيى الرازي قال: حدثنا سهل بن عثمان قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: إن الشياطين كانت لهم مقاعد (يستمعون) فيها الوحي، فلما بعث النبي - ﷺ - منعوا، فشكوا الى ابليس، فقال ما هو إلا لأمر حدث فانظروا نواحي الأرض فانظروا، فانطلقوا فاذا هم برسول الله - ﷺ - (قائم يصلي) بين جبلي نخلة^(٣).

= م / في السلام / باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٤ / ١٧٥٠ ح ١٢٤ من طريق حسن ابن علي الحلواني، وعبد بن حميد، قال حسن: ثنا يعقوب، وقال عبد: حدثني يعقوب بن ابراهيم بن سعد، ثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب به.

— وحم / ٢١٨/١ من طريق محمد بن مصعب، ثنا الأوزاعي به.

— ت / تفسير سورة سباء، تحفة الأحوذى ٩١/٩ ح ٣٢٧٧ من طريق نصر بن علي الجهضمي، أخبرنا عبد الأعلى، أخبرنا معمر عن الزهري به. دون قوله «رجال من الأنصار»، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى هذا الحديث عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار، قالوا: كنا عند النبي ﷺ.

(١) وصله ابن جرير في تفسير سورة الصافات ٣٧/٢٣.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة - بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتانية وفتح الموحدة الأخرى -، ويقال ابن لبيبة، كثير الإرسال، من السادسة. تقريب ١٨٤/٢.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الصافات ٣٦/٢٣ نحوه.

قال ابن عباس : إذا رأيتم (.)^(١) فتواروا فإنه لا يخطيء وهو يحرق ما أصاب ولا يقتل (.)^(١) ابن أبي اسحاق ومحمد بن أبان ، ورواه عن سعيد بن جبير ، عطاء بن السائب ، وأبو بشر ، ورواه عن ابن عباس عكرمة ، ومروان السلمي ، ورواه مرسلا عكرمة وعامر الشعبي وأيوب عن سعيد بن جبير .

(٣-٣٨) أخبرنا أحمد بن اسحاق بن أيوب^(٢) ، وعلى بن محمد ابن نصر قالوا : حدثنا بشر بن موسى^(٣) قال : حدثنا عبد الله بن الزبير^(٤) وأخبرنا محمد بن يونس^(٥) قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن النضر بن سلمة الجارودي قال : حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن مخلد ، ومحمد بن يحيى ابن أبي عمر ، وأحمد بن عبدة ، واللفظ له ، قالوا : حدثنا سفيان بن عيينة ،

(١) بياض في الأصل .

(٢) أحمد بن اسحاق بن أيوب النيسابوري ، أبو بكر الامام الجليل الضبي أحد الأئمة الجامعين بين الفقه والحديث ، قال الحاكم : وكان الضبي - بالضاد المعجمة - يضرب بعقله المثل ويرأيه ، وما رأيت في مشايخنا أحسن منه ، وكان لا يدع أحدا يغتاب في مجلسه .

سير أعلام النبلاء ١٠/١٢٠ ، طبقات الشافعية ٣/٩ ، شذرات الذهب ٢/٣٦١ .

(٣) بشر بن موسى المحدث الإمام الثبت أبو علي الأسدي ، قال الدارقطني : ثقة نبيل ، مات في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين . تذكرة الحفاظ ٢/٦١١ ، طبقات الحفاظ ص ٢٧٠ .

(٤) عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي ، المكي ، أبو بكر ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، أجل أصحاب ابن عيينة ، من العاشرة . تقريب ١/٤١٥ .

(٥) محمد بن يونس بن عبد الله أبو بكر الأزرق المقرئ المطرز ، كان جليلا ، ثقة ، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . تاريخ بغداد ٣/٤٤٦ .

عن عمرو بن دينار^(١)، عن عكرمة^(٢) قال: حدثنا أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال:

إن الله تعالى إذا قضى الأمر^(٣) في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كصوت السلسلة على الصفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق، قال الذى قالوا له الحق، «قال الحق وهو العلى الكبير قال فيسمعها مسترقوا السمع وهم هكذا واحد فوق واحد، واحد فوق واحد، واحد فوق واحد، واحد فوق واحد، وأشار سفيان بأصبعه (نصبها بعضها فوق بعض) وفرجها، فيسمع الكلمة فيلقونها إلى من تحته قال (فربما) أدركه الشهاب قبل أن يرمى بها إلى صاحبه^(٤) فيرمى بها إلى هذا، وهذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى تلقى على فم ساحر أو كاهن، قال: فيكذب معها مائة كذبة فيصدق، فيقال ألم نخبرنا يوم كذا بكذا، ويوم كذا بكذا، فوجدناه حقا، وهى الكلمة التى سمعت من السماء^(٥)».

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجُمحى مولا هم، ثقة، ثبت، من الرابعة، روى عن عكرمة، وعنه ابن عينية . تقريب ٦٩/٢، تهذيب ٢٩/٨

(٢) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربرى، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه، عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، من الثالثة . تقريب ٣٠/٢ .

(٣) ما ذكر بين قوسين فمن البخارى .

(٤) فى البخارى : فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمى بها إلى الذى يليه .

(٥) إسناده صحيح، وأخرجه :

— خ / فى التفسير / باب «الا من استرق السمع فأتبعه شهاب ميين» فتح البارى ٣٨٠/٨ ح ٤٧٠١ من طريق على بن عبد الله، ثنا سفيان بن عينية به . وفى باب «حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير» ٥٣٧/٨ ح ٤٨٠٠ من طريق الحميدى، ثنا سفيان به، وفى بعض الروايات اختلاف فى اللفظ .

(٤-٣٩) أخبرنا أحمد بن سليمان بن أيوب^(١)، قال : حدثنا أبو زرعة بن عمرو^(٢) قال : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع .
وأخبرنا محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن خلي^(٣)
قال : حدثنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة^(٤) قال : حدثني أبي^(٥) عن
الزهرى ، قال : أخبرني يحيى بن عروة^(٦) أنه سمع عروة بن الزبير^(٧)
يقول : قالت عائشة : سألت ناس رسول الله - ﷺ - عن الكهان ؟ .

= وفى التوحيد باب «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» فتح البارى ١٣/٤٥٣ ح ٧٤٨١ من طريق على بن عبد الله ، ثنا سفيان .

— جه / فى المقدمة / باب (١٣) فيها انكرت الجهمية ١/٦٩ ح ١٩٤ .

— د / فى الحروف والقراءات / ٤/٢٨٨ ح ٣٩٨٩ مختصرا .

(١) أحمد بن سليمان بن أيوب بن حذلم الأسدى الإمام العلامة مفتى دمشق ، حدث عنه ابن مندة ، قال : قال الكنانى : كان ثقة مأمونا نبىلا . توفى فى شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة . العبر ٢/٢٧٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠/١٢٧ ، شذرات الذهب ٢/٣٧٤ .

(٢) أبوزرعة بن عمرو - هو عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصرى الدمشقى الحافظ الثقة ، توفى سنة إحدى وثمانين ومائتين . تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٤ ، تقريب ١/٤٩٣ ، شذرات ٢/١٧٧ .

(٣) محمد بن خالد بن خلي ، بوزن - على - الكلاعى أبو الحسين الحمصى ، صدوق ، من الحادية عشرة . تقريب ٢/١٥٧ .

(٤) بشر بن شعيب بن أبي حمزة بن دينار القرشى مولا هم ، أبو القاسم الحمصى ، ثقة ، من كبار العاشرة ، قال البخارى . تركناه فأخطأ ابن جبان ، وإنما قال البخارى : تركناه حيا سنة اثنتى عشرة . تقريب ١/٩٩ .

(٥) شعيب بن أبي حمزة الأموى مولا هم ، أبو بشر الحمصى ، ثقة ، عابد ، قال ابن معين : من أثبت الناس فى الزهرى ، من السابعة . تقريب ١/٣٥٢ .

(٦) يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، أبوعروة المدنى ، ثقة ، من السادسة . تقريب ٢/٣٥٤ .

(٧) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى ، أبو عبد الله المدنى ، ثقة ، فقيه ، مشهور ، من الثانية . تقريب ٢/١٩ .

فقال لهم رسول الله - ﷺ -: ليسوا بشيء .

قالوا: يا رسول الله! فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون (حقاً) (١) .

فقال رسول الله - ﷺ -: تلك الكلمة من الحق (يخطفها) الجنى

فيقرها في أذن وليه قر (٢) الدجاجة فيخلطون معها (أكثر من مائة) كذبة (٣) .

(٤٠-٥) أخبرنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن سلمة .

وأخبرنا محمد بن يونس قال: حدثنا أحمد بن النضر قال: حدثنا ١٨/أ

محمد بن يحيى قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا الليث بن سعد

قال: حدثني عبيد الله بن أبي جعفر (٤) عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي

الأسود (٥) عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سمعت

رسول الله - ﷺ - يقول: إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر

الأمر قضى من السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى

الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم (٦) .

(١) ما ذكر بين قوسين فمن مسلم .

(٢) «قر الدجاجة» القر ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه، وقر الدجاجة صوتها إذا

قطعت. النهاية ٣٩/٤ .

(٣) استاده ابن مندة صحيح، وأخرجه :

— م / في السلام / باب (٣٥) / تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٤ / ١٧٥٠ ، حديث رقم

١٢٣ من طريق سلمة بن شبيب، ثنا الحسن بن أعين، ثنا معقل بن عبيد الله عن الزهري به .

(٤) عبيد الله بن أبي جعفر المصرى أبوبكر الفقيه مولى بنى كنانة أو أمية، ثقة، وقيل عن

أحمد أنه لينه، وكان فقيهاً عابداً، قال أبو حاتم هو مثل يزيد ابن أبي حبيب . قلت : يزيد بن حبيب

المصرى ثقة، يرسل . تقريب ٢ / ٣٦٣ ، من الخامسة، روى عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي

الأسود . تقريب ٢ / ٥٣١ ، تهذيب ٥ / ٦ .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدى، أبو الأسود المدنى، يقيم عروة، ثقة، من

السادسة . تقريب ٢ / ١٨٥ .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الصافات ٢٣ / ٣٨ .

(٦-٤١) وروى عبد الله بن صالح^(١) قال: حدثني الليث عن خالد بن يزيد^(٢) عن سعيد بن أبي هلال^(٣) عن أبي الأسود أن عروة بن الزبير أخبره عن عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله - ﷺ - قال: إن الملائكة تحدث في العنان، والعنان الغمام بالأمريكون في الأرض فيسمع الشياطين منهم الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما يقر القارورة فيزيدوا معها مائة كذبة^(٤).

(١) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني أبو صالح المصري، كاتب الليث، صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة. تقريب ٤٢٣/١.

(٢) خالد بن يزيد الجمحي، ويقال السكسكي أبو عبد الرحيم المصري، ثقة، فقيه، من السادسة، روى عن سعيد بن أبي هلال. تقريب ٢٢٠/١، تهذيب ١٢٩/٣.

(٣) سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم أبو العلاء المصري، صدوق، لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفا، روى عنه خالد بن يزيد المصري. تهذيب ٩٤/٤، تقريب ٣٠٧/١.

(٤) إسناده حسن.

التعليق :

هذه الآيات التى أوردها المصنف تحت هذا العنوان من آيات الخلق - للنجوم - الدالة على وحدانية الخالق ، وهى من آيات النعمة الدالة على وحدانية المنعم يعرضها الله تبارك وتعالى لعباده فى كتابه الكريم فى سور متعددة ليأخذ منها المخاطبون أصحاب العقول النيرة العبرة على وحدانية خالقها ومدبر أمرها لمصالح عباده ، فيوحده بالعبادة ولا يشركوا به شيئاً .

وتمام آية سورة النحل هى قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

يقول سيد قطب فى تفسير الآية :

ومن مظاهر التدبير فى الخلق وظواهر النعمة على البشر فى أن الليل والنهار والشمس والنجوم ، فكلها مما يلبي حاجة الإنسان فى الأرض ، وهى لم تخلق له ولكنها مسخرة لمنفعته ، فظاهرة الليل والنهار ذات أثر حاسم فى حياة هذا المخلوق البشري ، ومن شاء فليتصور نهاراً بلا ليل ، أو ليلاً بلا نهار ، ثم يتصور مع هذا حياة الإنسان والحيوان والنبات فى هذه الأرض كيف تكون .

كذلك الشمس والقمر وعلاقتها بالحياة على الكوكب الأرضى ، وعلاقة الحياة بهما فى أصلها وفى نموها ﴿ والنجوم مسخرات بأمره ﴾ للإنسان ولغير الإنسان مما يعلم الله .

وكل أولئك طرف من حكمة التدبير وتناسق النواميس فى الكون كله يدركه أصحاب العقول التى تتدبر وتعقل وتدرك ما وراء الظواهر من سنن وقوانين ﴿ إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ .

وفى آية الملك ، يخبر تعالى بأنه جعل هذه الكواكب زينة لسماء الدنيا ﴿ لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ .

ومثلها آية الصفات ﴿ إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ﴾ .

يقول ابن كثير في تفسير آية الصافات ٤/٧ :
يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض «بزينة الكواكب» فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض.

كما قال تعالى : ﴿ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير﴾ .

وقال : ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فاتبعه بشفاب مبین﴾ (الحجر : ١٦-١٨).

وقوله ها هنا : ﴿وحفظنا﴾ أى وحفظناها حفظا ﴿من كل شيطان مارد﴾ يعنى المتمرد العاتى إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه .

ولهذا قال : لا يسمعون إلى الملائة الأعلى «أى لئلا يصلوا إلى الملائة الأعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بها يوحى الله مما يقوله من شرعه وقدره .

ويقول سيد قطب في تفسير الآية ٥/٢٩٨٣ :

ونظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة ولا بدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق، وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي، وأن تصميمه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة سواء بسواء، فكل شىء فيه بقدر، وكل شىء فيه يؤدى وظيفته بدقة وهو في مجموعه جميل .

والسما وتناثر الكواكب فيها أجمل مشهد تقع عليه العين ولا تمل طول النظر إليه .

قال : ثم تقر الآية التالية أن لهذه الكواكب وظيفة أخرى، وأن منها شهابا ترجم بها الشياطين كى لا تدنوا من الملائة الأعلى ﴿وحفظنا من كل شيطان مارد﴾ لا يسمعون إلى الملائة الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا، ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب .

وقد أورد المصنف الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه الآيات، وهى تبين ما كان يعتقد أهل الجاهلية حينها يشاهدون الشهب ترمى بها الشياطين، إذ كانوا

يعتقدون أنه لا يرمى بها إلا لمولد عظيم أو موته، فبين لهم رسول الله - ﷺ - فساد هذا الاعتقاد، وإنما هذه الشهب ترمى بها الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فيزيدون على الكلمة التي يسمعونها من الحق مائة كذبة، فيلقونها إلى الكهان في الأرض حتى يضلوا بها الناس عن الهدى.

وقد أدرك إبليس ذلك حينما شكى إليه الشياطين ما يلقونه من الشهب فبعث جنوده، فلما جاءوا بخبر الرسول - ﷺ - حينما وجدوه يقرأ القرآن بين جبلي نخلة. قال لهم: هذا هو الأمر الذي حدث في الأرض.

وقد أخبر المصطفى - ﷺ - أن من أتى عرافاً - وهو من الكهان - فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة. أخرجه مسلم في «كتاب السلام» ١٧٥١/٤ ح ١٢٥.

ومن المؤسف ما نشاهده الآن من كثير من العوام، بل ومن أشباه المتعلمين وهم يتهافتون إلى الكهان والمنجمين والسحرة، يطلبون منهم الشفاء لمرضاهم، وقد أخبر المصطفى - ﷺ - : إنه ما من داء إلا أنزل الله له شفاء، ونشاهد أن الدولة وفقها الله لكل خير ورزقها البطانة الصالحة قد قطعت شوطاً بعيداً في فتح المستشفيات المتخصصة وزودتها بأرقى ما وصل إليه العلم من معدات وجلبت الأساتذة المتخصصين في علوم الطب، ومع ذلك فكثير من الناس يتهافتون على هؤلاء الدجاجلة.

فالواجب على كل مسئول - وكل أفراد الأمة مسئولة، عن التوعية، فكلكم مسئول، وكلكم مسئول عن رعيته، في توجيه الناس إلى المستشفيات المتخصصة لمعالجة مرضاهم. وتحذيرهم من الذهاب إلى الدجاجلة والمشعوذين، إذ أنهم لا يزيدوا مرضاهم إلا وهنا، وإن ذلك العمل يحبط عمل المسلم، كما أخبر الرسول - ﷺ - .

وحيث أن للشياطين وسائل في الحيل وتضليل الناس، فإن كثيراً من هؤلاء المشعوذين يسمون عملهم بالطب العربي. ولكن الذين اتصلوا بهم لمعرفة ما عندهم تبين لهم أن أعمالهم أعمال السحرة والمشعوذين.

فكيف يكون طباً عربياً وفيه هذه الشعوذة والدجل والتمويه على العوام أليس هذا عمل الدجاجلة والسحرة الذين يختلسون أموال العوام وأشبهاهم ، والله يقول في السحر: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ (البقرة / ١٠٢) .

١١- ذَكَرَ آيَةُ نَدْلٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ وَبَدِيعِ حِكْمَتِهِ فِي تَكْوِيرِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ وَابِلَاجِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ .

قال الله عز وجل : ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ (١) الآية .

وقال تعالى : ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (٢) الآية .

وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٣) الآية .
بيان ذلك من الأثر:

(١-٤٢) قال أبو أدریس الخولاني عن أبي ذر- رضى الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال له : النهار اثنا عشر ساعة (٤) .

وكذلك روى عن الحسن عن عبد الله بن عمر أن النبي - ﷺ - قال : النهار اثنا عشرة ساعة (٥) .

وقال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - للهجرى : كم تجدون الحقب فى كتاب الله تعالى ؟ فقال : نجده ثمانين . . السنة اثنا عشر شهرا ،

(١) سورة الحديد الآية : ٦ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٥ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٣٧ .

(٤) فى مصنف عبد الرزاق ٢٦٢/٣ ح ٥٥٧٩ عن عبد الله بن سلام يقول : النهار اثنا عشرة ساعة .

(٥) تفسير ابن المنذر بهامش تفسير ابن أبى حاتم . مخطوط ج ١٦/١ .

الشهر ثلاثين يوما، اليوم ألف سنة ليس للحقائب انقطاع .
 وقال سعيد عن قتادة قوله «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم». قال : عمدت العرب فزادت شهرا في السنة فكانت السنة ثلاثة عشر شهرا في عددهم^(١)، وعمدت فارس فزادوا احد عشر يوما، ونقصت الروم . قال الله عز وجل : ﴿إن عدة الشهور عند الله .﴾ الآية . (التوبة ٣٦) .

(٢-٤٣) أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم^(٢) قال : حدثنا أبو أمية^(٣) قال : حدثنا عبد الله بن محمد العبسي^(٤) .

وأخبرنا اسماعيل بن يعقوب^(٥) قال : حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي قال : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي^(٦) قال : حدثنا عبد

(١) ذكره ابن جرير الطبري في التفسير ١٣٢/١٠ عن أبي مالك .
 (٢) هو الطوسي البلاذري الواعظ الامام الحافظ البارع أبو محمد . قال الحاكم : كان واحد عصره في الحفظ لم يغمز في اسناد أو حديث أو اسم . استشهد في الطابران - وهي مرحلة من نيسابور سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . تذكرة الحفاظ ٨٩٢/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٥٢/١٠ .
 (٣) أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي الحافظ الكبير صاحب المسند، وثقه أبو داود وغيره ، مات سنة ثلاث وسبعين ومائة . تذكرة الحفاظ ٥٨١/٢ ، طبقات الحفاظ ص ٢٥٨ .
 (٤) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ثقة ، حافظ ، صاحب تصانيف ، من العاشرة . تقريب ٤٤٥/١ .

(٥) اسماعيل بن يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى ، أبو القاسم المعروف بابن الجراب . ولد بسرمن رأى في رجب سنة اثنتين ومائتين وانتقل إلى مصر فسكنها وحدث بها ، وكان ثقة ، توفي يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . . . هكذا في تأريخ بغداد ٣٠٤/٦ ، وفي المنتظم لابن الجوزي ٣٨٠/٥ ، ولد في رجب سنة اثنتين وستين ومائتين .
 (٦) محمد بن أبي بكر المقدمي بن علي بن عطاء بن مقدم ، أبو عبد الله الثقفي مولاهم البصري ، ثقة ، من العاشرة ، روى عنه اسماعيل بن اسحاق القاضي . تقريب ١٤٨/٢ ، تهذيب ٧٩/٩ .

الوهاب بن عبد المجيد^(١) عن أيوب السخيتاني^(٢) عن محمد بن سيرين عن ابن أبي بكرة^(٣) عن أبيه عن النبي - ﷺ - أنه قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض (السنة اثنا عشرة شهرا)^(٤) منها أربعة حرم : (ثلاثة) متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان^(٥) .

هكذا رواه الثقفى عن أيوب ولم يسم ابن أبي بكرة وسماه ابن عون وقرة عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه .
أخرجه البخارى^(٦) ومسلم^(٧) من حديث الثقفى عن أيوب .

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفى ، أبو محمد البصرى ، ثقة ، تغير قبل موته بثلاث سنين ، من الثامنة . تقريب ٥٢٨/١ .

(٢) أيوب السخيتاني ابن أبي غيمة كيسان السخيتاني ، ثقة ، ثبت ، حجة ، من كبار الفقهاء العباد ، من الخامسة . تقريب ٨٩/١ .

(٣) ابن أبي بكرة . هو عبد الرحمن بن أبي بكرة بن نفيع بن الحارث الثقفى ، ثقة ، من الثانية ، مات سنة ست وتسعين . تقريب ٤٧٤/١ .

(٤) ما بين القوسين من البخارى .

(٥) اسناده صحيح .

(٦) فى بدء الخلق / باب (٢) ما جاء فى سبع أرضين ، وقول الله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سبوات ومن الأرض مثلهن . . ﴾ فتح البارى ٢٩٣/٦ ح ٣١٩٧ من طريق محمد بن المثنى ، ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب به . ولم يسم ابن أبي بكرة كما قال المصنف .

— وفى التفسير / باب ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله . . . فتح البارى ٣٢٤/٨ ح ٤٦٦٢ من طريق عبد الله بن عبد الوهاب به .

— وفى التوحيد باب (٢٤) قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ . فتح البارى ١٣/٤٢٤ ح ٧٤٤٧ من طريق محمد بن المثنى ، ثناء عبد الوهاب به .

(٧) فى القسامة / باب (٩) / تغليظ تحريم الدماء والاعراض والأموال ، ١٣٠٥/٣ ح ٢٩ .
— حم / ٧٢/٥ فى حديث طويل .

(٣-٤٤) أخبرنا اسماعيل بن يعقوب قال: حدثنا اسماعيل بن اسحق قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال: نبئت أن أبا بكرة قال: قال رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثم ذكره^(١).

وروى هذا الحديث عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - نحوه. ورواه اسماعيل بن أبي أويس عن أبيه عن عبد الله بن أبي عبد الله البصري عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - .

(٤-٤٥) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أسيد قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر عن معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما - أنهما حدثاه أنها سمعا رسول الله - ﷺ - يقول: ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد وهو يصلي، يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا أعطاه^(٢). قال أبو سلمة: فخرجت فلقيت عبد الله

(١) فيه متابعة حماد بن زيد لعبد الوهاب عن أيوب.

(٢) حم/ ٢٧٢/ ٢ من طريق عبد الرزاق، ثنا ابن جريج، حدثني العباس عن محمد بن سلمة الأنصاري عن أبي سعيد وأبي هريرة به، وفي ٣/ ٣٩، ٦٥.

— وأخرجه خ/ في الجمعة/ باب (٣٧) الساعة التي يوم الجمعة/ فتح الباري ٢/ ٤١٥ ح ٩٣٥ من طريق عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وحده، وأشار ابن حجر في الشرح الى أن في الحديث قصة عبد الله بن سلام.

— وفي الطلاق/ باب (٢٤) الإشارة في الطلاق، فتح الباري ٩/ ٤٣٦ ح ٥٢٩٤ من طريق مسدد ثنا بشر بن المفضل، ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وحده.

ابن سلام ، فقلت إني سمعت أبا هريرة وأبا سعيد يقولان ذلك فلم يعرض
عبد الله بذكر رسول الله - ﷺ - فقال : النهار في كتاب الله عز وجل ثنتا
عشرة ساعة ، وإنما لفي آخر ساعة من النهار . قلت : فإنها قالا وهو يصلي
وليست تلك ساعة صلاة ، قال أو ما بلغك أو ما سمعت أن النبي - ﷺ -
قال : العبد في صلاة ما انتظر الصلاة^(١) .

رواه محمد بن ابراهيم ، ومحمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة
- رضى الله عنه وحده - .

(١) آخر الحديث في حم : ٤٥٠/٥ دون ذكر النهار في كتاب الله اثنا عشر ساعة .
— وجه : اقامة الصلاة / باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة : ٣٦٠/١ ح ١١٣٩
من غير ذكر النهار اثنا عشر ساعة .

التعليق :

الأدلة على وحدانية الخالق وانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له كثيرة لا تعد ولا تحصى ، كما قال القائل :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ومن آياته الدالة على بديع حكمته ولطفه بعباده ، وهى آية تدل على انه هو
الإله الواحد الأحد المتصرف فى خلقه بما يشاء ، تكوير الليل على النهار ، والنهار على
الليل ، وإيلاج أحدهما فى الآخر لمصالح عباده .

إذ لو كان هناك ليل بلا نهار أو نهار بلا ليل لما عاش على وجه البسيطة أحد من
المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات ، وقد أخبر تعالى عن نعمة الليل والنهار ، وان
ذلك من تسخير سبحانه إذ هو الإله المتفرد بالوحدانية .

فقال : ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه
ترجعون﴾ . ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير
الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ . ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى
يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ . ﴿ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .
(القصص الآية : ٧٠-٧٣) .

هذا وقد أورد المصنف تحت هذا العنوان آيات تدل على وحدانية الخالق وقدرته
وبديع حكمته فى تكوير الليل على النهار ، وإيلاج أحدهما على الآخر .

يقول ابن كثير فى تفسير آية فصلت ٧ / ١٧٠ :

يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة ، وأنه الذى لا نظير له ، وأنه على
ما يشاء قادر : ﴿ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر﴾ ، أى : أنه خلق الليل
بظلامه ، والنهار بضياءه ، وهما متعاقبان لا يقران ، والشمس ونورها واشراقها والقمر
وضيائه وتقدير منازلها فى فلكه ، واختلاف سيره فى سنائه ، ليعرف باختلاف سيره
وسير الشمس مقادير الليل والنهار ، والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول
الحقوق ، وأوقات العبادات والمعاملات ، ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام

المشاهدة في العالم العلوى والسفلى ، نبه تعالى على أنها مخلوقان ، عبدان من عبده تحت قهره وتسخيره فقال : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ .

أى : ولا تشركوا به ، فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به ، ولهذا قال : ﴿ فإن استكبروا ﴾ أى : عن أفراد العبادة له ، وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعنى الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ .

وقال في تفسير آية الحديد ٣٦/٨ :

قوله : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أى : هو المتصرف في الخلق ، يقبض الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم صيفاً ثم خريفاً ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به بخلقه ، ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ أى : يعلم السرائر وان دقت ، وان خفيت .
ومثلها آية الزمر .

ثم أتبع المصنف ذلك بأحاديث تبين ساعات النهار وعدة أشهر السنة وأن منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وهى ذو القعدة والحجة ومحرم ، خلافاً لما غيره المشركون من التقديم والتأخير حسب أهوائهم .

وفي حديث أبى بكره قول رسول الله - ﷺ - فى حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشرة شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات . . الحديث .

كما أخرجه البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه ، وكذلك ابن جرير ، وذكره ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم . . ﴾ (الآية ٣٦ : التوبة) .

يقول ابن كثير فى تفسير الآية ٨٧/٤ :

وقوله - ﷺ - فى الحديث : (إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات

والأرض) تقرير منه - صلوات الله وسلامه عليه - وتثبيت للأمر على ما جعله الله تعالى في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة : «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» . وهكذا قال ها هنا : «إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض» أى الأمر اليوم شرعا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض .

كما رد على من زعم أن حجة أبى بكر كانت فى ذى القعدة ، وأوضح ما كان يعملهُ المشركون من تبديلهم أشهر الحرم بغيرها كما فى قوله تعالى : ﴿إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونهُ عاماً ويحرمونه عاماً ليوأطوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء عملهم والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ .

وذلك كله رد على الذين يخالفون أمر الله وشرعه ، وبيان أن ذلك التحديد لهذه الأزمنة ، وتحريم الأشهر التى نص الله على تحريمها هو من تصريف وأمر الواحد الأحد الذى يجب أن يفرد بالعبادة ، وإن يطاع فى الأمر ، فهو الخالق الأمر ، ألا له الخلق والأمر ، لا إله إلا هو .

١٢- ذَكَرَ آيَةُ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِمْسَاكِهِ لِسَحَابٍ فِي جُودِ السَّمَاءِ. ١/٢١

قال الله عز وجل : مخبرا عما عجز عن وصفه المخلوق وتاهت فيه العقول ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت...﴾ (١).

وأسماء السحاب في كتاب الله تعالى : «المزن، والعنان، والصبوب» (٢)، والمعصرات، والحاملات».

بيان ذلك من الأثر:

(١-٤٦) أخبرنا عمرو بن محمد بن إبراهيم أبو حفص البزاز قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان قال : حدثنا محمد بن سعيد بن سابق قال : حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت جالسا في عصابة ورسول الله - ﷺ - جالس إذ مرت سحابة عليهم، فنظروا إليها فقال رسول الله : - ﷺ - هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا : نعم . هذه السحاب . فقال رسول الله - ﷺ - : والمزن، قالوا : والمزن،

فقال رسول الله - ﷺ - : والعنان، قالوا : والعنان، فقال رسول الله - ﷺ - : كم بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا : والله لا ندرى، قال : فإن

(١) سورة فاطر الآية : ٩ .

(٢) الصوب، قاله الضحاك . ابن كثير ٨٢/١ ، والأشهر أنه المطر .

بُعْدَ ما بينهما إما واحدا وإما اثنان^(١) وإما ثلاث وسبعون سنة ، والسماء الثانية فوقها حتى عد سبع سموات ، ثم قال : وما فوق السابعة بحر بين أعلاه وأسفله ما بين سماء إلى سماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء ، والله تعالى فوق ذلك^(٢) .

هذا اسناد متصل أخرجه النسائي ، ورواه إبراهيم بن طهمان وعنبسة ابن سعيد والوليد بن أبي ثور عن سماك .

(٢-٤٧) أخبرنا محمد بن حمزة ، ومحمد بن يونس وغير واحد قالوا : حدثنا يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال : حدثنا وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير عن أبي هريرة ، - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : بينما رجل بفلاة إذ سمع رعداً في سحاب سمع فيه كلاماً أسق حديقة^(٣) فلان باسمه ، فجاء ذلك السحاب إلى (حرة)^(٤) . . فأفرغ ما فيه من الماء . ثم جاء إلى ذناب شرج^(٥) فأنتهى إلى شرجه (قد استوعب) الماء ومشى الرجل مع السحابة حتى انتهى إلى الرجل قائم (في حديقته يحول الماء بمساحته) فقال يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : ولم تسأل ؟ قال : إني سمعت أ/٢٢ في سحاب هذا ماؤه أسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها اذا صرمتها ؟

(١) في الأصل : اثنين - بالياء والنون - .

(٢) تقدم تخريجه في ح رقم ٢١ .

(٣) الحديقة : القطعة من النخل . النهاية ١/٣٥٤ .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . النهاية ١/٣٦٥ .

(٥) الشراج : مسایل الماء في الحرار .

قال : أما إذ قلت ذلك فإنى جعلتها على ثلاثة أثلاث أجعل ثلثا لى ولأهلى ، وأرد ثلثا فيها ، وأجعل ثلثا فى المساكن والسائلين وابن السبيل^(١).

هذا اسناد صحيح متصل رواه جماعة عن الماجشون ، ويزيد بن هارون وابن رجاء ، وروى هذا الحديث من حديث عبيد الله بن عبد الله ابن الأصم عن أبى هريرة .

(١) أخرجه م / فى الزهد / باب (٤) الصدقة فى المساكن ٢٢٨٨ / ٤ ح ٤٥ من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب قالوا : ثنا يزيد بن هارون عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن وهب به ، وعن أحمد بن عبدة الضبى أخبرنا أبو داود .

التعليق :

يرد في كتاب الله تعالى ، ذِكرُه للسحاب المسخرين السماء والأرض ولخلق السموات والأرض ، وأنه المتصرف الحاكم المدبر المسخر لما يشاء القادر عليه ، كما يرد ذِكرُه لإحياء الأرض بعد موتها استدلالاً بذلك على المعاد ، ثم ينبه عباده على أنه هو الرازق المحي المميت .

وقد أخبر تعالى في هذه الآية ، وهى قوله تعالى : ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ .

كما جاء في سورة الأعراف / ٥٧ : ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ .

والسحاب الثقال المسخر في جو السماء هو الذى يحمل الماء فيكون قريباً من الأرض ، والله هو الممسك له بقدرته ، كما قال تعالى : ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ . وكذلك السحاب المسخر ، وهو المزن ، محفوظ بقدره الله تعالى .

وفى وصف المزن تحمل الماء يقول زيد بن عمرو بن نفيل - رحمه الله - :
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
فإمساك السحاب وسوقه يحمل الماء إلى الأرض الميتة ، دليل على وحدانية الخالق سبحانه ، وإن من يعدل بعبادة الله غيره ويشركه معه لم يقدر الله حق قدره ، وهذه الآية ومثيلاتها ، وحديث أبى هريرة المفسر لها ، تبين لنا أن المطر لا ينزل إلا بإرادة الله وقدرته ، وأنه يرسله الى حيث يشاء ، ويمنعه عن من يشاء ، وما التأثيرات الجوية إلا أمور جعلها البارئ أسباباً لتزول المطر ، فإذا شاء سلبها خاصيتها فيمنع القطر مع وجود الأسباب ، كما سلب النار خاصيتها حين قال لها : ﴿يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ .

كما أن حديث أبى هريرة يدل أيضا على أن من يعمل الخير لا يعدم جوازيه، فصاحب الحديقة الذى سلك فيها ذلك المسلك الحسن، حيث قسم غلتها أثلاثا، ثلثاً لأهله، وثلثاً يعيده فيها لاصلاحها وزراعتها، وثلثا يجعله لأبناء السبيل والمساكين، لم ينسه الله تبارك وتعالى، بل أمر السحاب بسقى أرضه التى لم ينس حق الله فيها، حتى أنه ذكر باسمه.

وهذا يذكرنا بأصحاب الجنة - أى البستان - الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين، حرصاً على ثمرتها، وأن لا يعطوا المساكين منها شيئا، لذلك جازاهم الله على نيتهم الفاسدة فأحرق جنتهم، ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ (نون / الآية ١٩-٢٩).

وهكذا فإن الله يجازى الاحسان إحساناً، «وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان».

وقال القائل :

من يعمل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله الناس

١٣- ذِكْرَاتُهُ أُخْرَى نَذَلُ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ لِالْمَخْلُوقِ وَتَاهَتْ فِيهِ الْعُقُولُ .

قوله عز وجل : ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ﴾^(١) .

(١- ٤٨) أخبرنا إسماعيل بن محمد بن محمد بن إسماعيل قال : حدثنا
أحمد بن الوليد الفحام قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري
قال : حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي كوفي .

وأخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الجلاب بهمذان قال : حدثنا إبراهيم
ابن نصر قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن
بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما -
قال : أقبلت اليهود إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا أبا القاسم ! أخبرنا عن
الرعد ما هو؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق به السحاب حيث يشاء الله عز وجل . قالوا : فما هذا الصوت الذى
نسمع؟ قال : زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهى إلى حيث أمر . قالوا :
صدقت^(٢) .

(١) سورة البقرة الآية : ١٩ .

(٢) أخرجه ت / فى تفسير سورة الرعد ٨ / ٥٤٢ ح ٥١٥١ من طريق عبد الله بن عبد
الرحمن ، أخبرنا أبو نعيم به . وفيه زيادة .
=

هذا اسناد متصل ورواته مشاهير ثقات، أخرجه النسائي .

(٢-٤٩) أخبرنا علي بن الحسن بن علي قال : حدثنا عبيد بن شريك قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم المهري قال : حدثنا محمد بن جعفر ابن أبي كثير قال : حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه كان مع رسول الله - ﷺ - عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فلما انصرف من الصبح أقبل علينا فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : لا علم لنا إلا ما علمنا الله ورسوله . قال ذلك ثلاثا قال : قال ربكم أصبح من عبادي مؤمن بي وكافري بي ، فأما من قال مطرنا بنوء كذا ، وكذا فذلك مؤمن بالنجم ، كافري بي ، ومن قال : مطرنا برحمة الله عز وجل ، فذلك مؤمن بي وكافر بالنجم^(١) . رواه ابن عيينة وسليمان بن بلال وعبد العزيز بن أبي سلمة والدراوردي عن صالح .

= — حم ٢٧٤/١ من طريق أبي أحمد ، ثنا عبد الله بن الوليد العجلي به في حديث طويل . في اسناد هذا الحديث بكير بن شهاب الكوفي ، روى عن سعيد بن جبير ، وعنه عبد الله بن الوليد المزني .

قال ابن حجر في التقريب : مقبول . رمز له : / ت س .
وفي التهذيب قال : أبو حاتم شيخ روي له حديثا واحدا في السؤال عن الرعد . قال ابن حجر : قلت : وذكره ابن حبان في الثقات . تقريب ١٠٧/١ ، تهذيب ٤٩٠/١ .
قلت : وحديث السؤال عن الرعد هو هذا .

(١) أخرجه خ / في الأذان / باب (١٥٦) يستقبل الإمام الناس إذا سلم / فتح الباري ٣٣٣/٢ ح ٨٤٦ من طريق عبد الله بن مسلمة عن مالك عن صالح بن كيسان به .
— وفي الاستسقاء / باب (٢٨) قول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ . فتح الباري ٥٢٢/٢ ح ١٠٣٨ من طريق إسماعيل حدثني مالك عن صالح بن كيسان به .
وفي المغازي / باب (٣٥) غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ . فتح الباري ٤٣٩/٧ ح ٤١٤٧ من طريق خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال قال : حدثني صالح بن كيسان ، وهي الرواية المعلقة التي أشار إليها المصنف . =

(٣-٥٠) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفي^(١) بمصر قال :

١/٢٣ حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال : حدثنا عفان بن مسلم ، عن هشيم بن

بشر قال : حدثنا أبو بشر جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

- رضى الله عنهما - أنه قرأ ﴿وتجعلون ^{زرعكم} أنكم تكذبون﴾ . قال نزلت

في الأنواء ، كانوا إذا مطروا قالوا : مطرنا بنجم كذا وكذا ، فكان ذلك كفر

منهم ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿وتجعلون ^{زرعكم} أنكم تكذبون﴾ . قال : نزلت في

الغيث والرزق أنكم تكذبون مطرنا بنوء كذا وكذا . هذا إسناد صحيح

على رسم الجماعة .

ما حاصل هذا جازت الرواية

فلا تطعن في إسناده !!

= — وفي التوحيد/ باب (٣٥) ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ فتح الباري ١٣/٤٦٦ ح ٧٥٠٣

من طريق مسدد، ثنا سفيان عن صالح به مختصرا، وهي الرواية التي أشار إليها المصنف أيضا .

م/ في الإيمان/ باب (٣٢) بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ١/٨٣ ح ١٢٥ من طريق يحيى بن

يحيى قال : قرأت على مالك عن صالح .

— حم ٤/١١٧ عبد الله قال أبي ، وثنا إسحاق قال : ثنا مالك عن صالح بن كيسان .

— ط/ الاستسقاء/ باب (٣) الاستمطار بالنجوم ١/٣٦ ح ٤ من طريق يحيى حدثني مالك

عن صالح بن كيسان به .

— والمصنف في كتاب الإيمان/ باب (٧٨) ذكر ما يدل على أن رفع الصوت على النبي

- ﷺ - من الكبائر ٢/٥٦٩ ح ٥٠٣ .

(١) الحسن بن يوسف الطرائفي ، وإبراهيم بن مرزوق . تقدمت ترجمتهما في ح رقم ٣٤ .

التعليق :

إن إنزال المطر من السماء ، وتسبيح الرعد بحمد الله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وارسال الصواعق ، كل هذه بأمر الله سبحانه ، إذ لا يستطيع مخلوق أن يحدث شيئا من ذلك ، وإذا كان الله وحده هو المتصرف في ذلك فهذا دليل واضح على وحدانيته فيجب افراده بالعبادة .

قال تعالى : ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾ (الرعد : ١٢-١٣) .

وقد جاء فى حديث زيد بن خالد الجهنى ، قول رسول الله - ﷺ - : قال الله أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر . . الحديث .

قال النووى فى شرح مسلم ٦٠/٢ : وأما معنى الحديث فاختلف العلماء فى كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين :

أحدهما : هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام ، قالوا : وهذا فيمن قال : ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر ، منشئ للمطر ، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم . ومن اعتقد هذا فلا شك فى كفره . وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء والشافعى منهم ، وهو ظاهر الحديث . قالوا : وعلى هذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة ، فكأنه قال : مطرنا فى وقت كذا ، فهذا لا يكفر ، واختلفوا فى كراهته ، والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها .

الثانى : فى أصل تأويل الحديث ، أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ، ويؤيد هذا التأويل رواية : أصبح من الناس شاكر وكافر .

وفى الرواية الأخرى : أصبح فريق من الناس بها كافرين .
فقوله : بها ، يدل على أنه كفر بالنعمة . والله أعلم .

١٤- ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله وأنه مُرْسِلُ الرِّيحِ والرياح.

قال الله تعالى : ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ . . .﴾ (١) الآية .
وقال : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ . . .﴾ (٢) .
وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ . . .﴾ (٣)
وقال : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسِلَ الرِّيَّاحَ . . .﴾ (٤) .

بيان أسماء الرياح والرياح من الكتاب والأثر

وهي : الرحمة (٥)، والمخيلة (٦)، واللواقح (٧)، والأزيب،

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الفرقان الآية : ٤٨ .

(٤) سورة الروم الآية : ٤٦ .

(٥) [الرحمة - المثيرة] قال تعالى : ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء . . . إلى قوله : «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يمحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير»﴾ الروم ٤٨-٥٠ .

(٦) - المخيلة - بفتح الميم وكسر المعجمة بعدها تحتانية ساكنة -، وهي : السحابة، وقد جاء في حديث عائشة، أخرجه البخاري في بدء الخلق، فتح الباري ٦/٣٠٠، ح ٣٢٠٦ وهو الحديث التالي رقم (٥٢) .

(٧) قال تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ . الحجر/٢٢ .

والذاريات^(١)، والمثيرة، والمنشورة^(٢)، والمؤلفة^(٣)،
والعقيم^(٤)، والقاصف^(٥) والصرصر^(٦).

ومن الأثر

الصباء، والشمال، والجنوب، والدبر

(١-٥١) أخبرنا الحسن بن يوسف، قال: حدثنا إبراهيم بن
مرزوق أبو إسحاق البصري قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس، وأبو
عامر عبد الملك بن (عمرو) قال: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن
ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال:
نصرت بالصباء^(٧)، وأهلك عَاد بالدبور، هذا حديث صحيح

(١) قال تعالى: ﴿والذاريات ذروا﴾. الذاريات/آية ١، وهى الرياح، قاله: على بن أبى
طالب، وعمر، ومجاهد. ابن جرير ٢٦/١٨٦-١٨٧.
(٢) قال تعالى: ﴿والناشرات نشر﴾. المرسلات ٣/٣. الريح، قاله: مجاهد وقتادة. ابن
جرير ٢٩/٢٣١.
(٣) المؤلفة، كما فى قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يزعى سبحانه ثم يؤلف بينه...﴾ النور/٤٣.
انظر ابن جرير ١٨/١٥٣.

(٤) قال تعالى: ﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾. الذاريات/٤٢.
(٥) قال تعالى: ﴿أم أمتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾. الاسراء/٦٩.
(٦) قال تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾. الحاقة/٦.
(٧) (الصباء) بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة، يقال لها القبول - بفتح القاف لأنها تقابل
باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور، وهى التى أهلكت بها قوم عاد، ومن
لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الأدبار، وأن الدبور أشد
من الصبا. ومن الرياح أيضا الجنوب، والشمال، فهذه الأربع تهب من الجهات الأربع، وأى ريح
هبت من بين جهتين منها يقال لها النكباء - بفتح النون وسكون الكاف بعدها موحدة ومد - . اهـ.
فتح الباری ٢/٥٢١.

أخرجه البخارى من حديث شعبة في مواضع^(١).

(٢-٥٢) أخبرنا أبو عيسى محمد بن عبد الله بن العباس، قال : حدثنا الحسن بن سهل بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي - ﷺ - كان إذا رأى في السماء نخيلة^(٢) دخل وخرج وأقبل وأدبر وتلون وجهه، فإذا أمطرت سري عنه، فعرفته عائشة بذلك فقال : ما ندرى لعله كما قال قوم (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو^(٣) . .) الآية^(٤) . رواه جماعة عن ابن جريج، ورواه جعفر بن محمد عن عطاء بن أبى

-
- (١) في الاستسقاء / باب (٢٦) / قول النبي - ﷺ - : (نصرت بالصبا) . فتح البارى ١٠٣٥ ح ٥٢٠ / ٢ من طريق مسلم قال : حدثنا شعبة به .
- وفي بدء الخلق / باب (٥) ما جاء في قوله «وهو الذى يرسل الرياح بين يدى رحمته» . فتح البارى ٣٠٠ / ٦ ح ٣٢٠٥ من طريق آدم ثنا شعبة .
- وفي المغازي / باب (٢٩) غزوة الخندق وهي الأحزاب . فتح البارى ٣٩٩ / ٧ ح ٤١٠٥ من طريق مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة به .
- وم / في الاستسقاء / ٦١٧ / ٢ ح ١٧ .
- وحم / ٣٢٤ / ١ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٣٧٣ .
- وعبد الرزاق في المصنف ٨٩ / ١١ ح ٢٠٠٠٢ مرسل .
(٢) (نخيلة) - بفتح الميم وكسر المعجمة بعدها تحاتية ساكنة . هى : السحابة .
(٣) الأحقاف / آية ٢٤ وتامها : «بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم» .
(٤) أخرجه خ / في بدء الخلق / باب (٥) ما جاء في قوله : «وهو الذى يرسل الرياح . . . » فتح البارى ٣٠٠ / ٦ ح ٣٢٠٦ من طريق مكى بن إبراهيم ، ثنا ابن جريج به .
- وم / في الاستسقاء / باب (٣) / التعوذ عند رؤية الريح . الخ . ٦١٦ / ٢ ح ١٥ .

رباح^(١)، ورواه سالم أبو النضر^(٢) عن سليمان بن يسار عن عائشة - رضى الله عنها - .

(٣-٥٣) أخبرنا الحسن بن منصور الإمام بحمص قال : حدثنا علي بن الحسن بن معروف الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ، قال : حدثنا سليمان بن بلال قال : حدثنا جعفر بن محمد عن عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول : كان رسول الله - ﷺ - إذا كان اليوم ذو الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر ، فإذا مطرت سربه وذهب عنه ذلك ، قالت : فسألت ، فقال : إني خشيت أن يكون عذابا سُلط على أمتي ، ويقول : إذا رأى المطر رحمة^(٣) . رواه القعنبي وغيره .

(١) وصله م / في الاستسقاء / باب (٣) التعوذ عند رؤية الريح . . . ، ٢ / ٦١٦ ح ١٤ وهو الحديث الآتي رقم ٥٣ .

(٢) وصله خ / في التفسير / باب (٢) «فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم . . .» فتح الباري ٨ / ٥٧٨ ح ٤٨٢٨ ، ٤٨٢٩ .

— وم / في الاستسقاء / باب (٣) ، ٢ / ٦١٦ ح ١٦ وهو الحديث الآتي برقم ٥٤ .

(٣) م / في الاستسقاء / باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر ٢ / ٦١٦ ح ١٤ من طريق عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، ثنا سليمان بن بلال به ، وهو ما أشار إليه المصنف معلقا ح ٥٢ .

١٥- ذكر الفرق بين الرِّيح والريَّاح .

ومن قال إن الله يرسل الريح للنقمة ، والريح للرحمة ، ومن قال معنى الرياح والريح واحد .

قال الله عز وجل : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا﴾ (٢) . الآية .

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبی - ﷺ - يدعو إذا رأى الريح : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا . وقال أبي بن كعب - رضى الله عنه - ما كان في القرآن الرياح فهي الرحمة والريح العذاب .

(٤-٥٤) أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد السلام البيروتي قال :

حدثنا خير بن موفق أبو مسلم المصرى ، قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن سالم أبي النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : ما رأيت رسول الله - ﷺ - مستجمعا ضاحكا ، وكان إذا رأى ريحا أو غيما عرف ذلك في وجهه ، فقلت : يا رسول الله ! إن الناس إذا رأوا غيما فرحوا به رجاء أن يكون مطرا وأنت إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية ؟ فقال : يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ، قد عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب

(١) سورة الأحزاب الآية : ٩ .

(٢) سورة فصلت الآية : ١٦ .

﴿فقالوا هذا عارض ممطرنا﴾^(١). رواه عطاء وغيره عن عائشة .

(٥٥-٥) أخبرنا خيثمة بن سليمان ومحمد بن يعقوب قالا : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرني أبي عن الأوزاعي عن الزهري عن ثابت الزرقى^(٢) أن أبا هريرة - رضى الله عنه - قال : أخذ الناس ريح في طريق مكة وعمر بن الخطاب حاج ، فاشتدت عليهم ، فقال عمر لمن حوله ما الريح ؟ فلم يرجعوا إليه شيئا ، فبلغنى الذى سأل عنه عمر ، فاستحثت راحلتى حتى أدركته فقلت : يا أمير المؤمنين ، بلغنى أنك سألت عن الريح ، وأنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : الريح من روح الله عز وجل تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها وسلوا الله عز وجل خيرها ، واستعيذوا بالله عز وجل من شرها^(٣).

(١) أخرجه م / فى الاستسقاء / باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، والفرح بالمطر ٢/ ٦١٦ ح ١٦ من طريق أبى الطاهر ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا النضر حدثه به .

— د / فى الأدب / باب (١١٣) ما يقول إذا هاجت الريح ٥/ ٣٢٩ ح ٥٠٩٨ من طريق أحمد بن صالح ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه به .

— عبد الرزاق ، المصنف ١١/ ٨٨ ح ٢٠٠٠١ عن معمر عن طاووس عن أبيه عن عائشة .

(٢) ثابت بن قيس الزرقى ، الانصارى المدنى ، ثقة ، من الثالثة ، روى عن أبى هريرة حديث الريح من روح الله ، وعنه الزهري . تقريب ١/ ١١٧ ، تهذيب ٢/ ١٣ .

(٣) جه / فى الأدب / باب (٢٩) النهى عن سب الريح ٢/ ٢٢٨ ح ٣٧٢٧ من طريق أبى بكر ثنا يحيى بن سعيد عن الاوزاعي عن الزهري به .

— د / فى الأدب / باب (١١٣) ما يقول إذا هاجت الريح ٥/ ٣٢٨ ح ٥٠٩٧ من طريق أحمد بن محمد المروزي ، وسلمة بن شبيب قالا : ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري به .

— وعبد الرزاق / فى المصنف / باب الريح والغيث ١١/ ٨٩ ح ٢٠٠٠٤ من طريق معمر

عن الزهري به .

— وله شاهد من حديث أبى بن كعب أخرجه حم ٥/ ١٢٣ مثل لفظ حديث أبى هريرة .

هذا حديث مشهور عن الأوزاعي عن الزهري . رواه زياد بن سعد
والزبيدي وابن جريج ، ومعمرو عقيل ، وثابت هو ابن قيس الزرقى من أهل
المدينة مشهور ، روى عنه الزهري ، وغيره ، وروى من حديث ابن سعد
المقبري عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : أسألك خيرها وأعوذ بك من
شرها .

(٥٦-٦) . أخبرنا عبدوس بن الحسين قال : حدثنا أبو حاتم محمد
ابن إدريس قال : حدثنا حرملة بن يحيى قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنا
عبد الله بن عياش بن عباس قال : حدثني عبد الله بن سليمان الطويل عن
دراج أبي السمح عن عيسى بن هلال الصّدفي عن ابن عمر - رضي الله
عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : الريح مُسَجَنٌ في الأرض الثانية ، فلما
أراد الله عز وجل أن يهلك عادا قال يعنى الخزان أي رب أرسل عليهم
الريح قدر منخر الثور ، فقال الجبار عز وجل : إذا تكفأ الأرض ومن عليها
ولكن أرسل عليهم من الريح قدر خاتم فهي التي قال الله عز وجل في
كتابه : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (١) . عيسى بن
هلال الصّدفي مصرى مشهور ، روى عنه كعب بن علقمة وعياش بن
عباس ودراج ، وروى عنه عمر بن الحارث والليث بن سعد وغير واحد ،
وعبد الله بن عياش ، وعبد الله بن سليمان من ثقات المصريين قاله أبو سعيد
ابن يونس .

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ١١٥/٦ قال : واخرج ابن أبي هاشم عن ابن عمر - رضي
الله عنهما - فذكره .

(٥٧-٧) أخبرنا خيثمة قال: حدثنا السري بن يحيى ، وأخبرنا عبدوس قال: حدثنا أبوحاتم قالاً: حدثنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: ما أرسل الله عزوجل على عاد يعنى من الريح إلا قدر خاتمى هذا. روى عن مجاهد عن ابن عباس ، وابن عمر مرفوعا. وعاصم بن أبى وائل عن الحارث بن حسان مرفوعا.

التعليق :

آيات الله في الأفاق الدالة على وحدانية الله كثيرة، والمصنف يورد تحت هذا الفصل من آيات الله الكونية الرياح والريح التي يصرفها الخالق سبحانه وتعالى كيف يشاء، فتارة تأتي بالرحمة، وأخرى تأتي بالعذاب، وقد ذكر بعض الآيات القرآنية، ثم أشار إلى أسمائها الدالة على ذلك.

ونورد هنا بعضاً مما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير آية البقرة التي أوردها المصنف هنا، فإنه قد أشار في تفسيره ٢٩٠/١ إلى ما تأتي به الرياح من الرحمة والعذاب حينما يصرفها الخالق تبارك وتعالى.

قال - رحمه الله - بعد وصف خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر وإنزال المطر من السماء ودلالة تلك الآيات كلها على وحدانية الله تعالى، قال: «وتصريف الرياح» أي تارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، تارة تأتي مباشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمععه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه «والسحاب المسخر بين السماء والأرض» يسخر إلى ما يشاء الله من الأرض كما يصرفه تعالى ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ أي في هذه الأشياء دلالات بيّنة على وحدانيته تعالى، كما قال: قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه﴾ فقنا عذاب النار: آل عمران: ١٩٠-١٩١

هذا وقد أورد المصنف بعد آية البقرة الآيات الدالة على إرسال الخالق سبحانه هذه الرياح وتصريفها، وأشار إلى أسماء الرياح والريح من الكتاب والأثر. وقد أوردت الآيات الواردة في ذلك في الحاشية.

ثم اتبع المصنف ذلك بالأحاديث الدالة على بعض أسماء الرياح، وما كان يصنعه المصطفى - ﷺ - حينما يراها من الخوف على أمته من أن تكون تحمل العذاب إليهم لعدم استجابتهم لدعوته، كما حملت العذاب لمن كذب الرسل قبله، كقوم عاد وغيرهم، كما قال الله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾. الأحقاف/ ٢٤، ٢٥.

كما أورد الآثار التي يستدل بها على الفرق بين الريح والرياح، وقد تبين من حديث أبي هريرة المرفوع وهو قوله: الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، وذلك يدل على عدم الفرق بينهما.

لكن الأكثر ذكره في القرآن أن ما تأتي بالعذاب هي الريح فقد وصفت بالصرصر، والعقيم،
والقاصف.

وما تثير السحاب وتكون لواقع باسم الرياح.
وكل ذلك التصريف لهذه الريح أو الرياح دليل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

١٦- ذكر الآيات التي تدلُّ على وحدانيته في خلق الأرض وما فيها.

قال الله عز وجل : ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾ (١).

- وقال تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ (٢).
- وقال تعالى : ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ (٣).
- وقال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ (٤).
- وقال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء﴾ (٥).
- وقال تعالى : ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا﴾ (٦).
- وقال تعالى : ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (٧).
- وقال تعالى : ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا﴾ (٨).
- وقال تعالى : ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ (٩).
- وقال تعالى : ﴿والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة﴾ (١٠).

(١) سورة الشورى الآية : ٢٩ .

(٢) سورة النحل الآية : ٣ .

(٣) سورة الروم الآية : ٢٥ .

(٤) سورة طه الآية : ٥٣ ، وسورة الزخرف الآية : ١٠ .

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

(٦) سورة نوح الآية : ١٩ .

(٧) سورة النازعات الآية : ٣٠ .

(٨) سورة المرسلات الآية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٩) سورة النازعات الآية : ٣١ .

(١٠) سورة الرحمن الآية : ١٠ ، ١١ .

وقال تعالى : ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (١).
وقال تعالى : ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق
أنفسهم﴾ (٢).

أ/٢٦

بيان ذلك من الأثر:

(١-٥٨) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إسحق القطان،
قال : حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان قال : حدثنا حجاج بن محمد قال :
قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله
ابن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : أخذ رسول
الله - ﷺ - بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق النور
يوم الأربعاء ، وخلق فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من
يوم الجمعة ، آخر الخلق من آخر ساعة الجمعة فيها بين العصر إلى
الليل (٣).

(٢-٥٩) أخبرنا عبدوس بن الحسين قال : حدثنا أبو حاتم
الرازي قال : حدثنا عمرو بن عون قال : حدثنا خالد بن عبد الله عن
سليمان الشيباني عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أخيه عبد الله
ابن عتبة قال : قال أبو هريرة - رضى الله عنه - سمعت رسول الله - ﷺ -
يقول : إن في الجمعة لساعة لا يسأل الله عز وجل عبد فيها شيئاً إلا أعطاه .
فقال عبد الله بن سلام : إن الله عز وجل ابتداء الخلق فخلق الأرض يوم

(١) سورة نوح الآية : ١٧ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٥١ .

(٣) اسناده صحيح ، وأخرجه م / في صفات المنافقين ٤ / ٢١٤٩ ح ٢٧ باب ابتداء الخلق
وخلق آدم - عليه السلام - من طريق سريج بن يونس وهارون بن عبد الله قالا : ثنا حجاج بن محمد به .

الأحد، ويوم الاثنين، وخلق السموات يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، وخلق الأقوات وما في الأرض من شيء يوم الخميس ويوم الجمعة، وفرغ من ذلك صلاة العصر فتلك الساعة ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .
رواه جماعة عن سليمان الشيباني منهم أبو حمزة السكري .
ورواه ابن أبي ذئب وابن عجلان وغيرهما عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام قوله .

(٣-٦٠) أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل ، وأحمد بن إسحق ابن أيوب قالوا : حدثنا أحمد بن سلمة النيسابوري قال : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : أتيت الطور فوجدت ثم كعبا فمكثت أياما^(١) أحدثه عن رسول الله - ﷺ - ويحدثني عن التوراة، فقلت له يوما : قال رسول الله - ﷺ - خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم - عليه السلام - وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح، يوم الجمعة وهي مصيخة^(٢) حتى تطلع الشمس شققا من الساعة إلا ابن آدم، فيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله عز وجل شيئا إلا أعطاه إياه، قال كعب : ذلك في كل سنة، قلت : بل هي في كل جمعة، فقرأ كعب التوراة، ثم قال : صدق رسول الله - ﷺ - هي في كل جمعة . فخرجت فلقيت بصرة ابن أبي بصرة الغفاري فقال : من أين جئت؟ فقلت : من الطور . فقال : لولقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته . قلت : لم؟ قال : لأنى سمعت رسول الله

(١) في النسائي : يوما .

(٢) مصيخة : أى مصغية مستمعة .

- عليه السلام - يقول لا تعمل المطى ^(١) إلا إلى ثلاثة مساجد ^(٢) ، فقدمت فلقيت ابن سلام فقلت : لورأيتنى خرجت إلى الطور فلقيت كعباً فقلت له في ساعة الجمعة فقال كعب : هي في كل سنة ، فقال ابن سلام : كذب كعب ثلاثاً ، ثم قرأ ^(٣) كعب فقال : صدق رسول الله - عليه السلام - هي في كل جمعة . فقال عبد الله بن سلام : صدق كعب ، إنى لأعلم تلك الساعة ، فقلت : يا أخى حدثنى بها ، قال : هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس . قلت : أليس قال النبی - عليه السلام - لا يصادفها مؤمن يصلى ^(٤) . قال أليس قال من جلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة ^(٥) . رواه فليح عن سعيد بن الحارث عن أبى سلمة قال : دخلت على ابن سلام فسألته عن الساعة التى فى الجمعة .

ورواه مالك بن أنس عن ابن الهاد ، وروى محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، وذكر يوم الجمعة فقال : فيه خلق آدم واسكن الجنة وفيه ساعة وهى التى خلق الله فيها آدم - عليه السلام - .

(٤-٦١) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرايفى بمصر ، قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال : حدثنا عثمان بن عمر قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال : بدأ الله عز وجل خلق الأرض فخلق سبع أرضين فى يومين ، يوم

(١) المطى جمع مطية : وهى الناقة التى يركب مطاها ، أى ظهرها .

(٢) فى النسائى : المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس .

(٣) فى النسائى : قلت : ثم قرأ كعب . . . الخ .

(٤) فى النسائى : وليست تلك الساعة صلاة .

(٥) أخرجه النسائى / فى الجمعة / باب ذكر الساعة التى يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة

٩٣/٣ من طريق قتيبة قال : ثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد به .

الأحد ويوم الاثنين، وقدر فيهما أقواتها في يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء فاستوى إلى السماء فخلقهن في يومين يوم الخميس وقضاهن في آخر يوم الجمعة وهى الساعة التى خلق الله عز وجل فيها آدم على عجل، ما على الأرض دابة إلا وهى تفرع ليوم الجمعة أن تقوم فيها الساعة إلا الإنسان والشیطان. وروى عن سعيد المقبرى وغيره عن أبى هريرة مرفوعا.

(٦٢-٥) أخبرنا عبدوس بن الحسين قال: حدثنا أبو حاتم الرازى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا يحيى بن أيوب عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: خلق الله عز وجل السماوات من دخان، ثم ابتدأ خلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين فذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالذى خلق الأرض في يومين ﴿ثم قدر فيها أقواتها في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فذلك قوله﴾ ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾. . الآية. ثم استوى إلى السماء وهى دخان فسمكها وزينها بالنجوم والشمس والقمر فأجراهما في فللكهما، وخلق بها ما شاء من ملائكته وخلقها، يوم الخميس، وخلق الجنة في يوم الجمعة، وخلق آدم في يوم الجمعة، فذلك قوله: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾، وسبت كل شىء يوم السبت فعظمت اليهود يوم السبت، لأنه سبت فيه كل شىء، وعظمت النصارى يوم الأحد لأنه ابتدأ فيه خلق كل شىء وعظم المسلمون يوم الجمعة، لأن الله عز وجل فرغ فيه من خلقه وخلق يوم الجمعة رحمته، وجمع فيه آدم - عليه السلام - وفيه أهبط من الجنة إلى الأرض، وفيه قبلت توبته وهى أعظمها.

(٦٣-٦) أخبرنا عبد الله بن الحسين النيسابورى قال: حدثنا محمد بن إدريس الرازى قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثنا عبد الله

ابن وهب قال : حدثنا عبد الله بن عياش بن عباس قال : حدثنا عبد الله بن سليمان الطويل عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام . . (١) منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء ، والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك .

هذا اسناد متصل مشهور عند المصريين ، وعيسى بن هلال روى عنه كعب بن علقمة ، وعياش بن عباس وعبد الله بن سليمان وعبد الله بن عياش (٢) مشهوران . ودراج هو ابن سمعان اسمه عبد الرحمن بن أبى عمر . وابن جزء الزبيدى (٣) ، روى عنه عمرو بن الحارث والليث وجماعة قاله لى أبو سعيد بن يونس بن عبد الأعلى .

(٦٤-٧) أخبرنا الحسن بن يوسف قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمر العقدي قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال : جاء رجل إلى عبد الله قال : إن كعبا يزعم أن السماء تدور على منكب ملك . فقال : كذب . إن الله يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ . . الآية .

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) هو عبد الله بن عياش بن عباس ، ولعله : تكرر من الناسخ .

(٣) ابن جزء : هو عبد الله بن الحارث بن جزء : بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة - ، الزبيدى - بضم الزاى - صحابى ، أبو الحارث ، سكن مصر ، وهو آخر من مات بها من الصحابة ، سنة خمس أو ست أو سبع أو ثمان وثمانين ، والثانى أصح . تقريب ٤٠٧/١ .

التعليق :

أورد المصنف تحت هذا العنوان الآيات القرآنية الدالة على آيات الله الكونية في خلقه الأرض وما فيها من منافع العباد، والمتأمل في كتاب الله يجد أن طريقة القرآن الكريم في بناء عقيدة التوحيد وتثبيتها، أنه يلفت نظر المخاطب إلى آيات الله الكونية المشاهدة المحسوسة لكل أفراد البشر على مختلف مستوياتهم ليأخذوا منها الدلالة على وحدانية الخالق، وأنه هو الإله الحق الذي يجب أن تخلص له العبادة، ولذا يجد القارئ لكتاب الله عز وجل أن آياته القرآنية تلفت نظر الإنسان وهو المقصود بالهداية إلى آيات الله الكونية العظيمة في خلقه الأرض وما أودع فيها من آيات والتي إذا تأمل فيها الناظر بفكره وعقله علم أنها من أعظم آيات فاطرها كما قال تعالى : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريات / ٢٠).

ومن ذلك أن الله سبحانه خلقها فراشا ومهادا، وذللها لعباده، فيسر لهم فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعاشهم، وجعل لهم فيها السبل ليتمكنوا من التنقل فيها لقضاء حوائجهم، كما أرساها بالجبال لثلاثيمد بهم فتضطرب حياتهم، ودحاها فمدها وبسطها ووسع أكنافها فجعلها للناس كفاتا أحياء وأمواتا .

وقد أكثر الله من ذكرها في كتابه، ودعا الناس إلى النظر فيها والتفكر في خلقها وفيما أودعه فيها من آيات، وما بث فيها من خيرات، وذكرهم بما في هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة، وبين أنه هو الخالق لذلك كله وليس لمن اتخذوهم آلهة من دونه قدرة على ذلك. يقول تعالى : ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم. هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ (لقمان ١٠، ١١).

فقد بين سبحانه في هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيها، كما بين أنه هو الرازق لجميع مخلوقاته، وإذا كان الخلق كله له، ولا رازق لأحد سواه ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فعبادة المشركين لهذه الأصنام وما شابهها من معبودات تخاف وترجى، التي ليس لها من الأمر شيء إذ لا تضر عابديها ولا تنفعهم، ظلم

واعتماداً على حق خالقهم، إذ يخلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر سواه، وأى جهل وعمى أوضح من ذلك، وصدق الله : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . يظلم الإنسان نفسه بصرفه حق الله إلى غيره .

كما اتبع المصنف الآيات القرآنية بالاحاديث النبوية في وصف خلق الأرض وما فيها، وقد فصل ذلك حديث أبى هريرة الذى أخرجه مسلم، وهو حديث خلق التربة يوم السبت . . . الحديث .

واتبعه برواية أبى هريرة في فضل الساعة التى يوم الجمعة، ثم الاحاديث الأخرى الموقوفة التى تدل على أن بدء الخلق للأرض يوم الأحد .

وقد أورد ابن كثير حديث التربة يوم السبت المشار إليه في تفسيره ٤٢٢/٣ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْخَرَاتُ بَأَمْرِهٖ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف / ٥٤) .

فبعد أن ذكر الستة أيام، وهى : الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس والجمعة، قال : وفيه اجتمع الخلق كله، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق، لأنه اليوم السابع، ومنه سمى السبت وهو القطع .

قال : فأما الحديث الذى رواه أحمد في مسنده قال : حدثنا حجاج . . . ثم ساق الحديث المذكور هنا وفيه خلق الله التربة يوم السبت، قال : فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه، والنسائي من غير وجه عن حجاج، وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج به، وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال في ستة أيام . ولهذا تكلم البخارى وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبى هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً . والله أعلم .

وقد جاء تفصيل قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . .﴾ الآية . في سورة فصلت، وهو قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ كُلِّينِ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ (الآيات ٩-١٢) .

وقد ذكر ابن كثير تفصيل تلك الأيام في تفسيره ١٥٤/٧ - ١٥٧ .

وذكر حديث أبي هريرة هذا ، وذكر أنه رواه مسلم والنسائي من حديث ابن
جريج به قال : وهومن غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في التاريخ فقال : رواه
بعضهم عن أبي هريرة عن كعب الأحبار ، وهو الأصح .

١٧- ذِكْرُ آيَةِ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْجِبَالِ وَمَا أُخْبِرَ عَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَوَصَفِ الْوَانِصَا .

قال الله عز وجل : **مُخْبِرًا عَنْ بَدِيعِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِ الْجِبَالِ وَأَنْهَا رِوَاسِي وَأَوْتَادًا ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ (١) ، ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ (٢) .**

وقال تعالى : **﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رِوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ﴾ (٣) .**

ثم أخبر عن منافعها فقال : **﴿وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٤) .**

ثم أخبر عن ألوانها فقال عز وجل : **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ (٥) .**

بيان ذلك من الأثر:

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أشد خلق ربك عز وجل عشرة الجبال الرواسي ، والحديد ينحت به الجبال ، والنار تأكل الحديد ، والماء يطفىء النار ، والسحاب المسخربين السماء والأرض ، والريح تقل

(١) سورة النازعات الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النبأ الآية : ٧ .

(٣) سورة لقمان الآية : ١٠ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٧٤ .

(٥) سورة فاطر الآية : ٢٧ .

السحاب ، والإنسان يغلب الريح يتقيها بيده ويذهب ، والسكر يغلب الإنسان ، والنوم يغلب السكر ، والهـم يغلب النوم ، فأشد خلق ربك الهـم . رواه زكرياء بن أبى زائدة عن الشعبي .

(٦٥-١) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد قال : حدثنا الحسن بن على بن عفان قال : حدثنا عبد الله بن نمير الهمداني عن الأعمش عن أبى ظبيان حصين بن جندب عن ابن عباس - رضى الله عنها - قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم فقال له : أكتب . فقال : ما أكتب ؟ فقال : أكتب القدر ، فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، قال : ثم ارتفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون ، ثم بسط الأرض على ظهره فاضطربت فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، فانها لتفخر عليها^(١) .

(٦٦-٢) أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب المروزى قال : حدثنا سفيان بن مسعود المروزى قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا العوام ابن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميد فخلق الله عز وجل الجبال فألقاها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل من خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال : الحديد . قالت : يارب هل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار . قالت : هل من خلقك شىء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء . قالت :

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسير سورة «ن» ١٤/٢٩ من طريق واصل بن عبد الأعلى ، قال :

ثنا محمد بن فضيل عن الأعمش به .

يارب فهل من خلقت شىء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: فهل من خلقت شىء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها (من) (١) شماله (٢).

هذا إسناد ثابت على رسم النسائي .
وسليمان بن أبي سليمان بصرى، روى عنه أبو مسلمة سعيد بن يزيد وغيره .

(١) (من) من الترمذى .

(٢) ت/ فى التفسير/ آخر أبواب التفسير/ تحفة الأحوذى ٣٠٧/٩ ح ٢٤٢٨ من طريق محمد بن بشار، أخبرنا يزيد بن هارون به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه .

قلت: وفى اسناده سليمان بن أبى سليمان الهاشمى مولا هم، مقبول، من الثالثة . / ت .
تقريب ٣٢٥/١ .

وفى تهذيب الكمال ٥٣٩/١ قال: سليمان بن أبى سليمان القرشى الهاشمى مولى عبد الله بن عباس، روى عن أنس بن مالك، ثم أورد متن الحديث المذكور، وذكر ما قاله الترمذى فيه .

التعليق :

من الأدلة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى خلق الجبال الرواسي وما أودع فيها من منافع لجميع مخلوقاته وخص بعنايته من هذه المخلوقات الإنسان الذي كرمه ربه وخلق في أحسن تقويم .

وقد أورد المصنف تحت هذه الترجمة بعضاً من الآيات الدالة على منافع الجبال من كون الخالق سبحانه وتعالى جعلها رواسي وأوتاداً لحفظ الأرض من أن تميد بمن عليها لأنها لو بقيت رجراجة لما استقر عليها إنسان ولا حيوان ولا تيسرت منافع على ظهرها من بناء وزروع وغير ذلك مما يحتاجه الإنسان في معاشه واستقراره . والذي يظن الجاهل الغافل عن التفكير في خلقها ومنافعها أنها فضلة في الأرض لا حاجة إليها .

كما أخبرنا سبحانه أن فيها من المنافع مالا يحصيه إلا خالقها، والناس يدركون كثيراً من ذلك، ففي حديث إسلام ضمام بن ثعلبة الذي أخرجه الشيخان وفيه قوله للنبي - ﷺ - فبالذي نصب الجبال وجعل فيها المنافع الله أرسلك؟ . قال : نعم .

وقد تكلم ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» ٢١٨/١ - ٢٢١ فعدد كثيراً من منافع الجبال وذكر أن الله سبحانه وتعالى قد دعانا في كتابه إلى النظر فيها وفي كيفية خلقها فقال : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت﴾ . ثم قال : فخلقها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدرة بارئها وفاطرها وعلمه وحكمته ووحدانيته، هذا مع إنها تسبح بحمده وتخضع له وتسجد وتشقق وتهبط من خشيته، وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها على شدتها وعظم خلقها من الأمانة إذ عرضها عليها وأشفقت من حملها . . . إلى أن قال : وقد أخبر عنها فاطرها وبارئها أنه لو أنزل عليها كلامه لخشعت ولتصدعت من خشية الله .

قال : فيا عجباً : من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلين ولا تخضع ولا تنيب، فليس بمستنكر على الله عز وجل ولا يخالف حكمته أن يخلق لها ناراً تذيبها إذ لم تلن بكلامه، وذكره، وزواجه، ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه ولم ينب إليه ولم يذبه حبه والبكاء

من خشيته فليتمتع قليلا ، فإن أمامه المليون الأعظم ، وسيرد إلى عالم الغيب والشهادة
فيرى ويعلم اه .

هذا وإن الآثار التي أوردها المصنف في تفسير الآيات قد يستأنس بها في ذلك
المعنى ، مع أن الآيات واضحة كل الوضوح فيما استدل بها عليه من الدلالة على
وحدانية الخالق سبحانه وتعالى في خلق الجبال وما أودعه فيها من منافع لعباده يدلهم
بذلك على أنه المستحق للعبادة وحده ، كما أنه لا شريك له في خلقه فلا يجوز لمخلوق
أن يصرف شيئا من أنواع العبادة لغيره ، فإن عَمِلَ ذلك فإن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

والحمد لله رب العالمين .

١٨- ذِكْرَ آيَةٍ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ
فِي خَلْقِ الْمَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاةً بِمَجْمُوعِ خُلُقِهِ .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ (٣) . ١/٣٠

وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا . . . ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَعْلَهُ مَعَ
اللَّهِ . . . ﴾ (٤) الْآيَةِ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ
مَعِينٍ ﴾ (٧) .

(١) سورة الأنبياء الآية : ٣٠ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ١٨ .

(٣) سورة الواقعة الآية : ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سورة النمل الآية : ٦١ .

(٥) سورة المرسلات الآية : ٢٧ .

(٦) سورة النازعات الآية : ٣١ .

(٧) سورة الملك الآية : ٣٠ .

بيان ذلك من الأثر:

(١-٦٧) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال: حدثنا محمد بن إبراهيم المروزي قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا همام بن يحيى عن قتادة بن دعامة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه أتى النبي ﷺ - فقال: إني إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عيني فانبثني عن كل شىء. قال: كل شىء خلق من الماء^(١).
رواه جماعة عن همام^(٢) نحوه.

وكذلك رواه سعيد بن بشير وغيره عن قتادة، ورواه عبد الله بن معمر الهذلى عن أبى داود عن همام عن قتادة عن همام بن منبه عن أبى هريرة وقال: سعيد بن أبى عروبة وغيره عن قتادة قال: ذكر لنا عن أبى هريرة عن النبي ﷺ - نحوه.

(٢-٦٨) أخبرنا عبد الله بن الحسن المدينى قال: حدثنا على بن محمد بن سعيد قال: حدثنا منجاب بن الحارث، وأخبرنا الحسين بن على قال: حدثنا الحسن بن عامر قال: حدثنا عبد الله بن محمد العيسى قال:

(١) حم ٣٢٣/٢ من طريق عبد الله، حدثنى أبى، ثنا عفان به، وعبد الصمد قال: ثنا همام به. وفيه زيادة.

حم ٤٩٣/٢ من طريق عبد الله، حدثنى أبى، ثنا عبد الصمد قال: ثنا همام به. وفيه زيادة.

(٢) حم ٣٢٤/٢... عبد الله حدثنى أبى ثنا بهز، ثنا همام.

حم ٢ / ٢٨٩... عبد الله حدثنى أبى ثنا ابن نمير ثنا عبيد الله عن خبيب بن عبد الرحمن به.

حدثنا على بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة^(١). رواه أبو أسامة، وابن نمير، وابن بشير، وغيرهم.

(١) له شاهد في صحيح البخارى كتاب بدء الخلق / باب ذكر الملائكة من حديث أنس بن مالك . فتح الباري ٣٠٢/٦ ح ٢٢٠٧ وهو في أحاديث المعراج .

التعليق :

من الأدلة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى ، وأنه الإله الحق الذى يجب أن يفرد بالعبادة ، خلق الماء الذى جعله الله أساس الحياة لكل كائن حى . كما قال تعالى : ﴿... وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ . وقد جاءت هذه الآية الكريمة فى سياق الاستدلال على وحدانية الخالق فى الوهيته ، والوعيد لمن يدعى الألوهية من دونه أو يعبد معه غيره .

قال تعالى : ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين . أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ .

يقول ابن جرير : أفلا يصدقون بذلك ويقولون بألوهية من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة . التفسير ٢٠ / ١٧ .

ويقول سيد قطب فى تفسير قوله تعالى : ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون...﴾ . الآية : وهذا الماء أصل الحياة وعنصرها الذى لا تنشأ إلا به كما قدر الله . ما دور الإنسان فيه؟ دوره أنه يشربه . أما الذى أنشأه من عناصره ، وأما الذى أنزله من سحابه ، فهو الله سبحانه ، وهو الذى قدر أن يكون عذبا فكان ﴿لوشاء جعلناه أجاجا﴾ مالحا لا يستساغ ولا ينشئ حياة . فهلا يشكرون فضل الله الذى أجرى مشيئته بما كان . والمخاطبون ابتداء بهذا القرآن كان الماء النازل من السحاب فى صورته المباشرة مادة حياتهم ، وموضع احتفالهم ، والحديث الذى يهز نفوسهم ، وقد خلدته قصائدهم وأشعارهم... ولم تنقص قيمة الماء بتقدم الإنسان الحضارى ، بل لعلها تضاغت ، والذين يشتغلون بالعلم يحاولون تفسير نشأة الماء الأولى أشد شعورا بقيمة هذا الحديث من سواهم ، فهو مادة اهتمام للبدائي فى الصحراء وللعالم المشتغل بالأبحاث سواء .

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أئله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ . أى جعل الأرض قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته

مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال في الآية الأخرى : ﴿الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء﴾ . ﴿وجعل خلالها أنهارا﴾ أى جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها ، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار ، وبين ذلك وسيرها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه . ﴿وجعل لها رواسى﴾ أى جبالا شامخة ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾ أى جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا ، أى مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا ، فإن الحكمة الإلهية تقتضى بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه ، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا تسقى الحيوان والنبات والثمار منها ، والبحار المالحة هى المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحا أجاجا لئلا يفسد الهواء برمجها .

كما قال تعالى : ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا﴾ . ولهذا قال : ﴿أءله مع الله﴾ أى فعل هذا؟ أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح . ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ . أى فى عبادتهم غيره . اهـ . ٢١٣/٦ .

وقد اتبع المصنف الآيات بحديثى أبى هريرة لدلالاتهما على ما نصت عليه الآيات الكريمة .

وبهذا يتضح لنا أن هذه الآيات التى أوردها المصنف تحت هذا العنوان فى خلق الماء الذى هو أساس الحياة لكل شىء من حيوان ونبات كما قال تعالى : ﴿... وجعلنا من الماء كل شىء حي﴾ وتصريفه تعالى لهذا الماء فى أقطار الأرض ، وجعله ماء الأنهار عذبة صالحة للشرب ولسقى النبات ، وماء البحار مالحة أجاجا لئلا يفسد الهواء فيه لك الإنسان والحيوان ، كل ذلك دليل على وحدانية الخالق جل وعلا ، وأنه يجب على العباد إفراده بالعبادة والتوجه إليه فى السراء والضراء ، فهو النافع الضار المحيى المميت لا إله غيره ولا رب سواه .

١٩ - ذِكْرُ آيَةٍ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ مُنْزِلُ الْمَاءِ مِنَ الْمَزْنِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لِنُوحٍ إِبْرَاهِيمُ وَمِنْ دُونِهِ لِلنَّبَاتِ وَالْوُحُوشِ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَحْمِلُ أُلْوَانَ الثَّمَرِ
مُخْتَلَفَةً الْأَطْعِمَةِ وَالْأُلْوَانِ مِنْ أَزْوَاجِ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَاسِجٍ .

قال الله عز وجل مخبراً عن لطيف قدرته وحسن صنعته من خلقه :
﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
...﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهَا﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ
شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النِّهْيِ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا﴾ (٥) .

(١) سورة النازعات الآية : ٣١ .

(٢) سورة عبس الآية : ٢٤-٣٢ .

(٣) سورة فاطر الآية : ٢٧ .

(٤) سورة طه الآية : ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) سورة النحل الآية : ٦٥ .

ثم مجد نفسه عند قصر علم عباده فقال: ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون﴾^(١).
بيان ما تقدم من الأثر وأقاويل أهل التأويل:

(١-٦٩) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرايفى بمصر قال: حدثنا ابراهيم بن مرزوق قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم بن كليب قال: حدثنى أبى عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - أنه قال عند عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إن الله عز وجل خلق الأشياء سبعة فى حديث، وما أنبت الأرض سبعة، فقال عمر: كلما قلت فقد عرفت غير هذا ما تعنى ما أنبت الأرض سبعة، فقال ابن عباس - رضى الله عنهما - ﴿إنا صبينا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾ فالحدائق كل ملتف حديقة، والأب ما أنبت الأرض مما لا يأكل الناس^(٢). فقال عمر - رضى الله عنه -: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذى لم يستوسى رأسه.

(٢-٧٠) أخبرنا الحسن بن يوسف قال: حدثنا ابراهيم بن مرزوق قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا شعبة بن الحجاج عن أبى اسحق عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - فى قوله عز وجل: ﴿صنوان

(١) سورة يس الآية: ٣٦.

(٢) أشار إليه ابن جرير ٦٠/٣٠ فقال: ثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب قالوا: ثنا ابن ادريس قال: سمعت عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال: عد سبعة، جعل رزقه فى سبعة، وجعله من سبعة، وقال فى آخر ذلك: الأب ما أنبت الأرض مما لا يأكل الناس. ولم يذكر السبع، ولعلها التى ذكرها هنا وهى: ﴿إنا صبينا الماء صبا﴾ الخ.

وغير صنوان ﴿١﴾ الآية. قال: الصنوان النخلة تحتها النخلات، وغير الصنوان النخل المتفرق. رواه جماعة عن أبي اسحق (٢).

(٣-٧١) أخبرنا خيثمة ومحمد بن أيوب بن حبيب قالوا: حدثنا هلال بن العلاء قال: حدثنا سليمان بن عبيد الله الغيلاني قال: حدثنا عبيد الله بن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال: الدقل والفارسي والحلو والحامض (٣). رواه سيف ابن محمد (٤) عن الأعمش مرفوعا. والصواب: موقوف.

(٤-٧٢) أخبرنا الحسن (بن) يوسف الطرايفي ومحمد بن يعقوب قالوا: حدثنا ابراهيم بن مرزوق قال: حدثنا أبو عامر قال: حدثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت (عمرو) بن حريث يحدث عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن النبي - ﷺ - قال: الكفاة من المن وماؤها شفاء

(١) سورة الرعد الآية: ٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٩٩/١٣ من رواية اسحاق. وشعبة عن أبي اسحاق.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٠٣/١٣ من طريق أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا سليمان بن عبد الله الرقي، قال: ثنا عبيد الله بن عمر الرقي به. مرفوعا. في اسناده سليمان الرقي: صدوق، ليس بالقوي وعنه الأعمش وهو مدلس.

(٤) وصله ابن جرير في التفسير ١٠٣/١٣ من طريق محمود بن خداش قال: ثنا سيف بن محمد بن أحمد عن سفيان عن الأعمش به مرفوعا.

وسيف بن محمد الكوفي، ابن أخت لسفيان الثوري، نزل بغداد، كذبه، من صغار الثامنة، مات في حدود التسعين. تقريب ٣٤٤/١.

للعين أو دواء للعين^(١). رواه جماعة عن شعبة، ورواه جماعة عن عبد الملك
 ٣٢/أ ابن عمير منهم سفيان الثوري وجريير بن حازم، وجريير بن عبد الحميد،
 وابن عيينة ومحمد بن شعيب، ورواه مطرف وشعبة عن الحكم بن عيينة عن
 الحسن العربي عن عمر بن حريث^(٢)، ورواه محمد بن عمر عن أبي سلمة
 عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - وقال فيه شفاء من
 السم^(٣) مشهور عنه .

(١) خ / التفسير / باب (٤) «وظللنا عليهم الغمام» فتح الباري ١٦٣/٨ ح ٤٤٧٨،
 ص ٣٠٣ ح ٤٦٣٩ .

— خ / وفي الطب / باب (٢٠) المن شفاء للعين . فتح الباري ١٦٣/١٠ ح ٥٧٠٨ .
 — م / الأشربة / باب (٢٨) فضل الكمأة ومداواة العين بها ، ١٦١٩/٣ ح ١٥٧، ١٥٨،
 ١٦٢، ١٥٩، وفيه زيادة، ومثله ١٦١ .

— ج ه / في الطب / باب (٨) الكمأة والعجوة ١١٤٣/٢ ح ٣٤٥٤، وفيه زيادة .
 — ت / أبواب الطب / باب (٢١) ما جاء في الكمأة والعجوة، تحفة الأحوذى ٢٣٥/٦
 ح ٢١٤٧ .

— حم / ١٨٧/١، ١٨٨ .
 (٢) خ / في الطب / معلقا قال : شعبة : وأخبرني الحكم به .
 — م / في الأشربة / باب (٢٨) فضل الكمأة، ١٦١٩/٣ ح ١٦٠ .
 (٣) وصله ج ه / في الطب / باب (٨) الكمأة والعجوة، ١١٤٣/٢ ح ٣٤٥٥ .
 — وصله حم / ٣٠١/٢، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١،
 وكلها فيها : والعجوة من الجنة، وهى شفاء من السم . وله شاهد من حديث جابر وأبي سعيد
 أخرجه حم ٤٨/٣ .

التعليق :

إن من يتأمل هذه الآيات التى أوردها المصنف يجد أن طريقة القرآن الكريم لتكوين العقيدة الإيانية بالله الواحد الأحد إلهاً معبوداً لا إله غيره ولا رب سواه، هى مخاطبة الفطرة البشرية بما هو فى متناول أفرادها، فهو يخاطبه بالنظر فى طعامه وشرابه الذى يراه فى كل لحظة من لحظات حياته، من الذى أوجده، ويسره له، بحيث أنتقل من طور إلى آخر إلى أن سار فى متناول يده .

فمن هذه الآيات التى أوردها المصنف، وكلها دليل على وحدانية الخالق جل ذكره قوله تعالى : ﴿فليَنظُرِ الإنسانُ إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم﴾ .

فطعام الإنسان الصق شىء بحياته اليومية هل نظرفيه نظرة تأمل ، كيف جاء ومن أين جاء وما المراحل التى مر بها وما دوره هو فى إنشائه .

من الذى أنزل الماء من المزن ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ (الواقعة ٦٨-٧٠) .

﴿فليَنظُرِ الإنسانُ إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا﴾ هذا الأمر الضرورى المكرر أمام الإنسان الذى أصبح ليسره وإلفه غير منظور إلى دلالة على قدرة خالقه ، ثم إفراده بالعبادة ، هذه الآيات تسير بالإنسان خطوات فى سير طعامه مرحلة بعد أخرى لتوضح قدرة خالقه التى تجعل من الشىء الواحد أنواعا مختلفة ، إذ أن التربة واحدة قد سقيت بماء واحد ومع ذلك أنبتت تلك الأنواع المختلفة من الحبوب والفواكه والثمار .

فتبدأ الآيات بذكر صب الماء على الأرض ، من الذى صبه ، لا أحد يدعى ذلك ، ﴿أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ .

وكل إنسان يعرف نزول المطر من السماء لا فرق بين إنسان وآخر ، فساكن القرية والمدينة كل منهما يعرف ذلك كما يعرفه ساكن الكوخ فى الصحراء ، فهى حقيقة يخاطب بها كل أفراد البشر ، وهذه هى أدلة القرآن الذى أنزله الله هداية للبشر .

أما الخطوة الثانية فهي شق الأرض بالنبات الطالع منها، فكما يشاهد الإنسان المطر النازل من السماء على الأرض، كذلك يشاهد الأرض وهي تنشق عن النبات الصاعد منها فتأتي بخيراتها المختلفة الأنواع والألوان والطعوم من الحبوب والكروم والنخيل والفواكه الدالة على القدرة الإلهية التي جعلت من هذه التربة الواحدة والماء الواحد تلك الأنواع المختلفة في الشكل والحجم واللون والطعم، فهو وحده فالق الحب والنوى ومنبت النبات من أزواج شتى .

كما قال تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ . (الرعد / ٣) .

حجج الله وآياته في مخلوقاته التي نصبها لعباده، كما قال تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ . (الذاريات / ٢٠-٢١) .

فانزال الماء وانبات الأنواع المختلفة به دليل على وحدانية الله جل ذكره، وأنه الإله المستحق أن يفرد بالعبادة .

وقد اتبع المصنف تلك الآيات بالآثار المفسرة لبعضها . وقوله : « وأقاول أهل التأويل » يقصد بالتأويل هنا التفسير لتلك الآيات كما يقول ابن جرير في تفسيره، القول في تأويل الآية : كذا كذا مثلاً، وقد ذكر مثلاً لذلك قول ابن عباس في تفسير آية (عبس) : وليس المقصود منه التأويل المتعارف عليه بصرف اللفظ عن ظاهره إلى معان أخرى .

٢٠ - ذُكِرَ الْآيَاتُ لِلَّهِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ خَالِقُ الْوُجُوهِ وَمَنْشِئُهَا مِنْ تَرَابِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ وَلَدِهِ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا حَوَاءَ .

قال الله عز وجل منبها عباده على وحدانيته وربوبيته وبديع صنعته لخلقه : ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(١) .

ثم أخبر عن كيفية بدء خلق آدم - عليه السلام - من تراب فجبله^(٢) طينا لا زبأ ثم جعله حمأ مسنونا ثم جعله صلصالاً كالفخار ثم نفخ فيه من روحه ، فقال عز وجل : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ إلى قوله تعالى : ﴿والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾^(٣) .

ثم أخبر عز وجل بتفرده بخلق الأشياء كلها من غير معين (.....)^(٤) فقال عز وجل : ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾^(٦) .

(١) سورة الروم الآية : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) جبله : جبل الله القوم يجبلهم : خلقهم . لسان العرب مادة جبل .

(٣) سورة السجدة الآية : ٧ - ٩ .

(٤) كلمة غير واضحة .

(٥) سورة الكهف الآية : ٥١ .

(٦) سورة الزخرف الآية : ١٩ .

بيان ذلك من الأثر:

(١-٧٣) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال: حدثنا أحمد ابن يوسف السلمي قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر، وأخبرنا عبدوس ابن الحسين النيسابوري قال: حدثنا أبو حاتم الرازي قال: حدثنا خالد بن خدّاش المهلبى قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثنا يونس بن يزيد جميعاً عن محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - عن رسول الله - ﷺ - قال: خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار السموم، وخلق آدم - عليه السلام - مما قد وصف لكم^(١).

(٢-٧٤) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ومحمد بن حمزة ومحمد بن محمد بن يونس قالوا: أخبرنا يونس قال: حدثنا أبو داود.

وأخبرنا على بن محمد بن نصر قال: حدثنا محمد بن أيوب بن يحيى قال: حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: لما صور آدم - عليه السلام - في الجنة تركه ما شاء الله عز وجل أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر إليه، فلما رآه أجوف علم أنه خلق خلقاً لا يتمالك^(٢). مشهور عن حماد بن سلمة.

(١) اسناده صحيح، وأخرجه م / في الزهد / باب (١٠) في أحاديث متفرقة، ٢٢٩٤/٤ ح ٦٠ من طريق محمد بن رافع وعبد بن حميد ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر به.
— حم ١٦٨/٦ من طريق عبد الله حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق عن معمر به.
(٢) م / البر والصلة / باب (٣١) خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، ٢٠١٦/٤ ح ١١١ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ثنا يونس بن محمد عن حماد به.

(٣-٧٥) أخبرنا أبو حاتم محمد بن عيسى الرازي بها^(١) وعبدوس^{١/٣٣} ابن الحسين النيسابوري بها وأبو عمر أحمد بن محمد بن إبراهيم قالوا: حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثنا هشام بن حسان قال: حدثني قيس بن سعد قال: حدثنا عطاء بن أبي رباح قال: كنت جالسا عند ابن عباس فأتاه رجل فقال: يا أبا عباس أ رأيت الساعة التي ذكرها رسول الله - ﷺ - في الجمعة، هل ذكر لكم منها، فقال: الله أعلم إن الله عز وجل خلق آدم - عليه السلام - يوم الجمعة بعد العصر خلقه من أديم الأرض كلها فنسى آدم، ألا ترى أن من ولده الأسود والأحمر، والخبث، والطيب، ثم عهد إليه فنسى فسمى الإنسان، فبالله إن غابت الشمس من ذلك اليوم حتى أهبط من الجنة. هذا حديث مشهور عن هشام بن حسان^(٢).

(٤-٧٦) أخبرنا عبدوس بن الحسين قال: حدثنا أبو حاتم قال:

(١) «بها» هكذا في الأصل.

(٢) هشام بن حسان الأزدي القردوسي - بالقاف وضم الدال - أبو عبد الله البصري، ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال، لأنه قيل كان يرسل عنهما، من السادسة. مات سنة سبع أو ثمان وأربعين. تقريب ٣١٨/٢. روى عن قيس بن سعد. تهذيب الكمال ١٤٣٧/٣.

ولهذا الحديث والرواية التي تليه برقم (٧٦) عن ابن عباس شاهد نحوه مرفوع من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند ٤/٤٠٠، ٤٠٦، ولفظه: عن النبي - ﷺ - قال: إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبث، والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك. اهـ.

— وأخرجه أبو داود في / السنة / باب (١٧) القدر ٦٧/٥ ح ٤٦٩٣.

— وأخرجه الترمذي / في تفسير سورة البقرة / تحفة الأحوذى ٨/٢٩٠ ح ٤٠٣١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا إبراهيم بن نافع قال: حدثنا الحسن بن مسلم قال: سمعت سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس أوسئل فقل له: يا أبا عباس الساعة التي تذكر من يوم الجمعة، فقال: ابن عباس: الله أعلم خلق آدم - عليه السلام - من بعد العصريوم الجمعة وخلق من أديم الأرض فسجدوا له ثم عهد إليه فنسى فسمى الإنسان، فوالله إن غابت الشمس حتى خرج منها. رواه ابن أبي زائدة ومحمد بن . . . عن إبراهيم نحوه. رواه ابن عيينة عن إبراهيم بن نافع عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وزاد فيه، وقال: خلقه من أديم الأرض كلها أحمرها وأسودها وخبيثها وطيبها نحو الأول. رواه أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنهما -.

(٥-٧٧) وأخبرنا عبدوس بن الحسين قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: حدثنا إسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إنما سمي آدم، لأنه خلق من أديم الأرض وإنما سمي الإنسان، لأنه نسي^(١).

بيان قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ . .

(٦-٧٨) أخبرنا خيثمة قال: حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة قال: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ -: إن المرأة خلقت من ضلع لك على طريقة، فإن

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٢١/١٦ ولفظه: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسى .

وذكره ابن كثير في التفسير «سورة طه» ٣١٣/٦ دون قوله: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم

الأرض .

ذهبت تقيمها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج^(١).
رواه جماعة عن أبي الزناد.

(٧٩-٧) وروى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء
ابن يسار عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: لما خلق الله عز وجل آدم
انتزع ضلعاً من أضلاعه فخلق منه حواء.

(٨٠-٨) أخبرنا أحمد بن الحسن بن عتبة الرازي قال: حدثنا
خير بن عرفة المصري قال: حدثنا محمد بن خلاد الاسكندراني قال:
حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن عمرو بن أبي عمرو^(٢) عن

(١) خ / النكاح / باب (٧٩) انداراة مع النساء وقول النبي - ﷺ -: (إنما المرأة كالضلع
الأعوج) فتح الباري ٢٥٢/٩ ح ٥١٨٤ من طريق عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني مالك عن
أبي الزناد به. وباب (٨٠) الوصايا بالنساء ص ٢٥٣ ح ٥١٨٦.
— وم / في النكاح / باب (١٨) الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ ح ٥٩ من طريق عمرو الناقد،
وابن أبي عمير قال: ثنا سفيان به. وكذا ح ٦٥، ٦٠ مع ملاحظة أخطاء في ترتيب أرقام الأحاديث
المذكورة في مسلم.
— وله شاهد من حديث سمرة أخرج:

حم ٨/٥ من طريق عبد الله حدثني أبي، ثنا محمد بن جعفر، ثنا عون قال: وحدثني رجل
قال: سمعت سمرة يخطب على منبر البصرة وهو يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إن المرأة
خلقت من ضلع، وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها. اهـ. وهو العنوان الذي ذكره
البخاري - رحمه الله -.

وقد ذكر ابن حجر في الفتح ٢٥٢/٩ أن هذا الحديث أخرجه ابن حبان والحاكم والطبراني في
الأوسط.

— وله شاهد أيضاً من حديث أبي ذر، أخرجه الدارمي في النكاح باب (٣٥) مدارة الرجل
أهله ٧١/٢ ح ٢٢٢٧.

(٢) عمرو بن أبي ميسرة، مولى المطلب، المدني، أبو عثمان، ثقة، ربهما وهم، من الخامسة،
مات بعد الخمسين، روى عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. تقريب ٧٥/٢، تهذيب الكمال
١٠٤٥/٢.

الأعرج عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال : إن موسى - عليه السلام - قال لآدم - عليه السلام - : يا آدم خلقتك الله عز وجل بيده ونفخ فيك من روحه ثم قال لك : كن ، فكننت . ثم قال : ﴿أسكن أنت وزوجك الجنة . . .﴾ الآية . فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت ، فقال آدم لموسى : ألم تعلم أن الله قدرها على قبل أن يخلقني . فقال رسول الله - ﷺ - لقد حجَّ آدم موسى - عليهما السلام - ثلاث مرات .

رواه جماعة عن أبي هريرة منهم أبو سلمة^(١) ، وطاووس^(٢) ، وأبو صالح^(٣) ، وغيرهم^(٤) ، ولم يذكر منهم واحد في حديثه : أسكن أنت وزوجك الجنة . وهذه اللفظة في حديث روى عن أبي ذر - رضى الله عنه - .

(١) خ / في التفسير / باب (٣) «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» فتح البارى ٤٣٤/٨ ح ٤٨٣٨ .

— حم ٢/٢٤٨ .

(٢) خ / في القدر / باب (١١) نوح آدم وموسى عند الله . فتح البارى ٥٠٥/١١ ح ٦٦١٤ .

— م / القدر / باب (٢) حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - ٢٠٤٢/٤ ح ١٣ .

— ج ه / مقدمة / باب (١٠) ٣١/١ ح ٨٠ .

(٣) حم ٢/٣٩٨ .

(٤) منهم حميد بن عبد الرحمن في خ / الأنبياء / باب (٣١) وفاة موسى وذكره بعده . فتح البارى ٤٤١/٦ ح ٣٤٠٩ .

وفي التوحيد / باب (٣٧) ما جاء في قوله عز وجل : ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ . فتح البارى ٤٧٧/١٣ ح ٧٥١٥ .

— حم ٢/٢٦٤ .

— ومحمد بن سيرين في حم ٢/٣٩٢، ٤٤٨ . وم / القدر / باب (٢) ٢٠٤٤/٤ ح ١٥ .

= مكرر .

(٨١-٩) أخبرنا أحمد بن محمد بن عاصم قال : حدثنا عبد الله ابن محمد بن النعمان قال : حدثنا عمرو بن حماد قال : حدثنا أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن شراحبيل عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي - ﷺ - قالوا : أخرج إبليس من الجنة ولعن وأسكن آدم - عليه السلام - حين قال ١/٣٤ له : ﴿أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ فكان يمشى فيها وحشياً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله عز وجل من ضلعه فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي . فقالت له الملائكة - عليهم السلام - ينظرون ما بلغ علمه ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي فقال الله عز وجل له : ﴿يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا

= — وهام بن منبه في حم ٣١٤/٢ في حديث طويل . وم / القدر / باب (٤٢) ٢٠٤٤/٤ ح ١٥ مكرر .

— ومالك في الموطأ / القدر ص ٥٦٠ ح ١ عن أبي الزناد عن الأعرج .
 — م / في القدر / باب حجاج آدم وموسى ، ٢٠٤٣/٤ ح ١٤ عن أبي الزناد عن الأعرج .
 — والمؤلف في الرد على الجهمية ص ٦٨-٧١ ح ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
 قلت : وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري ٥٠٦/١١ في شرح الحديث من رواية طاوس قال ابن عبد البر : هذا حديث ثابت بالاتفاق ، رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين ، وروى عن النبي - ﷺ - من وجوه أخرى من رواية الأئمة الثقات الأثبات .
 قال ابن حجر : قلت : وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة ، ثم ذكرها .
 وقد ذكر رواية المصنف حيث قال : وعند النسائي عن عمرو بن أبي عمرو .
 ثم قال في ص ٥٠٧ بعد أن أورد الألفاظ المختلفة ومنها رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج حيث قال ، وفيها : يا آدم خلقت الله بيده . . . الخ . لفظ رواية المصنف . كما ذكر في ص ٥٠٨ بقية الرواية وهي قوله : ألم تعلم أن الله قدر هذا على . . . الخ .
 وقد قال في ص ٥٠٧ بعد ذكر تلك الألفاظ : من هذا وهذا يشعر بأن جميع ما ذكره في هذه الروايات محفوظ ، وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر .

منها رغداً حيث شئتما ﴿٣٥﴾ - والرغد الهنى - ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ ، (البقرة/ ٣٥) ثم إن إبليس حلف لهما والله إنى لكما لمن الناصحين وقال يا آدم ألا أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وعلم أن لهما سوءة وإنما أراد أن يبدى لهما سوءاتها ما توارى عنهما ويهتك لباسهما فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فإننى قد أكلت ، فلم يضرنى ، فلما أكل آدم بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخاصمان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . فقال آدم : إنه حلف لى بك ولم أكن أظن أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، فأهبطهم إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية ﴿ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ .

أخرج مسلم بن الحجاج عن مرة وعن السدي وعمرو بن حماد ، وأسباط بن نصر فى كتابه ، وهذا اسناد ثابت .

التعليق :

أورد المصنف تحت هذه الترجمة : الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل في الألوهية، إذ هو وحده المتفرد بإيجاد الخلق، ومن تفرد بالخلق وجب أن يكون هو المتفرد بالألوهية فلا يعبد معه إله غيره .

ولما كان بنو آدم هم المقصودون بالهداية والدلالة على وحدانية الخالق، فقد بدأ المصنف أولاً بإيراد الآيات الدالة على خلق أبيهم آدم - عليه السلام - فقد أنشأ خلقه من تراب، بلا أب ولا أم، كما قال تعالى : ﴿الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة / ٧).

ثم خَلَقَهُ لزوج آدم منه بلا أم، كما قال تعالى : ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (الأنعام / ١).
ثم خَلَقَهُ لولد آدم من نطفة من ذكر وأنثى . كما قال تعالى : ﴿ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين﴾ (السجدة / ٨).

كما ذكر سبحانه في آيات أخرى أنه خلق عيسى - عليه السلام - من - أم بلا أب، وذلك كله دليل قاطع على وحدانية الخالق سبحانه وعلى تمام قدرته التى لا يعجزها شيء ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فهو سبحانه يدل عباده ببديع صنعه لخلق الله على وحدانيته وربوبيته ليفردوه بالعبادة .

كما أورد بعد ذلك الآيات الدالة على تفرد الخالق بخلق الأشياء كلها من غير معين ولا ظهير، ودليل الخلق من أعظم آيات الله سبحانه على الوحدانية .

قال تعالى : خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن يمتد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ﴿(لقمان / ١٠، ١١) .

وقال تعالى : ﴿ياأيها الناس ضربَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحج / ٧٣).

هذا وسوف أذكر ملخصا لما ذكره ابن كثير في تفسير آيتي الروم والسجدة التي أوردهما المصنف هنا .

قال - رحمه الله - ٣١٥/٦ : يقول تعالى : ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظاما، شكله على شكل الإنسان، ثم كسا الله تلك العظام لحما، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو سميع بصير، ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيفا القوي والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في الأقطار والأقاليم ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويتكسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأى وعلم... إلى أن قال : ولهذا قال : ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ .

قال : وقال الإمام أحمد : حدثني يحيى بن سعيد وغندر قالا : حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبث والطيب والسهل والحزن، وبين ذلك .

قال : وقوله : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أى خلق لكم من جنسكم إنثاء يكن لكم أزواجا، لتسكنوا إليها كما قال تعالى : ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف/١٨٩) .

يعنى بذلك حواء، خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه جعل بنى آدم كلهم ذكورا وجعل إنثاهم من جنس آخر إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كان الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهم مودة، وهى المحبة، ورحمة وهى الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتها لها أولرحمته بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه فى الانفاق، أو للألفة بينهما وغير ذلك، ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال فى تفسير آيتى السجدة ٣٦٢/٦ :

يقول تعالى : إنه الذى أحسن خلق الأشياء واتقنها وأحكمها .

وقال مالك، عن زيد بن أسلم : (الذى أحسن كل شىء خلقه).

قال : (أحسن خلق كل شىء)، كأنه جعله من المقدم والمؤخر .

قال : ثم لما ذكر خلق السموات والأرض، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعنى خلق أبا البشر آدم من طين، ﴿ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين﴾، أى يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، ﴿ثم سواه﴾ يعنى - آدم - لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما، ﴿ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾، أى بهذه القوى التى رزقكموها الله - عز وجل - فالسعيد من استعملها فى طاعة ربه عز وجل . اهـ .

وقد أورد المصنف بعد تلك الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل الأحاديث المفسرة لما شملته تلك الآيات فى الخلق .

فمنها حديث وصف خلق الملائكة وإبليس وآدم .

وحديث خلق آدم حينما صوره الله تعالى وتركه ما شاء الله فجعل إبليس يطيف به ينظر إليه، فلما رآه اجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتألك .

وحديث ابن عباس فى خلق آدم من جميع الأرض . ثم الأحاديث الواردة فى صفة خلق حواء من ضلع آدم، وإسكانه الجنة وإخراجه منها .

وهذه الأحاديث مفسرة لتلك الآيات إذ أن قائلها لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وقال تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ .

والمصنف - رحمه الله - فى مصنفاته التى أطلعت عليها لاسيما فى مسائل العقيدة يحرص على إيراد النصوص من السنة، ومن أقوال سلف الأمة الموضحة لنصوص كتاب الله عز وجل الواردة فى المسائل العقدية . كما يتضح ذلك من هذه الآثار التى أوردها بعد إيراد تلك الآيات وما أورده فى الفصول السابقة لهذا الفصل .

وقد اتضح من هذه الآيات والأحاديث دلالتها الواضحة على وحدانية الخالق سبحانه فى الوهيته وربوبيته بما دل عليه من صنعته لخلقفه فهو المتفرد بذلك وحده .

٢١ - ذَكَرَ آيَةُ نَزَلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ انْتِفَالِ الْخَلْقِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ .

فقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ . . . ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إنا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ ﴾ (٤) الآية .

وقال : ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَةٍ مِنْ مَنَى يَمْنَى . . . ﴾ (٥) إلى آخر السورة .

وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٦) .

بيانها من الأثر :

(١-٨٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد ومحمد بن يعقوب قالا :

حدثنا الحسن بن علي بن عفان ، حدثنا عبد الله بن نمير .

(١) سورة المؤمنون الآية : ١٢-١٤ .

(٢) سورة المرسلات الآية : ٢٠-٢١ .

(٣) سورة عبس الآية : ١٧-٢٢ .

(٤) سورة الدهر الآية : ١-٢ .

(٥) سورة القيامة الآية : ٣٧-٤٠ .

(٦) سورة الواقعة الآية : ٥٨-٥٩ .

وأخبرنا أحمد بن سليمان بن أيوب قال : حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن ابن عمرو قال : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي قال : حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله عز وجل إليه ملكا بأربع كلمات ، فيقول أكتب أجلك ورزقه وشقى أو سعيد ، وأن الرجل لعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم له بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل لعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم له بعمل أهل الجنة (١) .

هذا حديث مجمع على صحته رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش .

* * *

-
- (١) أخرجه خ / في بدء الخلق / باب (٦) ذكر الملائكة . فتح البارى ٦/٣٠٣ ح ٣٢٠٨ من طريق الحسن بن الربيع ، ثنا أبو الأحوص عن الأعمش به .
- وفى الأنبياء / باب (١) خلق آدم وذريته . فتح البارى ٦/٣٦٣ ح ٣٣٣٢ من طريق عمر ابن حفص ثنا أبى ، ثنا الأعمش به .
- وفى القدر / باب (١) . فتح البارى ١١/٤٧٧ ح ٦٥٩٤ من طريق أبى الوليد هشام بن عبد الملك ، ثنا شعبة أنبأنا سليمان الأعمش به .
- وفى التوحيد / باب (٢٨) قوله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ . فتح البارى ١٣/٤٤٠ ح ٧٤٥٤ من طريق آدم ، ثنا شعبة ، ثنا الأعمش به .
- م / فى القدر / باب (١) كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه ٤/٢٠٣٦ ح ١ .
- جه / المقدمة / باب (١٠) فى القدر ١/٢٩ ح ٧٦ .
- حم ١/٣٨٢ ، ٤١٤ ، ٤٣٠ .

التعليق :

سبق في الفصل السابق لهذا - وعنوانه - (ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل، وأنه خالق الخلق ومنشيها من تراب آدم، ثم من نقطة ولده)، وهذا الفصل - هو بمثابة تفصيل وتوضيح لقوله - «ثم من نقطة ولده» .

فإن الله تبارك وتعالى ، قد جعل رحلة خلق هذا الإنسان ، وتنقل خلقه من حال إلى حال ، من نقطة ، بل من جزء صغير حقير من تلك النطفة ، وخلقته في بطن أمه خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، وظلمة المشيمة ، دليل واضح على وحدانية الخالق سبحانه حيث قال : ﴿... يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظَلَمَاتٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَخِرَ لَكُمْ مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الزمر ٦) .

وقد أوضحت الآيات من سورة «المؤمنون» التي أوردها المصنف هنا رحلة هذا الإنسان في أطوار خلقه إلى أن أصبح بشراً سوياً .

يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفًا قَرَارًا مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون الآية ١٢-١٤) .

والآيات الأخرى التي أوردها المصنف كلها تبين هذا المعنى وتوضحه وهو أنه إذا كان هذا خلق الإنسان وهو المشاهد لبنى البشر، ولم يدَّع أحد أنه خلق نفسه أو ولده، فكيف يشرك مع الله معبوداً آخر يخافه ويرجوه .

والله يقول : ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ﴾ (الطور / ٣٥-٣٦) .

ويقول : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات / ٢٠-٢١) .

ثم اتبع المصنف الآيات بحديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - المرفوع المتفق عليه ، والذي يشرح ويوضح كيفية خلق الإنسان في بطن أمه ، وما قدر له من

رزق وأجل وشقاء وسعادة، وأنه لا محيص للإنسان مما قدره الله له، وليس للإنسان أن يتكل على الكتاب ويترك العمل، فإنه لا يعلم في أى الفريقين هو، وإنما عليه أن يعمل وقد استشكل الصحابة ذلك، فسألوا رسول الله - ﷺ - فقالوا : هل نتكل؟ فقال : لا . اعملوا فكل ميسر لما خلق له .

فالمؤمن الموحد الذى يؤمن بالقدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ثم يعمل ويجد في العمل فذلك هو الإيمان الحق .

نسأله تبارك وتعالى أن يوفقنا للعمل الصالح وأن يختم لنا بعمل يدخلنا الجنة إنه ولى ذلك والقادر عليه .

٢٢ - ذِكْرُ خَلْقِ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَطُولِهِ وَوَقْتِ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَحْتَةِ .

(١-٨٣) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال: خلق الله عز وجل آدم - عليه السلام - على صورته وطوله ستون ذراعاً (١).

١/٣٥ روى هذا الحديث عن أبي هريرة جماعة منهم عبد الرحمن الأعرج وسعيد المقبري وأبو عثمان الشيباني وأبوسلمة بن عبد الرحمن، وأبو أيوب . . . وأبورافع الصائغ وأبو صالح وأبيونس سليم بن جبير. وروى عن عبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وغيره. اختلف أهل التأويل في معنى هذا الحديث: وتكلموا على ضروب شتى، والأحسن منها: أن الله تعالى خلق آدم - عليه السلام - على صورته.

(١) أخرجه خ / في أحاديث الأنبياء / باب (١) خلق آدم وذريته . فتح الباري ٦/٣٦٢ ح ٣٣٢٦ من طريق عبد الله بن محمد، ثنا عبد الرزاق به وفيه زيادة .
وفي الاستبذان / باب (١) بدء السلام . فتح الباري ١/١١ ح ٦٢٢٧ من طريق يحيى بن جعفر، ثنا عبد الرزاق به، وفيه زيادة .
— م / الجنة / باب (١١) يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤/٢١٨٣ ح ٢٨ من طريق محمد بن رافع، ثنا عبد الرزاق به . وفيه زيادة .
— حم ٢/٣١٥ في حديث طويل .

معناه : لم يخلقه طفلاً ثم صبياً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً هو الأصح منها ما جاء عن النبي - ﷺ - بالاسناد الثابت .

(٢-٨٤) أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن هارون السمرقندي قال : حدثنا أحمد بن شيبان قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان .

ح / وأخبرنا الوليد بن القاسم ومحمد بن سعد قالوا : حدثنا أحمد بن شعيب ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث بن سعد عن محمد بن عجلان .

ح / وأخبرنا خيثمة قال : حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة قال : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان عن ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته^(١) . هذا اسناد مشهور متصل صحيح وابن عجلان أخرج عنه مسلم والنسائي والجماعة إلا البخارى ، ومعناه صحيح وإنما أراد النبي - ﷺ -

(١) حم ٢/٢٥١، ٤٣٤ من طريق يحيى بن سعيد عن محمد بن عجلان به .
— وابن خزيمة فى التوحيد ص ٣٦ من طريق الربيع بن سليمان المرادى ، ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنا الليث عن محمد بن عجلان به .
— وابن أبى عاصم فى السنة ١/٢٢٩ ح ٥٢٠ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ، المكتب الإسلامى ، قال محققه الألبانى : اسناده حسن صحيح .
— وم / فى البر / باب النهى عن ضرب الوجه ، ٤/٢٠١٧ ح ١١٥ ولفظه : إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته ، من حديث أبى هريرة .
— والدارقطنى فى الصفات ص ٥٥ ح ٤٤ .

بهذا الكلام أن الله عز وجل خلق بنى آدم على صورة آدم - عليه السلام -
فإذا شتم أحد من ولده ومن يشبه وجهه فقد شتم آدم - عليه السلام - فنهى
عن ذلك^(١).

يتلوه في الجزء الثانى^(٢): أخبرنا محمد بن عبيد الله بن أبى رجاء
قال: حدثنا موسى بن هارون.

(١) التعليق : هذا المعنى الذى ذكره المؤلف فى تفسيره رواية هذا الحديث والذى
قبله هو ما فسره ابن خزيمة هذا الحديث فى كتابه التوحيد ص ٣٧ ، ومناسبة إيراد هذا الحديث فى
الكتب المؤلفة فى التوحيد من أجل الكلام على الضمير فى قوله : (فإن الله خلق آدم على صورته)
ما مرجع الضمير فى قوله (على صورته) والمؤلف ذكر بعد إيراد حديث أبى هريرة (خلق الله آدم
على صورته وطوله ستون ذراعا) اختلاف أهل التأويل فى معنى هذا الحديث - أى - أهل التفسير
لمعناه ، فقال : تكلموا على ضروب شتى ، والأحسن منها : أن الله تعالى خلق آدم - عليه السلام -
على صورته : معناه لم يخلقه طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا أى خلقه على صورته كاملا لم يتدرج
فى النمو مثل ذريته .

ثم أورد بعده حديث أبى هريرة أيضا فى النهى عن تقييح وجه الشخص ووجهه من أشبه
وجهه ، وفسره بأن معناه - أن الله خلق بنى آدم على صورة أبيهم آدم فمن شتم وجه أحد من أولاده
ووجه من يشبه وجهه فقد شتم آدم - عليه السلام - فنهى عن ذلك .

وهذا المعنى هو ما فسره ابن خزيمة هذا الحديث فى كتابه التوحيد ص ٣٧ حيث قال : قال
أبو بكر : توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله (على صورته) يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن
أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله : خلق آدم على صورته الهاء فى هذا الموضع كناية عن اسم
المضروب والمشتوم ، أراد - ﷺ - أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذى أمر الضارب
باجتناب وجهه بالضرب ، والذى قبح وجهه ، فزجر - ﷺ - أن يقول : ووجه من أشبه وجهك ، لأن
وجه آدم شبيه وجه بنيه ، فإذا قال الشاتم لبعض بنى آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ،
كان مقبحا وجه آدم - صلوات الله وسلامه عليه - الذى وجه بنيه شبيه بوجه أبيهم ، فتفهموا رحمكم
الله معنى الخبر ، لا تغلطوا ولا تغالطوا فضلوا عن سواء السبيل ، وتحملوا القول بالتشبيه الذى هو
الضلال . اهـ .

(٢) قلت : هذا حسب تجزئة غير المصنف ، كما يأتى ورقة ٣٨ نهاية فصل رقم ٢٨ ح ١٠٩ .

الحمد لله حق حمده والصلاة على سيدنا رسوله محمد وآله أجمعين « بسم الله الرحمن الرحيم » ١/٣٦

(٣-٨٥) أخبرنا محمد بن عبيد الله بن أبي رجاء قال : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أن آدم - عليه السلام - لما أهبط إلى الأرض هبط بالهند وأن رأسه كان ينال السماء وأن الأرض شكت إلى ربها عز وجل ثقل آدم - عليه السلام - فوضع الجبار عز وجل يده على رأسه فانحط منه سبعون ذراعا ، فلما أهبط قال : رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تعينني عليه لا أقوى عليه . فقال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكا . قال : رب زدني . قال : أجازي بالسيئة السيئة ، وبالحسنة عشرة إلا ما أزيد . قال : رب زدني . قال : التوبة له مفتوح مادام الروح في الجسد . فقال إبليس : يارب هذا العبد الذي أكرمته إن لم تعينني عليه لا أقوى عليه . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك . قال : رب زدني . قال : تجري مجرى الدم وتتخذ في صدورهم بيوتا . قال : رب زدني . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد .

هذا اسناد صحيح^(١) . أخرج مسلم بهذا الاسناد حديث ، وروى يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - أول الحديث لما أهبط آدم وانحط منه سبعين باعا مثله . ورواه طلحة بن عمر عن عطاء عن ابن عباس من قوله نحو حديث جابر^(٢) .

(١) ، (٢) قلت : هذا الأثر الموقوف على جابر بن عبد الله ، وإن صح الاسناد كما ذكر المؤلف إلا أن متنه منكر . ومثله المرفوع عن ابن عباس ، والموقوف عليه . =

= والآيات من كتاب الله عز وجل . والأحاديث الصحيحة من سنة المصطفى - ﷺ - تغنى
عن مثل هذه الآثار المنكرة . لاسيما في باب العقائد . وهي بحمد الله ثابتة بالكتاب والسنة
الصحيحة . إذ إن الوارد من الصفات في هذا الحديث هو صفة اليد لله عز وجل ، وذلك ثابت
بالكتاب والسنة .

وقد أشرت إلى هذا في تعليقي على (كتاب الأربعين في دلائل التوحيد) لأبي إسحاق
الهروي . فقد أورد هذا الحديث مستدلا به على إثبات صفة اليد لله عز وجل . وبينت أن في كتاب
الله وسنة رسوله الصحيحة ما يغنى عن ذلك ، وإن كان إيراد السلف - رحمهم الله - لمثل هذه الآثار
هو من باب الاستئناس بها ، لا الاعتماد عليها ، إلا أنه قد يأخذ من ذلك اعداء السنة والذين لا
يقيمون للأحاديث وزنا إلا ما وافق عقولهم طعنا على أهل الحديث بمثل إيراد هذه الآثار .

٢٣- ذِكْرُ آيَةِ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَأَنَّهُ مَخْرُجُ النَّطْفَةِ إِلَى الرَّحِمِ بِنَقْلِهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

قال الله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر ﴿١﴾ .

قال ابن عباس : الترائب أربعة أضلاع من ذا الجانب ، وأربعة أضلاع من ذا الجانب أسفل أضلاعه ﴿٢﴾ ، وقيل عنه هو موضع القلادة ﴿٣﴾ .
بيان ذلك من الأثر :

(١-٨٦) أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل قال : حدثنا عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا أبو توبة .

ح / وأخبرنا محمد بن يعقوب الشيباني قال : حدثنا محمد بن نعيم النيسابوري ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، حدثنا يحيى بن حسان .

ح / وأخبرنا محمد بن إبراهيم بن عبد الملك قال : أخبرنا أحمد بن المعلى ابن يزيد ﴿٤﴾ قال : حدثنا مروان بن محمد قالوا : حدثنا معاوية بن

(١) سورة الطارق الآية : ٨٥ .

(٢) الدر المنثور ٦/٣٣٦ قال : وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس .

(٣) تفسير ابن كثير ٨/٣٩٦ ، والدر المنثور ٦/٣٣٦ .

(٤) لا يوجد فيمن روى عن مروان بن محمد من اسمه : أحمد بن المعلى بن يزيد . تهذيب الكمال ٣/١٣١٧ .

سلام قال : أخبرني أخى زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني أبو أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال : كنت قاعدا عند رسول الله فأتاه خبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد قال فدفعته دفعة حتى^(١) صرعته فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ فقال اليهودى : إني سميته بالاسم الذى سماه به أهله . فقال رسول الله - ﷺ - أجل إن أهلى سموني محمدا . فقال : جئتك لأسألك عن واحدة لا يعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : هل ينفعك إن أخبرتك ، فقال : أسمع بأذنى^(٢) فقال : سل عما بدا لك . قال : من أين يكون شبه الولد ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : أما ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فإن علا ماء الرجل المرأة أذكر بإذن الله عز وجل ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل آنت بإذن الله عز وجل . قال : فقال : صدقت وأنت نبي ، قال : ثم ذهب فقال رسول الله - ﷺ - : لقد سألني حين سألني وما عندى منه علم حتى أنبأني الله عز وجل . أخرجه مسلم بن الحجاج^(٣) من حديث معاوية بن سلام وعنه مشهور .

(١) فى مسلم : كاد يصرع .

(٢) فى مسلم : فنكت رسول الله - ﷺ - بعود معه فقال : سل ، فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والساوات ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : هم فى الظلمة دون الجسر . قال : فمن أول الناس اجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين . قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ، قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها . قال : فما شربهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسيلا . قال : صدقت ، قال : وجئتك أسألك . . الحديث .

وقد اقتصر المؤلف على الشاهد من الحديث .

(٣) فى الخيض / باب (٨) بيان صفة مني الرجل والمرأة وان الولد مخلوق من مائهما ٢٥٢/١ ح ٣٤ من طريق الحسن بن على الحلوانى ، ثنا أبو توبة (وهو الربيع بن نافع) به .

(٢-٨٧) أخبرنا علي بن الحسين بن علي قال : حدثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن عبد الله بن سلام سأل النبي - ﷺ - عن الولد ينزع إلى أبيه أو أمه فقال أخبرني جبريل - عليه السلام - آفأ فقال إذا سبق ماء الرجل نزعه وإذا سبق ماء المرأة نزعها^(١).

(١) خ / فى الأنبياء / باب (١) خلق آدم وذريته ، فتح البارى ٦ / ٣٦٢ ح ٣٣٢٩ من طريق محمد بن سلام ، أخبرنا الفزارى عن حميد به فى حديث طويل .
 — وفى مناقب الأنصار / باب (٥١) فتح البارى ٧ / ٢٧٢ ح ٣٩٣٨ من طريق حامد بن عمر عن بشر بن المفضل ، ثناء حميد به ، فى حديث طويل .
 — وفى التفسير / باب (٦) قوله : (من كان عدوا لجبريل) ، فتح البارى ٨ / ١٦٥ ح ٤٤٨٠ .
 — حم ٣ / ١٠٨ ، ١٨٩ ، ٢٧١ .

التعليق :

الأدلة التى تدل الإنسان على توحيد خالقه كثيرة، وقد ركز المؤلف - رحمه الله تعالى - فى هذا الكتاب على ما جاء فى كتاب الله الكريم من آيات مخاطب العقل وتوجهه إلى الأدلة الملموسة والمشاهدة التى يعرفها كل مخاطب اعمل فكره وتدبر فيما بين يديه من أدلة على وحدانية خالقه، ففى هذه الآيات التى هى الدليل على وحدانية الخالق - توجه المخاطب إلى أنه هو الدليل على ذلك فهو الدليل والمستدل - ﴿فلينظر الإنسان﴾ - أى نفسه - ﴿مم خلق﴾ ثم توضح له الآيات ما يعرفه - ﴿خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾، فكل مخاطب يعرف أنه خلق من ذلك الماء الدافق، الماء المهيّن، ومن الذى خلقه من ذلك الماء إنه الله سبحانه وتعالى، إذ ليس أحد يدعى صفة الخلق وإذا كان الله هو الخالق له، فيجب على هذا المخلوق أن يفرد هذا الخالق بالعبادة، لأنه قادر على إعادته مرة أخرى بعد موته لمحاسبته على ما عمل فى هذه الحياة الدنيا من خير وشر، فإن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى . ﴿إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر﴾ .

هذا وقد أورد المصنف بعد تلك الآيات، الأحاديث المفسرة لمعنى الصلب والترائب، وهى أحاديث صحيحة توضح وتفسر ما ورد ذكره فى هذه الآيات وهى دليل واضح على قدرة الخالق سبحانه فى إيجاد هذا الإنسان من هذا الماء الدافق حتى أصبح بشرا سويا .



٢٤ - ذَكَرَ آيَةُ نِدْلٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّ الْمُقَرَّبَ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ . (١)

قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . . . ﴾ (٢) الآية .

وقال ربك عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ (٤) .

بيان ذلك من الأثر :

(١-٨٨) أخبرنا محمد بن سعد وغير واحد قالوا : حدثنا محمد بن أيوب قال : حدثنا علي بن عثمان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - كان إذا خطبنا يذكر ابن آدم ، ويذكر بدء خلقه أنه خرج من مخرج البول ، ثم يقع في الرحم نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم يخرج من بطن أمه فيتلوث في بوله وخريه ، فلم يزل يتتبع هذا حتى أن أحدنا ليقرز نفسه .

(٢-٨٩) أخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا جعفر بن محمد بن

(١) انظر التعليق في الفصل التالي (٢٥) لتشابه الفصلين .

(٢) سورة المرسلات الآية : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) سورة الفرقان الآية : ٥٤ .

(٤) سورة الحج الآية : ٥ .

شاكر حدثنا أبو بكر بن أبي الأسود قال : حدثنا أنيس بن سوار الجرمي أخو قتادة بن سوار قال : حدثني أبي عن مالك بن الحويرث الليثي أن النبي ﷺ - قال : إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد واقع الرجل المرأة طارماؤه في كل عرق وعضو منها فإذا كان يوم السابع جمعه الله عز وجل ثم أحضره كل ٣٧/١ عرق له دون آدم - عليه السلام - في أي صورة ما شاء ركب - وهذا اسناد متصل مشهور على رسم أبي عيسى والنسائي وغيرهما .

(٣-٩٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال : حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة ، حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : سمعت أبا الطفيل يقول : سمعت أبا سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري يقول : قال رسول الله ﷺ - : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو قال خمس وأربعين فيقول أي رب أشقى أم سعيد أذكر أم أنثى فيقول الله تعالى ، ويكتبان ثم يكتب عمله وورقه وأجله وأثره ومصيبته ثم يطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها وأيهما قال سفيان إلى يوم القيامة^(١) . وهذا حديث صحيح رواه عكرمة بن خالد وأبو الزبير وكلثوم بن جبير عن أبي الطفيل .

(٤-٩١) أخبرنا علي بن يعقوب بن إبراهيم^(٢) قال : حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو قال : حدثنا علي بن عياش^(٣) ، حدثنا حريز بن

(١) حم ٧/٤ من طريق عبد الله حدثني أبي ثنا سفيان به .

(٢) ذكر في عداد من روى عن أبي زرعة باسم : علي بن يعقوب بن أبي العقب أبو القاسم .

تهذيب الكمال ٨٠٧/٢ .

(٣) علي بن عياش - بتحتانية ومعجمة - الألهاني ، الحمصي ، ثقة ، ثبت ، من التاسعة ،

مات سنة تسع عشرة . تقريب ٤٢/٢ .

عثمان الرحبي^(١)، حدثنا عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير الحضرمي عن بسر^(٢) بن جحاش قال : بصق رسول الله - ﷺ - في كفه ثم وضع عليه

أصبعه السبابة ثم قال : يقول الله أنى تعجزنى يا بن آدم وقد خلقتك من مثل هذه إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ثم جمعت ومنعت حتى إذا بلغت نفسك إلى ها هنا وأشار إلى حلقه ، قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة^(٣) . رواه يزيد بن هارون وآدم بن أبى اياس وغيرهم عن حريز ، وروى يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن ابن ميسرة باسناده نحوه وبسر بن جحاش صحابي عداة في الحمصيين ، وهذا إسناد متصل ثابت على رسم الجماعة .

(١) حريز - بفتح أوله وكسر الراء وآخره زاي - ابن عثمان الرحبي ، الحمصي ، ثقة ، ثبت ، رمي بالنصب ، من الخامسة ، مات سنة ثلاث وستين ، وله ثلاث وثلاثون سنة / خ / عم . تقريب ١٥٩/١ .

(٢) في الأصل : بشر - بالشين المعجمة - والتصحيح من المسند .
(٣) حم ٢١٠/٤ من طريق عبد الله حدثني أبى ، ثنا حسن بن موسى قال : ثنا حريز به .
— جه ٩٠٣/٢ ح ٢٧٠٧ من طريق أبى بكر بن أبى شيبه ثنا يزيد بن هارون انبا حريز به .
قال المحقق في الزوائد : اسناده صحيح .

٢٥ - ذَكَرَ آيَةُ نَذْلٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّه نَاقِلُ أَحْوَالِ الْخَلْقِ إِلَى الْعَلَقَةِ
وَالِى الْمَضْغَةِ إِلَى الْعِظَامِ إِلَى إِنْشَائِهِ بَشَرًا سَوِيًّا .

بيان ذلك من الأثر :

(٩٢-١) أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الوراق ومحمد بن محمد بن يونس قالا : حدثنا أسيد بن عاصم قال : حدثنا الحسين بن حفص ، حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله عز وجل إليه ملكا بأربع كلمات فيقول : أكتب أجله ورزقه وشقى أو سعيد ، وذكر الحديث (١) .

(٩٣-٢) أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان ، حدثنا محمد بن أحمد بن الوليد بن برد قال : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن أبي سلام الحبشى ، حدثنى عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة تقول ان رسول الله - ﷺ - قال : خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله عز وجل وحمد الله وهلل الله

(١) تقدم ح رقم ٨٢ .

أخرجه م / في المسافرين / باب (١٣) استحباب صلاة الضحى . . . الخ ١/٤٩٨ ح ٨٤ .
— ود / في التطوع / باب (٣٠١) صلاة الضحى ٢/٦٠ ح ١٢٨٦ .

واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو عزل شوكة عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمسي وقد زحزح نفسه عن النار^(١).

(٣-٩٤) أخبرنا محمد بن يعقوب الشيباني قال: حدثنا الحسن ابن عامر حدثنا هذبة بن خالد القيسي، حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام، حدثني عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة تقول: إن النبي - ﷺ - قال: أنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل^(٢).

(٤-٩٥) أخبرنا خيثمة قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي^(٣)، حدثنا يحيى بن حماد^(٤)، حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي

(١) م/ في الزكاة/ باب (١٦) بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٨/٢ ح ٥٤ من طريق حسن بن علي الحلواني ثنا أبو توبة الربيع بن نافع به.

(٢) م/ في الزكاة/ باب (١٦) ٦٩٨/٢ بعد ح ٥٤ من طريق أبي بكر بن نافع العبدى، ثنا يحيى بن كثير، ثنا علي بن المبارك ثنا يحيى عن زيد بن سلام.

— وله شاهد من حديث أبي ذر نحوه في م/ المسافرين/ باب (١٣) استحباب صلاة الضحى. ٤٩٨/١٢ ح ٨٤.

— ود/ في التطوع/ باب (٣٠١) صلاة الضحى ٦٠/٢ ح ١٢٨٦.

(٣) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي، أبو قلابة البصري، يكنى أبا محمد، صدوق، يخطيء، تغير حفظه لما سكن بغداد، من الحادية عشرة، مات سنة ست وسبعين ومائتين. وله ست وثلاثون سنة. تقريب ٥٢٢/١.

(٤) يحيى بن حماد بن أبي زياد، الشيباني مولا هم البصري، ختن أبي عوانة، ثقة، عابد، من صغار التاسعة، مات سنة خمس عشرة. تقريب ٣٤٦/٢.

صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : سلامى ابن آدم ثلاثمئة وستون عظما عليه فى كل يوم لكل عظم صدقة^(١) .

(٥-٩٦) أخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا عباس الدورى^(٢) ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق^(٣) ، حدثنا الحسين بن واقد^(٤) عن عبد الله بن بريدة^(٥) عن أبيه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : فى الإنسان ثلاثمئة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل فى كل يوم صدقة^(٦) .

* * *

-
- (١) أخرج م / نحوه من حديث أبى هريرة فى الزكاة / باب (١٦) بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع ٦٩٩/٢ ح ٥٦ .
- (٢) عباس بن محمد بن حاتم الدورى ، أبو الفضل البغدادى خوارزمى الأصل ، ثقة ، حافظ ، من الحادية عشرة ، مات سنة احدى وسبعين . عم تقريب ٣٩٩/١ ، روى عن على بن الحسن بن شقيق . تهذيب الكمال ٩٦٠/٢ .
- (٣) ابن شقيق . ثقة ، حافظ . تقدم ح ٩ .
- (٤) الحسين بن واقد المروزى ، أبو عبد الله القاضى ، ثقة ، له أوهام ، من السابعة ، مات سنة تسع . خت ، م ، عم . تقريب ١٨٠/١ .
- (٥) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى أبوسهل المروزى ، قاضيهما ، ثقة ، من الثالثة . ع تقريب ٤٠٤/١ .
- (٦) أسناده صحيح .

التعليق :

أورد المصنف تحت فصل (٢٤) السابق ، وهذا الفصل (٢٥) ، آيات متقاربة المعنى فيما دعى الله عباده في كتابه إلى الفكر فيه ، وهو خلق الإنسان نفسه من ماء مهين . ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين﴾ . وقال تعالى : ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء . . .﴾ والله سبحانه هو الناقل أحوال هذه النطفة إلى العلقة وإلى المضغة وإلى العظام إلى انشائه بشرا سويا . كما أورد المصنف بعد تلك الآيات الأحاديث والأثار المبينة للآيات والمفسرة لها .

وحيث إن ابن القيم كتب فصلا قويا في كتابه مفتاح دار السعادة في كيفية خلق الإنسان ، للاستدلال به على قدرة الخالق ووحدانيته ، فإنني سأذكر مقتطفات منه ، ومن أراد تمام الفائدة فليرجع إليه ، فإنه نفيس جدا قد لا يوجد في كتاب بحث مثله . قال : - رحمه الله - في ١/ ١٨٧ فصل : وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه ، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكير في آياته . قال : ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه ليستدل بها على غيرها .

فمن ذلك خلق الإنسان ، وقد ندب سبحانه ، إلى التفكير فيه والنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ . وقوله : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بخلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (الحج/ ٥) . وقال : ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين . إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون . . .﴾ .

وقال : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون/١٢-١٤) .
قال : وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره إذ نفسه وخلقته من أعظم الدلائل على خالقه وفاعله ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه ، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه ، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه ، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره .

وقال تعالى : ﴿قتل الإنسان ما أكفره . من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره﴾ (عبس/١٧-٢٢) .
ثم قال : فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ، ولا لتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب وإليه جرى ذلك الحديث .

قال : فانظر الآن إلى النطفة : بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف ، مستقدر لومرت به ساعة من الزمان فسدت ، وأنتنت كيف استخرجها رب الارباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقاداً لقدرته مطبوعة لمشيئته مدللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها . . .
وجعل لها قراراً مكيناً لا يناله هواء يفسده ولا يبرد يجمده ولا عارض يصل إليه ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقه حمراء تضرب إلى سواد ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها ثم جعلها عظماً مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة في شكلها وهيأتها وقدرها وملمسها ولونها .

قال : وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبين ذلك ، ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشدّه وأبعده عن الانحلال ، وكيف كساها لحماً ركبها عليها وجعله وعاء لها وغشاء حافظاً وجعلها حاملة له مقيمة له ، فاللحم قائم بها وهي محفوظة به ، وكيف صورها فأحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم وسائر المنافذ ومد اليدين والرجلين

وبسطهما وقسم رؤوسهما بالأصابع ثم قسم الأصابع بالأنامل وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة، والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه .

ثم استمر في بيان الحكمة الألهية في تركيب عظام الإنسان قواما للبدن وكيف قدرها ربها وخالفها بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة، فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير . . . وكيف ركب بعضها في بعض . . . وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها كالأضراس للطحن جعلت عريضة، والاسنان للقطع جعلت مستدقة محددة وكذلك لما كان الإنسان في حاجة إلى الحركة لم يجعل عظاما واحدا بل عظاما متعددة وجعل بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة وكان قدر كل واحد منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه .

وهكذا استمر في بيان الحكمة البالغة في خلق أعضاء هذا الإنسان الغافل عن قدرة خالقه نفسه ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ حيث تتبع جميع أعضاء الإنسان والحكمة في خلق كل عضو على الهيئة التي وجد عليها . اهـ .

٢٦- ذَكَرَ آيَةُ نَدْلٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّهُ يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ بَشَرًا حَيًّا
إِذَا شَاءَ وَأَنَّ لِمُحْنِي يَتِمَّنِي الْوَلَدُ فَلَا يُقَدِّرُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَبِكْرَهُ
وَيَعِزُّهُ فَيُقَدِّرُ.

قال الله تعالى منبها على قدرته على ذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ أَأَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (١).

(١-٩٧) أخبرنا أحمد بن الربيع قال: حدثنا بكر بن سهيل،
حدثنا عبد الله بن يوسف.

ح / وأخبرنا محمد بن يعقوب البيكندی، حدثنا إسحق الحربي،
حدثنا القعنبي عبد الله بن سلمة بن قعنب، قالا: حدثنا مالك بن أنس
عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن
محيريز قال: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته
عن العزل فقال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة بني

(١) سورة الواقعة الآية: ٥٨، ٥٩.

(العزل): أي حُكْمُهُ - وهو عزل الماء عن النساء حذر الحمل، يقال: عزل الشيء يعزله
عزلا إذا نجاه وصرفه. النهاية ٣/ ٢٣٠.

المصطلق فأصبنا نساء من سبي العرب فاشتبهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا الفداء، وذكر الحديث^(١).

(٢-٩٨) أخبرنا إبراهيم بن محمد الديلمي، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا يحيى بن أيوب وشريح بن يونس.

وأخبرنا محمد بن يعقوب الشيباني قال: حدثنا محمد بن نعيم النيسابوري، حدثنا قتيبة بن سعيد قالوا: حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرني ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز قال: دخلت أنا وأبو صرمة^(٢) على أبي سعيد الخدري فسأله أبو صرمة فقال: يا أبا سعيد هل سمعت رسول الله - ﷺ - يذكر العزل؟ قال: نعم غزونا مع رسول الله - ﷺ - غزوة المصطلق فسينا كرائم العرب فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء فأردنا أن نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك ورسول الله - ﷺ - بين أظهرنا لا نسأله، فسألناه فقال: لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله عز وجل خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا

(١) خ/ في المغازي/ باب (٣٢) غزوة بني المصطلق من خزاعة. فتح الباري ٤٢٨/٧ ح ١٣٨ من طريق قتيبة بن سعيد، أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن ربيعة به. وفيه: فأحببنا العزل، بدل الفداء.

— وفي النكاح/ باب (٩٦) العزل. فتح الباري ٣٠٥/٩ ح ٥٢١٠ مختصرا.

— وفي العتق/ باب (١٣) من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع. فتح الباري ١٧٠/٥ ح ٢٥٤٢ من طريق عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ربيعة بن عبد الرحمن به.

(٢) أبو صرمة: صحابي اسمه مالك بن قيس وقيل قيس بن صرمة. تقريب ٤٣٧/٢.

ستكون^(١). رواه يحيى بن أيوب المصري وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام وغيرهما عن ربيعة.

(٣-٩٩) أخبرنا حمزة بن محمد الكنانى بمصر قال : حدثنا إسحق ابن إبراهيم بن جابر قال : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أن أبا سعيد الخدرى حدثه أن بعض الناس كلموا رسول الله - ﷺ - فى شأن العزل وذلك فى غزوة بنى المصطلق فأصابوا منهم سببا وكرهوا أن يلدن منهم فقال رسول الله - ﷺ - لا عليكم ألا تعزلوا فإن الله عز وجل قد قدر ما هو خالق إلى يوم القيامة . رواه موسى بن عتبة^(٢) والضحاك بن عثمان ومحمد بن اسحق وغيرهم عن محمد بن يحيى بن حبان . . ورواه محمد بن مسلم الزهرى^(٣) ومكحول الشامى ويحيى بن أبى عمرو والشيبانى عن ابن محيريز . . ورواه عن الزهرى صالح بن كيسان وعقيل بن خالد ومحمد بن الوليد الزبيدى ، ويونس بن يزيد الأيلى ، وشعيب بن أبى حمزة ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وقال معمر عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى سعيد ، وقال إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى سعيد ، وروى عن ابن

(١) م / فى النكاح / باب (٢٢) حكم العزل . ١٠٦١/٢ ح ١٢٥ ، من طريق يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر قالوا : ثنا اسماعيل بن جعفر به .
— ط / الطلاق / باب (٣٤) ما جاء فى العزل ص ٣٦٧ ح ٩٥ من طريق يحيى بن مالك عن زبيعة بن عبد الرحمن به .

(٢) وصله م / فى النكاح / باب (٢٢) حكم العزل . ١٠٦٢/٢ ح ١٢٦ .

(٣) وصله م / فى النكاح / باب (٢٢) حكم العزل . ١٠٦٢/٢ ح ١٢٧ .

عينه عن الزهري عن سهل بن سعد وكلها وهم ، والصحيح حديث ابن
 محيرز ، ورواه عن أبي سعيد أبو سلمة بن عبد الرحمن ومعبد بن سيرين^(١)
 وعبد الرحمن بن بشر الأنصاري^(٢) ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وقزعة بن
 يحيى^(٣) وأبو الوداك جبر بن نوف^(٤) وأبو مطيع بن عوف أحد بني رفاعه
 وقيل أبو رفاعه من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن يحيى بن أبي كثير .
 وروى عن أسامه بن زيد وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ،
 وابن عباس من وجوه لا تثبت ، والذي ثبت من طرق ، حديث أبي سعيد
 أخرجناها في موضعها .

(١) معبد بن سيرين الأنصاري البصري ، أكبر أخوته ، ثقة ، من الثالثة ، مات على رأس
 المائة . تقريب ٢/٢٦٢ .

وقد وصل روايته م / في النكاح / باب (٢٢) حكم العزل ١٠٦٢/٢ ح ١٢٨ .

(٢) وصله م / في النكاح / باب (٢٢) العزل . ١٠٦٢/٢ ح ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) وصله م / في النكاح / باب (٢٢) العزل . ١٠٦٣/٢ ح ١٣٢ .

(٤) وصله م / في النكاح / باب (٢٢) العزل . ١٠٦٤/٢ ح ١٣٣ ، وجبر بن نوف البطالي

أبو الوداك - بفتح الواو وتشديد الدال آخره كاف - كوفي صدوق ، يهيم ، من الرابعة . م ، د ، ت ،
 س ، ق . تقريب ١/١٢٥ .

التعليق :

من الأدلة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى قدرته المطلقة على كل شيء في هذا الوجود، ومن ذلك قدرته على إخراج هذا البشر السوي المتكامل الذى صورته فأحسن تصويره وجعله فى أحسن تقويم من تلك النطفة الميتة .

﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت . . .﴾
(آل عمران / ٢٧) .

ومن تمام قدرته وكمال حكمته أنه قد يتمنى الإنسان الولد ولا يحصل له ذلك كما قال تعالى : ﴿الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور . أويزوهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾
(الشورى / ٤٩ ، ٥٠) .

كما أن الإنسان قد يحاول التخلص من إنجاب الولد لأمر من الأمور، ولكن قدرة الله فوق ذلك فيأت الولد المقدر خلقه بأذن الله .

وقد نبه الله عباده على ذلك بقوله : ﴿أفأنتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ .

وقد أورد المصنف بعد هذه الآية الأحاديث التى أوضحت ما جاء فى الترجمة وهى أحاديث فى الصحيحين وغيرها بين فيها رسول الله - ﷺ - لأصحابه حينما سألوه عن العزل عن النساء مخافة الحمل فقال لهم : « لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله عز وجل خلق نسله هى كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون . أى سواء عزلتم أم لم تعزلوا ، وهذا معنى قول المصنف (ويكره - أى الولد - ويعزل فيقدر) أى يقدر الله خلقه إن كان أراد ذلك فالله تعالى هو المتصرف ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المعطى لمن يشاء والمانع لما يشاء . ومن كان كذلك فهو الإله الحق الذى يجب أن يفرد بالعبادة سبحانه وتعالى .

٢٧- ذِكْرُ آيَةِ نَزْدَلْ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَحْكَامِ صَنْعَتِهِ فِي خَلْقِ الرَّحِيمِ
وَلَمْ شَيْئَةٍ فِي مَدَّةِ اسْتِقْرَارِ لِنُطْفَةِ فِيهَا إِلَى النَّارِ لِنِي تَمَرُّ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ تَصِيرَ بَشَرًا حَيًّا.

قال الله عز وجل : ﴿مَخْلُقَةٌ وَغَيْرَ مَخْلُوقَةٍ لِنَبِيٍّ لَكُمْ وَنَقَرٍ فِي الْأَرْحَامِ مَا
نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

وقال : ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (٢).

وقال : ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ (٣).

وقال : ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (٤).

بيان ذلك من الأثر :

(١-١٠٠) روى عن عبد الله بن عباس وابن عمرو أن هلال
الهجرى سألهما عن بدء الخلق فقالا : جميعاً من تراب ومن ماء ومن طين
ومن ظلمة ومن نار، فقال هلال فما بدء الخمس الذى ذكرتما؟ فقال ابن
عمرو ماء ينبوع وقال ابن عباس ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى

(١) سورة الحج الآية : ٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٩٨ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٦ .

(٤) سورة الاحقاف الآية : ١٥ .

الأرض جميعاً^(١) وذكر عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : خلق الإنسان من خمس من ماء وريح وظلمة وتراب ونار.

(٢-١٠١) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ومحمد بن حمزة ومحمد بن يونس قالوا : حدثنا يونس ، حدثنا أبوداود ، حدثنا حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر ، عن أنس بن مالك رفعه قال : إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة ، فإذا أراد الله عز وجل أن يقضى خلقها قال الملك أي رب ذكر أم أنثى ، شقي أم سعيد ، فما الرزق ، فما الأجل ، فيكتب كذلك في بطن أمه^(٢) .
هذا خبر مجمع على صحته من هذا الوجه .

(٣-١٠٢) أخبرنا اسماعيل بن عمرو ، حدثنا محمد بن حامد بن حميد ، حدثنا علي بن اسحق السمرقندي ، حدثنا هشيم بن بشير عن داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس ، قوله : ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾^(٣) . فقال ابن عباس إن رأته خمسة أيام

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٤/٦ قال : وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن طاوس - رضى الله عنه - قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمر ثم ذكر الحديث . قلت : ولعل هذا الرجل - هو الذى سماه ابن منده هنا - بهلال الهجرى .

— وذكره ابن كثير في التفسير ٢٥١/٧ وقال : هذا أثر غريب وفيه نكارة .

(٢) خ / في الأنبياء باب (١) خلق آدم وذريته / فتح البارى ٦/٣٦٣ ح ٣٣٣٣ من طريق أبى النعمان ، ثنا حماد بن زيد به .

— م / القدر / باب (١) كيفية الخلق الأدنى في بطن أمه وكتابة رزقه . . . الخ . ٢٠٣٨/٤ ح ٥ من طريق أبى كامل فضيل بن الحسين الجحدوى ، ثنا حماد بن زيد به .

— حم ٣/١١٦ من طريق عبد الله حدثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد ثنا حماد بن زيد به .
(٣) سورة الرعد الآية : ٨ .

وضعت تسعة أشهر وخمسة أيام ، وإن رآته عشرة أيام وضعته لتسعة أشهر وعشرة أيام فذلك غيض الأرحام^(١) .

(٤-١٠٣) أخبرنا إسماعيل بن يعقوب البغدادي ، بمصر قال : حدثنا محمد بن إسرائيل الجوهري قال : حدثنا عتاب بن زياد قال : حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر بن راشد عن الزهري ، أخبرني أبو عبيد مولى ابن أزهري^(٢) أنه سمع عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وهو يخطب فقال : إنه رفع إلى امرأة ولدت لسته أشهر من حين دخل عليها زوجها ، فدخل عليه ابن عباس فقال : يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل في كتابه : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾^(٣) ، وفي آية أخرى : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾^(٤) ، فإذا تمت الرضاعة كان حملها ستة أشهر قال فنجت^(٥) .

(١) ذكر ابن كثير في التفسير نحوه عن ابن عباس ٣٥٨/٤ . والسيوطي في الدر المنثور ٤٥/٤ .

(٢) أبو عبيد - هو سعد بن عبيد الزهري مولى عبد الرحمن بن أزهري ، يكنى أبا عبيد ، ثقة ، من الثانية ، وقيل له ادراك ، /ع . تقريب ٢٨٨/١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

(٤) سورة الأحقاف الآية : ١٥ .

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٦ قال : وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن أبي عبيدة مولى عبد الرحمن بن عوف قال : رفعت امرأة إلى عثمان - رضى الله عنه - ولدت لسته أشهر فقال عثمان : إنها قد رفعت إلى امرأة ما أراها إلا جاءت بشر ، فقال ابن عباس إذا اكملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر وقرأ ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ فدرأ عثمان عنها . اهـ .

التعليق :

إن من الأدلة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى خلق هذا الجنين في تلك الظلمات الثلاث التي هي ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن، ﴿... هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم...﴾ (النجم / ٣٣) .

وهذا من أعظم الأدلة على إحكام الصنعة الباهرة لخلق الإنسان في ذلك المكان الضيق الشديد الظلمة، إذ يخلقه الله جلّت قدرته في بطن أمه خلقاً من بعد خلق كما قال تعالى : ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بطون أمهاتكم﴾ أى قدركم في بطون أمهاتكم ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ فيكون أحدكم نطفة، ثم علقه ثم مضغة، ثم يخلق المضغة عظماً، ثم يكسوها لحماً، ثم ينفخ فيها الروح فتكون خلقاً آخر مبيناً لتلك الحالات التي مرت بها بحيث تصير بشراً سوياً، كما قال تعالى في سورة المؤمنون / ١٤ في وصفه لخلق الإنسان : ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ .

ويقول ابن كثير في تفسيره ٧/ ٧٧ قوله : ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعنى ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي الغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن، كذا قال ابن عباس وغيره، وقوله : ﴿ذلكم الله ربكم﴾ أى هذا الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءهم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ﴿لا إله إلا هو﴾ أى الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده ﴿فأنى تصرفون﴾ أى فكيف تعبدون معه غيره أين يذهب بعقولكم؟ اهـ .

وقد اتبع المصنف تلك الآيات الكريمة، بالأحاديث النبوية والآثار المفسرة لها كعادته - رحمه الله - في التقيد في باب العقائد بالنصوص من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة .

٢٨- ذَكَرَ آيَةٌ نَزَّلَتْ عَلَى وَحْدَانِيهِ الْخَالِقِ وَأَنَّ الْأَنْثَى تَحْمِلُ وَتَضَعُ بِإِذْنِهِ .

قال الله تعالى منها على قدرته وتقديره في أعمار خلقه : ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ (١).

وقال : ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ . إلى قوله : ﴿ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى﴾ (٢).

وقال : ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ (٣).

بيان ذلك من الأثر :

(١-١٠٤) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن برة الصنعاني ، أخبرنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان .

وأخبرنا الحسن بن يوسف الطرايفي قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، أخبرنا حبان بن هلال ، حدثنا وهيب جميعاً عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم (٤) عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قوله عز وجل : ﴿أولم

(١) سورة فاطر الآية : ١١ .

(٢) سورة غافر الآية : ٦٧ .

(٣) سورة الحج الآية : ٥ . وقد خلط بين الآيتين من سورة غافر وسورة الحج فلا ندرى من الناسخ أو سهو من المؤلف حيث ذكرها آية واحدة لتشابه الآيتين .

(٤) عبد الله بن عثمان بن خثيم . روى عن مجاهد بن جبر . تهذيب الكمال ١٣٠٥/٣ .

نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر^(١)، قال ستون سنة^(٢)، زاد وهيب وهو العمر الذى أعذر الله تعالى فيه إلى بنى آدم. وقوله: ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ قال بضع وثلاثون وبلغ أربعون سنة.

(٢-١٠٥) أخبرنا عبد الله بن إبراهيم قال: حدثنا أبو مسعود، أخبرنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي - ﷺ - قال: إذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر أو بلغ إليه في العذر^(٣).

(٣-١٠٦) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة، حدثنا إبراهيم ابن فهد بن حكيم قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: من عمره الله الستين فقد أعذر الله إليه في العمر^(٤).

(٤-١٠٧) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرايفى ثنا إبراهيم بن مرزوق، ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سعيد بن أبى أيوب، عن محمد بن

(١) سورة فاطر الآية: ٣٧.

(٢) ابن جرير فى التفسير ١٤١/٢٢، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢٥٤/٥، قال: وأخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس - رضى الله عنها - ثم ذكره. اهـ.

(٣) قال ابن حجر فى فتح البارى ٢٣٩/١١: أخرجه ابن مردويه من طريق حماد بن زيد.

(٤) خ / فى الرقاق / باب (٥) من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر. فتح البارى

٢٣٨/١١ ح ٦٤١٩ من طريق عبد السلام بن مطهر ثنا عمر بن على عن معن بن محمد الغفارى عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، ولفظه: (أعذر الله إلى أمرى آخر أجله حتى بلغه ستين سنة).

— حم ٢/٢٧٥، ٤١٧ بنحوه.

عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أن النبي - ﷺ - قال: من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه في العمر^(١). اهـ.
رواه أبو معشر^(٢)، وإبراهيم بن الفضل عن المقبري. اهـ.

(١٠٨-٥) أخبرنا إسماعيل بن عمرو، ثنا محمد بن حامد بن حميد، ثنا علي بن إسحاق السمرقندي، ثنا أبو سفيان محمد بن حميد العمري، عن معمر بن راشد، عن محمد - يعني - ابن معن الغفاري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: لقد أعذر الله عز وجل إلى عبد أخرفي أجله حتى بلغ أراه ستين.
رواه إبراهيم بن الفضل عن (ابن) أبي حسين، عن عطاء، عن عبد الرحمن، عن النبي - ﷺ - نحو معناه ولا يثبت^(٣).

(١) حم ٣٢٠/٢ عبد الله حدثني أبي ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد بن أبي أيوب به.
— وأشار إليه البخاري في الرقاق باب (٥) من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، فتح الباري ٢٣٨/١١ ح ٤١٩ حيث قال بعد روايته له من طريق معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري: تابعه أبو حازم، وابن عجلان عن المقبري، قال ابن حجر في شرح الحديث ص ٢٤٠: أما متابعة أبي حازم وهو سلمة بن دينار فأخرجها الاسماعيلي من طريق عبد العزيز بن أبي حازم حدثني أبي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.
كذا أخرجه الحفاظ عن عبد العزيز بن أبي حازم. ثم ذكر من خالفهم.
قال: وأما طريق محمد بن عجلان فأخرجه أحمد من رواية سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان.

قلت: وهي هذه الرواية التي أخرجها المصنف.
(٢) هونجيج بن عبد الرحمن السندي المدني أبو معشر، مشهور بكنيته، ضعيف، من السادسة، أسن واختلط، مات سنة سبعين ومائة. عم تقريب ٢٩٨/٢.
(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٤١/٢٢.

(٦-١٠٩) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، ثنا إبراهيم بن فهد ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين^(١) .
وهذا اسناد حسن مشهور عن المحاربي^(٢) * .

(١) ت / في أبواب الدعوات / باب (١١٣) تحفة الأحوذى ٩/٥٣٧ ح ٣٦٢٠ من طريق الحسن بن عرفة قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد المحاربي به . وقال : هذا حديث غريب حسن من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - .
وقال ابن حجر في فتح الباري ١١/٢٤٠ : أخرجه الترمذى بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .
كما أخرجه الترمذى أيضا في أبواب الزهد : باب (٥) ما جاء في أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين ، تحفة الأحوذى ٦/٦٢٣ ح ٢٤٣٣ من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري ، أخبرنا محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة .
(٢) المحاربي هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي ، أبو محمد الكوفي ، لا بأس به ، وكان يدلس ، قاله أحمد ، من التاسعة ، مات سنة خمس وتسعين . ع تقريب ١/٤٩٧ .
* قال الناسخ : آخر الجزء الأول من أجزاء ابن مندة .

التعليق :

دلالة هذه الآية على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى ظاهرة، فأولها قوله تعالى : ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ .

فأوضحت الآية أن الله تعالى هو الخالق لآدم - عليه السلام - من تراب، ثم لأبنائه من نطفة، كما بين سبحانه أنه عالم بكل شيء ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ وإنه المقدر لأعمار عباده فلا يزداد في عمر أحد ولا ينقص بل كل ذلك مكتوب قبل خلقهم وإيجادهم، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿ . ومن كانت هذه صفته في القدرة والاحاطة فهو المستحق للعبادة وحده .

يقول ابن جرير في تفسير الآية ١٢٢/٢٢ قوله جل ذكره ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ ما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا هو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو ذكر أو أنثى لا يخفى عليه شيء من ذلك، ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ معناه : ما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرا طويلا ﴿إلا في كتاب﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه لا يزداد فيما كتب له ولا ينقص .

وقد أورد المصنف قوله تعالى : ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر . . .﴾ . قال ابن عباس : ستون سنة .

وقد ذكر الأحاديث والأثار المبينة لذلك منها ما هو في صحيح البخاري، وهي تشير إلى مسألتين .

الأولى : تحديد أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، ومن يزيد على ذلك قليلا .

الثانية : اعدار الله إلى من بلغ عمره ستين سنة ولم يتب ويعود إلى الله سبحانه وتعالى لأن بلوغ ذلك العمر يبدأ فيه الضعف ويقطع على الإنسان الأمل في العودة إلى ما مضى من الشباب وهو معترك المنيا كما جاء في الأثر .

وقد أخرج البخارى حديث أبى هريرة والذى أورده المصنف هنا فى كتاب الرقاق / باب (٥) من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر، لقوله تعالى : ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ فى فتح البارى ٢٣٨/١١ ح ٦٤١٩ .

وقد نقل ابن حجر فى شرح الحديث أقوال أهل التفسير فى ذلك ونحن نذكر ملخصا لها فقوله ﴿وجاءكم النذير﴾ قال : الأكثر على أن المراد به الشيب لأنه يأتى فى سن الكهولة فما بعدها وهو علامة لمفارقة سن الصبى الذى هو مظنة اللهو . وقال على : المراد به النبى - ﷺ - .

قال : واختلفوا أيضا فى المراد بالتعمير فى الآية على أقوال :

أحدهما : أنه أربعون سنة نقله الطبرى عن مسروق وغيره ، وكأنه أخذه من قوله ﴿بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ .

الثانى : ست وأربعون سنة . أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس وتلا الآية ، ورواته رجال الصحيح ، إلا ابن خثيم فهو صدوق وفيه ضعف .

الثالث : سبعون سنة . أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس ، قال : أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ . فقال : نزلت تعبيراً لأبناء السبعين ، وفى اسناده يحيى بن ميمون وهو ضعيف .

الرابع : ستون . وتمسك قائله بحديث الباب ، وورد فى بعض طرقه التصريح بالمراد ، فأخرجه أبو نعيم فى المستخرج من طريق سعيد بن سليمان عن عبد العزيز بن أبى حازم . . . ولفظه : العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة . ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قال : وأخرجه ابن مردويه من طريق حماد بن زيد . . . الخ .

قلت : وهو رواية المصنف هنا برقم ١٠٥ .

الخامس : التردد بين الستين والسبعين . أخرجه ابن مردويه من طريق أبى معشر عن سعيد عن أبى هريرة بلفظ (من عمر ستين أو سبعين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر) .

قلت : وقد أشار المصنف إلى رواية أبى معشر تعليقا .

قال : وأخرجه أيضا من طريق معتمر بن سليمان عن معمر عن رجل من غفار يقال له محمد عن سعيد عن أبي هريرة بلفظ : (من بلغ الستين والسبعين) ومحمد الغفاري هو ابن معن الذي أخرجه البخاري من طريقه ، اختلف عليه في لفظه ، كما اختلف على سعيد المقبري في لفظه .

قلت : وهي رواية المصنف برقم ١٠٦ بلفظ : الستين .

قال ابن حجر : وأصح الأقوال في ذلك ما ثبت في حديث الباب ، أى التحديد بستين سنة .

وقوله (أعذر الله) الاعذار إزالة العذر، والمعنى : أنه لم يبق له اعتذار كأنه يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به ، يقال أعذر الله إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه ، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والاقبال على الآخرة بالكلية ، والمعنى أن الله لم يترك للعبد سببا في الاعتذار يتمسك به وأن الله لا يعاقب إلا بعد حجة . اهـ .

قلت : وهذا من لطف الله بعباده ورحمته بهم حيث نصب لهم أدلة وحدانيته في الآفاق وفي أنفسهم وقطع حجتهم بارسال رسله وانزال كتبه كما قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ . ثم مد لأكثرهم في أعمارهم ليتذكروا أنهم عائدون إلى الله سبحانه وأنه محاسبهم على ما قدموا ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ .

٢٩- ذِكْرُ آيَةٍ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ بِأَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَجَعَلَهُمْ سَمِيعًا وَبَصِيرًا يَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ .

وهي من الأسماء المستعارة من أسماء الله تعالى لخلقه ليعرفوا نعمة الله تعالى عليهم بذلك ، فتسمى بالسميع البصير وسمي عبده سميعاً بصيراً . فاتفقت الأسماء واختلفت المعاني إذ لم يشبه من جميع الجهات . قال الله تعالى منبهاً على قدرته على ذلك : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) .

وقال عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٢) .

بيان ذلك من الأثر :

(١-١١٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال : حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة قال : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا منصور بن المعتمر عن مجاهد عن أبي معبد عبد الله بن سخرية عن عبد الله بن مسعود قال : اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي ، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم . فقال : أحدهم أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن

(١) سورة الدهر الآية : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الملك الآية : ٢٣ .

أخفينّا. فقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينّا. فأُنزل الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ (١) الآية.

(٢-١١١) أخبرنا على بن عيسى بن عبدويه وعلى بن محمد بن نصر قالوا: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم...﴾ الآية. قال: كان رجلان من ثقيف وختن (٢) لهما من قريش أو رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف في بيت، فقال بعضهم: أترون الله عز وجل يسمع نجوانا أو حديثنا؟ قال بعضهم: قد سمع بعضه ولم يسمع بعضه. فقال: لئن كان سمع بعضه لقد سمع كله. فنزلت هذه الآية ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم﴾ (٣). الآية (٤).

(١) خ / في التفسير / باب (٢) ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾. فتح الباري ٥٦٢/٨ ح ٤٨١٧، من طريق الحميدي ثنا سفيان به.
وفي التوحيد: باب (٤١) فتح الباري ٤٩٥/١٣ ح ٧٥٢١.
(٢) الختن: ختن الرجل: المتزوج بابنته أو أخته، وكل من كان من قبل امرأته. لسان العرب / مادة: ختن.

(٣) خ / في التفسير / باب (١) ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم...﴾ فتح الباري ٥٦١/٨ ح ٤٨١٦، من طريق الصلت بن محمد، ثنا يزيد بن زريع به.

— م / صفات المنافقين: ٢١٤١/٤ ح ٥.

— حم ٤٠٨/١.

— ت / في تفسير سورة السجدة / تحفة الأحوذى ١٢٢/٩-١٢٣ ح ٣٣٠٠، ٣٣٠١، قال في الأول: حديث حسن صحيح. وقال في الرواية الثانية: حديث حسن.
(٤) سورة فصلت الآية: ٢٢.

التعليق :

من الأدلة على وحدانية الله تعالى خلقه لهذا الإنسان من تلك النطفة، ثم جعله له السمع والبصر منها، لسمع وبصر فيميز بذلك بين النافع والضار، والحق والباطل والخطأ والصواب كما قال تعالى : ﴿ قل هو الذى أنشأكم ﴾ أى ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أى ادراك الأشياء للاعتبار بها فى الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه الفاعل المختار، ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أى ما أقل استعمالكم لهذه القوى التى أنعم الله بها عليكم فى طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه . ابن كثير ٢٠٨/٨ ، ٤٨١/٥ .

فهذه القوى من السمع والبصر التى أوجدها الله من تلك النطفة من أعظم الأدلة على قدرته سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته .

يقول ابن القيم فى مفتاح دار السعادة ١٩٦/١ بعد أن ذكر خلق الإنسان من تلك النطفة، وبين منافع جميع أعضاء الإنسان والحكمة من إيجاد كل عضو فى محله، وكيف كان كل عضو فى محله المناسب، وكيف يتجه إليه الجزء المناسب لحجمه ومقداره من تلك النطفة إلى غير ذلك من الوصف المفصل الذى ينبغى لكل طالب علم الاطلاع عليه ليستفيد منه فى سلوكه مع خالقه أولاً، وليأخذ منه الرد على الملحدين ثانياً .

قال : فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولاً، وما صارت إليه ثانياً، وأنه لو اجتمع الإنسان والجن على أن يخلقوا لها سمعاً أو بصرًا أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً بل عظماً واحداً من اصغر عظامها بل عرقاً من أدق عروقها بل شعرة واحدة، لعجزوا عن ذلك، بل ذلك كله آثار صنع الله الذى أتقن كل شىء فى قطرة من ماء مهين، فمن هذا صنعه فى قطرة ماء، فكيف صنعه فى ملكوت السموات والأرض . . . الخ .

وصدق - رحمه الله - فقد تحدى الله بصفة الخلق التى لم يشركه فيها أحد جميع عباده فقال بعد ذكره لخلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة . ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ . (لقمان / ١١) .

وقال : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ . (النحل / ١٧) .

وقال : ﴿والذين يدعون من دون الله لا يَخْلُقُونَ شيئاً وهم يَخْلُقُونَ﴾ .
(النحل / ٢٠) .

وقال : ﴿يأياها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يَخْلُقُوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله قوى عزيز﴾ . (الحج / ٧٣ ، ٧٤) .

وقد أشار المصنف بقوله : وهى من الأسماء المستعارة من أسماء الله تعالى خلقه ليعرفوا نعمة الله تعالى عليهم ، فتسمى بالسميع البصير ، وسمى عبده سميعاً بصيراً ، فاتفقت الأسماء واختلفت المعانى إذ لم يشبه من جميع الجهات .

أقول : من أمثلة ذلك من كتاب الله قوله تعالى : ﴿... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . (الشورى / ١١) .

وقوله تعالى : ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ . (المجادلة / ١) .

هذا بالنسبة لله سبحانه وتعالى . وبالنسبة لعباده قوله تعالى : ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ . (الذهر / ٢) .

فالله جلت قدرته سَمى نفسه سميعاً بصيراً ، ثم منح عبده ذلك الاسم فجعله سميعاً بصيراً .

فاتفقت الأسماء فى اللفظ ، واختلفت المعانى كما قال المصنف .

إذ الخالق سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فاثبات ذلك له سبحانه على أساس عدم المشابهة له من جميع الجهات .

ويكفى لتوضيح ذلك : إن العبد كان معدوماً ثم وجد ، فعلم بعد أن كان جاهلاً ، ثم هو فأن بعد وجوده ، فكيف يكون هناك شبهة بين الخالق الدائم ، وبين عبده الفانى .

وفى هذا رد على الجهمية ومن أخذ بقولهم فى كل زمان ومكان فهم المنكرون

لأسماء الله سبحانه بحجة أنهم إذا اثبتوها فقد شبهوا الله بخلقه فوقعوا بجهلهم أو بكيدهم للإسلام فى التعطيل .

ومثلهم المعتزلة الذين انكروا الصفات فرارا من التشبيه فى زعمهم فوقعوا فى التعطيل .

ومثل المعتزلة من يثبت بعض الصفات ويؤول البعض الآخر إذ لا فرق بين ما اثبتته وبين ما نفاه ، أو أوله ، فالجميع فى كتاب الله قد وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه من خلقه .

هذا وسيأتى تفصيل ذلك من المؤلف فى بداية الفصل (٤٠) وهو : ذكر معرفة أسماء الله الحسنى التى تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر .

وفى فصل . . . (ذكر معرفة صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه وأنزل بها الكتابة ونطق بها الرسول - ﷺ) . ورقة ٧٥ .

٣٠- ذِكْرُ آيَةٍ نُّدَلِّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَإِحْكَامِ صَنْعِهِ فِي مَصْنَحِ خَلْقِهِ.

قال عز وجل : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١).

وقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى . . ﴾^(٢)
الآية .

بيان ذلك من الأثر :-

(١-١١٢) أخبرنا محمد بن محمد بن يونس قال : حدثنا أسيد بن
عاصم ثنا الحسين بن حفص ، ثنا هشام بن سعد ، عن سعيد المقبري عن
أبي هريرة قال :

قال رسول الله - ﷺ - : **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ^(٣)**
أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ ، مَوْمِنٍ تَقَى وَفَاجِرٍ شَقَى ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ ،
وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، لِيَدْعُنَ أَقْوَامَ فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ
جَهَنَّمَ ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ^(٤) الَّتِي تَدْفَعُ النَّتْنَ
بَأَنْفِهَا^(٥) .

(١) سورة الفرقان الآية : ٥٤ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ . وتماهما : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

(٣) (عُبْيَةُ الْجَاهِلِيَّةِ) يعنى الكبر ، وتضم عينها وتكسر . النهاية ١٦٩/٣ .

(٤) (الْجَعْلَانِ) حيوان معروف كالخنفساء . النهاية ٢٧٧/١ .

(٥) ت/ فى المناقب/ تحفة الأحوذى ٤٠٥٤/١٠ من طريق محمد بن بشار، أخبرنا =

هذا حديث مشهور عن هشام^(١) متصل صحيح .

(١١٣-٢) أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم قال :
حدثنا أبو معين الحسين بن الحسن ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا
نافع بن يزيد ، أخبرني جعفر بن ربيعة ، أنه سمع عراك بن مالك يقول :
سمعت أبا هريرة .

ح / وأخبرنا علي بن أحمد بن إسحاق ، حدثنا المقدم بن عيسى بن
تليد ، قال : حدثنا خلف بن خالد أبو المهنا^(٢) حدثنا بكر بن مضر^(٣) ،
حدثنا جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك أنه حدثه أنه سمع أبا هريرة
يقول :

= أبو عامر العقدي ، أخبرنا هشام بن سعد به . وقال : هذا حديث حسن .
د / في الأدب / باب (١٢٠) في التفاخر بالأحساب ، ٣٣٩/٥ ح ٥١١٦ من طريق موسى بن
مروان الرقي ، ثنا المعافي / ح وثنا أحمد بن سعيد الهمداني أخبرنا ابن وهب عن هشام بن سعد به .
وإسناده حسن .
وله شاهد من حديث ابن عمر . أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحجرات ، تحفة الأحوذى
١٥٥/٩ ح ٣٣٢٤ .

(١) هشام بن سعد المدني أبو عباد ، أو أبو سعد ، صدوق له أوهام ، ورمى بالتشيع ، من كبار
السابعة ، مات سنة ستين أو قبلها . ٠ / خت ، م ، حم تقريب ٣١٨/٢ .
(٢) أبو المهنا - في الأصل - : المني - بميمين ونون موحدة ، والتصحيح من الترجمة : وهو
خلف بن خالد القرشي مولا هم ، أبو المهنا المصري ، صدوق ، من العاشرة . / خ ، روى عن بكر بن
مضر . تقريب ٢٢٥/١ ، تهذيب الكمال ٣٧٤/١ .
(٣) بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري ، ثقة ، ثبت ، من الثامنة ، روى عن جعفر بن
ربيعة . تقريب ١٠٧/١ ، تهذيب الكمال ١٥٨/١ .

قال رسول الله - ﷺ - : (لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر)^(١).

(٣-١١٤) أخبرنا الحسن بن يوسف قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، حدثنا أبوداود ، حدثنا شعبة بن الحجاج ، عن أبي جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : (بنين وحفدة)^(٢) قال : هو الولد يعني وولد الولد^(٣).

(١) خ / فرائض / باب (٢٩) من ادعى إلى غير أبيه ، فتح الباري ١٢ / ٥٤ ح ٦٧٦٨ من طريق أصبغ بن الفرج ثنا ابن وهب أخبرني عمرو عن جعفر بن ربيعة به .
- م / إيمان / باب (٢٧) بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ، ١ / ٨٠ ح ١١٣ .
(٢) سورة النحل الآية : ٧٢ .
(٣) ابن جرير في التفسير ٩٨ / ١٤ .
- وذكره ابن كثير في التفسير ٥٠٥ / ٤ .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٢٤ ، قال : وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : الحفدة الولد وولد الولد . اهـ .

التعليق :

إن وحدانية الخالق سبحانه تقتضى رعاية مصالح عباده، فهوربهم وخالقهم ومعنى الربوبية الرعاية التامة، إذ هورب العالمين جميعاً، ذلك أن الرب هو المالك المتصرف، ويطلق فى اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح فى حق الله تعالى . ابن كثير ٣٩/١ .

وإن مما تقوم عليه مصالح العباد صلاتهم بالنسب، وبالمصاهرة ثم التعارف بين جميع الناس شعوباً وقبائل، إذ يقوم على ذلك التعارف، مصالح الناس من تبادل منافعهم وقيام بعضهم بمساعدة البعض الآخر وخدمته، كما قال القائل :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
وهذا كله دليل على وحدانية الخالق سبحانه إذ جعل هذا العالم المنتشر فى أقطار المعمورة من ذلك الماء المهيّن، كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ أى خلق الإنسان من نقطة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الحلقة ذكراً أو أنثى كما يشاء، ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فهو فى ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وأختان وقربات، وكل ذلك من ماء مهيّن، ولهذا قال : ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ . ابن كثير ١٢٧/٦ .

ويقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، ويتعاونوا على البر والتقوى، لا ليتفاخروا بالأحساب والأنساب لأن الأصل واحد وهو التراب الذى خلق منه آدم وإنما التفاضل هو بالتقوى .

يقول تعالى فى ذلك : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ . (الحجرات / ١٣) .

يقول ابن كثير فى تفسير الآية ٣٦٥/٧ : فجميع الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم سواء، وإنما يتفاضلون بالأموال الدينية، وهى طاعة الله، ومتابعة رسوله - ﷺ - . ولهذا قال تعالى بعد النهى عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً،

منبها على تساويهم في البشرية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ . أى : ليحصل التعارف بينهم ، كل يرجع إلى قبيلته .

وقال مجاهد في قوله : ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ كما يقال : فلان بن فلان من كذا وكذا أى من قبيلة كذا وكذا . وقوله : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ أى : إنما تفضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب ، وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله - ﷺ - ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة في ذلك .

هذا وقد أورد المصنف بعد الآيات الأحاديث الموضحة لذلك المعنى وهو النهى عن التفاخر بالأحساب والأنساب كما كان يصنع أهل الجاهلية ، وقد بين الرسول - ﷺ - بأن من يسلك مسلك الجاهلية في التفاخر بالأحساب إنه أهون عند الله من الجعلان التي تدفع التتن بأنفها ، وإنما الناس مؤمن تقى وفاجر شقى ، وأصلهم جميعاً من تراب ، فأفضلهم أتقاهم .

كما أوضح الرسول - عليه الصلاة والسلام - إنه لا يجوز للمرء أن يرغب عن أبيه أو عن الانتساب إلى قبيلته ، وأن من عمل ذلك وهو يعلم فهو كفر بنعمة الله ، وهذا نقص في إيمان من ارتكب ذلك ، لأن القبائل والأبء كما أوضحت الآية الكريمة أصلها واحد ، وهو آدم وحواء ، وإنما التفاضل بين العباد بتقوى الله عز وجل .

١/٤٠ ٣١- ذَكَرَ الْآيَاتِ الَّتِي تَذُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ الْخَالِقِ مِنْ تَقَلُّبِ أَحْوَالِ الْعَبِيدِ وَأَنَّ الْمَدَبَ لِذَلِكَ مِنْ حَالِ الْبَصَّةِ وَالْمَرْضِ وَالْمَوْتِ وَبِحَيَاةِ النَّوْمِ وَالْإِتِّبَاهِ وَالْفَقْرِ وَالْغِنَى وَالْعَجْزِ وَالْقُدْرَةِ .

قال الله تعالى منها على قدرته عن أحوال العبيد وعجزهم إلا بمعونة الله عز وجل فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (١).

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٢).

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٣).

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٤).

وقال مخبرا عن إيمان إبراهيم - عليه السلام - : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٥) الآية .

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

(٢) سورة الواقعة الآية : ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة الآية : ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سورة الواقعة الآية : ٧١ ، ٧٢ .

(٥) سورة الشعراء الآية : ٧٨ - ٨١ .

بيان ذلك من الأثر :

(١-١١٥) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، وعبد الله بن الزبير الحميدى، قالا : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن خراش عن حذيفة عن النبي - ﷺ - قال : إن الله تعالى خالق كل صانع وصنعه^(١).

(٢-١١٦) أخبرنا أحمد بن سليمان قال : حدثنا يزيد بن عبد الصمد قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر، حدثنا أبو ضمرة عن الحارث بن عبد الرحمن عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : إن الله عز وجل صانع ما شاء لا مكره له.

(٣-١١٧) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف قال : حدثنا بحر ابن نصر، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر عن النبي - ﷺ - قال : لكل داء دواء، فإذا أصيب^(٢) دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل.

(٤-١١٨) أخبرنا محمد بن عيسى الرازي وعبدوس بن الحسين قالا : حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

(١) خ / في خلق أفعال العباد / ص ١٧ مطبعة النهضة الحديثة سنة ١٣٨٩ هـ.

— وذكره ابن كثير في التفسير ٢٢/٧.

— كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٩/٥ قال : وأخرج البخاري في خلق أفعال العباد والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات عن حذيفة، ثم ذكره.

(٢) أصيب : بالياء، هكذا في الأصل - ولعل الصواب : فإذا أصاب - بالألف.

- ﷺ -: إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء^(١). هذا اسناد متصل مشهور رواه زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك .

(١١٩-٥) أخبرنا إسماعيل البغدادي ، حدثنا عباس بن الدوري ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا مسعر ، عن قتادة ، عن أنس : أن النبي - ﷺ - قال : لا تواصلوا . قالوا : فإنك تواصل . قال : إني لست كأحدكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني^(٢) .

(١) لم أجد من أخرجه عن أبي هريرة ، ولم أجد ترجمة شيخى ابن منده للحكم على الإسناد ، ولكن لمتنه ما يشهد لمعناه كحديث أنس .

— الذي أخرجه حم ١٥٦/٣ من طريق يونس ، ثنا حرب قال : سمعت عمران العمى قال : سمعت أنسا يقول : قال رسول الله - ﷺ - : ان الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا . قال في مجمع الزوائد ٨٤/٥ : رجاله رجال الصحيح خلا عمران العمى ، وقد وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره .

(٢) خ / الصوم / باب (٤٨) الوصال ... الخ . فتح الباري ٢٠٢/٤ ح ١٩٦١ من طريق مسدد قال : حدثني يحيى عن شعبة قال : حدثني قتادة به .

— وفي التمني / باب (٩) ما يجوز من اللو . / فتح الباري ٢٢٤/١٣ ح ٧٢٤١ .

— م / الصيام / باب النهى عن الوصال في الصوم . ٧٧٦/٢ ح ٦١ .

— حم ١٧٨/٣ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٧٦ .

— الدارمي / الصوم / باب النهى عن الوصال في الصوم . ٣٤٠/١ ح ١٧١١ .

وله شاهد عند البخارى في الاعتصام بالكتاب والسنة / باب (٥) / ما يكره من التعمق في

الدين ... الخ ، فتح الباري ٢٧٥/١٣ ح ٧٢٩٩ من حديث أبي هريرة .

— وفي مسلم من حديث عبد الله بن عمر ٧٧٤/٢ ح ٥٦،٥٥ ، ولفظه : إني أطعم وأسقى .

— وفي مسلم من حديث أبي هريرة ٧٧٤/٢ ح ٥٧ .

— وفي مسلم من حديث عائشة ٧٧٦/٢ ح ٦١ .

— حم ٢٨١/٢ من حديث أبي هريرة .

— حم ٨/٣ ، ٥٧ ، ٢٣٥ من حديث أبي سعيد .

— والدارمي / في الصوم / باب (١٤) النهى عن الوصال في الصوم ٣٤٠/١ ح ١٧١٠ من

حديث أبي هريرة . ٣٤١/١ ح ١٧١٢ من حديث أبي سعيد .

التعليق :

هذه الآيات التى أوردها المصنف تحت هذا العنوان ، تبين بوضوح أنه ليس للإنسان حول ولا قوة فى جميع أموره إلا بالله تبارك وتعالى الذى له الملك والتصرف فى ملكه كيف يشاء فهو الخالق لكل شىء ، وله الأمر الذى لا يخالف ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فلا خالق غيره ولا رب سواه ، وما يباشره الإنسان من عمل فى جميع شؤون حياته وتصرفاته إنما هو من عمل الأسباب التى أمر الإنسان أن يقوم بها وقد أعطاه الله القدرة ومنحه الإرادة والاختيار وأعطاه العقل الذى هو مناط التكليف والذى يستطيع أن يميز به بين الضر والنفع ، ليقوم بهذه الأعمال ويباشرها ، ولكن ليس له بعد القيام بالسبب إنجاز تلك الأعمال واتمامها وإنما الله وحده هو المتصرف فى ذلك بقدرته وإرادته ومشيئته واختياره ومن أمثلة ذلك وهى كثيرة :

إن الله جعل الأرض ذلولاً لعباده وأمرهم بالمشى فى مناكبها لطلب الرزق منه ، وما يعملها الإنسان فى الأرض لطلب الرزق حرثها وزراعتها .

وإذا تأمل الإنسان بفكره عن دوره الذى يقوم به فى زراعة هذه الأرض ، يعلم أنه ليس له من عمل إلا حرث الأرض وإلقاء البذر فيها ، وهو الأمر الذى جعله الله سبباً لحصول تلك الثمرة من تلك الأرض المزروعة ، والله وحده هو الخالق ، المدبر لكل ذلك ، فهو وحده الذى أنزل الماء من السماء والماء هو الذى تقوم عليه حياة الإنسان والحيوان والنبات كما قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حي﴾ إذ ليس فى استطاعة هذا المخلوق المجىء بالماء الذى أنبت الله به هذا البذر . ومن الذى أنبته ، إنه الله وحده هو الذى هداه بأن جعله يشق الأرض ، فجعل الجذريته إلى الأرض ، والفرع يخرج إلى السماء ﴿أفرأيتم ما تحرثون أن أنتم تزرعون أم نحن الزارعون﴾ .

وهذه النار التى جعلها الله حياة للمقوين ، ليس فى مقدور الإنسان إلا التركيب لهذه المواد التى خلقها الله سبحانه وأوجدها من العدم ، وذلك التركيب هو بما منح الله هذا الإنسان من العقل والإدراك وجميع القوى التى يتمكن الإنسان بها من عمل متواصل ليصل من خلال تجاربه إلى ذلك التركيب الذى به يحصل المطلوب كما توصل الإنسان إلى اختراع الكهرباء وغيرها مم علم الله هذا الإنسان ، أما خلقها

وخلق مادتها ومنشؤها فهو الله الذى له الخلق والأمر كما قال تعالى : ﴿أفأنتم النار التى تورون أن أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾ .

وهكذا كان إيمان إبراهيم - عليه السلام - كما حكاه الله عنه موضعاً عن نفسه بأنه لا يملك من الأمر شيء - لا الهداية، ولا الطعام والشراب، ولا المرض والشفاء، ولا الحياة والموت، وإنما ذلك كله بيد الله الواحد الأحد وهذا هو تمام التوحيد والإيمان الكامل بالله تعالى .

قال تعالى حكاية عنه : ﴿الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطمعنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يمتننى ثم يحين﴾ .

إذ كل ذلك بيد من له الخلق والأمر، وهو مثل قوله تعالى : آمرا نبيه محمداً - ﷺ - سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهو أمر من الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله أن يقول لهم : ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام / ١٦٢، ١٦٣) .

والأحاديث والآثار التى أوردها المصنف توضح ما تضمنته هذه الآيات ففى حديث حذيفة - (ان الله خالق كل صانع وصنعتة) ومعناه أن الله هو الذى منح هذا المخلوق هذه القوى وأعطاه القدرة والإرادة والاختيار فقام بذلك العمل الذى سيحاسب عليه .

وليس معنى مباشرة الإنسان لهذه الأعمال بنفسه أنه خالقها كما تقول المعتزلة، إن العبد يخلق أفعاله، فهذه تعد منهم على حق الله سبحانه وتعالى ، لأنه هو الخالق وحده لا شريك له فى ملكه كما قال تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ .

وقال : ﴿هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾ .

أما العبد فهو فاعل أى هو الذى قام بهذه الأعمال وأداها بطوعه واختياره بما منحه الله سبحانه من القوى وبما أعطاه من عقل يميزه بين الضار والنافع وهو محاسب على عمله ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ .

وكذلك الأحاديث الأخرى التى ورد فيها ذكر خلق الداء والدواء ، وهو معنى قول ابراهيم - عليه السلام - : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ فالمرض هو الله ، والشافى هو الله ، وهذه الأدوية هى من أمر الله وهى التى جعل فيها السبب لشفاء هذا المريض ، وإلا فبدون إرادة الله لا تساوى شيئاً ، فهو الذى سلب النار طبيعتها وخاصيتها ، فلم تبق محرقة حين قال لها : ﴿يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ . وكذلك حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - فى الوصال فى الصوم .

فقد قال رسول الله - ﷺ - : (إنى لست كأحدكم إنى أبيت يطعمنى ربه ويسقنى) .

وهذا يوضح معنى قول ابراهيم - عليه السلام - : (والذى هو يطعمنى ويسقنى) .

٣٢- ذِكْرَ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّهُ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ عَلَى مَا يَشَاءُ.

قال الله عز وجل مخبرا على قدرته وعلمه بما في قلوب العباد: ﴿وَاعْلَمُوا أَن اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١).
وقال: ﴿وَنَقْلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾^(٢). الآية.
وقال منبها على دعائه: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٣).
وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٤).
بيان ذلك من الأثر:

(١-١٢٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني بسر بن عبد الله^(٥) عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت النواس ابن سمعان الكلبي يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ما من قلب إلا وهويين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه وكان رسول الله - ﷺ - يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على

(١) سورة الأنفال: الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ٨.

(٤) سورة الصف: الآية: ٥.

(٥) بسر بن عبد الله الحضرمي الشامي، ثقة، حافظ، من الرابعة. تقريب ٩٧/١.

دينك، والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويضع آخرين إلى يوم القيامة^(١).
هذا حديث ثابت روى من وجوه أخرجناها بعد هذا.

(٢-١٢١) أخبرنا علي بن الحسن بن علي قال: حدثنا جعفر ابن محمد بن شاكر قال: حدثنا الحسن بن ربيع، حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي سفيان وغيره عن أنس قال: كان رسول الله - ﷺ - مما يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك^(٢).

(٣-١٢٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم^(٣)، قال: حدثنا أبو

(١) إسناده صحيح. وأخرجه حم ١٨٢/٤ من طريق الوليد بن مسلم قال: سمعت ابن جابر يقول: حدثني بسر بن عبد الله الحضرمي به.
— جه / في المقدمة / باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية. ٧٢/١ ح ١٩٩ من طريق هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا ابن جابر قال: سمعت بسر بن عبد الله به.
(٢) حم ١١٢/٣ من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان به، وفيه زيادة.
— حم ٢٥٧/٣ من طريق عفان، ثنا عبد الواحد، ثنا سليمان عن أبي سفيان به، وفيه زيادة.

— جه / في الدعاء / باب (٢) دعاء رسول الله - ﷺ - ١٢٦٠/٢ ح ٣٨٣٤ من طريق محمد ابن عبد الله بن نمير ثنا أبي، ثنا الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس. قال المعلق: في الزوائد: مدار الحديث على يزيد الرقاشي وهو ضعيف.
قلت: للحديث شواهد كثيرة منها:
حديث عائشة - رضی الله عنها - أخرجه حم ٢٥١/٦.
وحديث أم سلمة - رضی الله عنها - أخرجه حم ٢٩٤/٦، ٣٠٢، ٣١٥.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو عمرو الأصبهاني، ويعرف بابن تمك، سمع من محمد بن مسلم بن واره... حدث عنه ابن مندة، كان عالما أدبيا فاضلا حسن المعرفة بالحديث، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء ٧٤/١٠، وتقدم في ح(٢).

حاتم الرازى^(١)، حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي^(٢)، حدثنا عبد الله بن سالم الحمصى^(٣)، حدثنا إبراهيم بن سليمان الأفطسى^(٤)، حدثنا الوليد ابن عبد الرحمن الجرشي^(٥)، حدثنا سلمة بن نفيل السكونى^(٦) قال: قال رسول الله - ﷺ -: لا يزال من أمتى أمة قائمة ظاهرة على الناس حتى يزيع الله عز وجل قلوب أقوام فيقاتلوهم لينالوا منهم^(٧). اهـ.

(٤-١٢٣) أخبرنا محمد بن عثمان بن حفص الأصبهاني، حدثنا سعيد بن كوفي، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثنا عبد الله بن الوليد عن سعيد بن المسيب، عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي - ﷺ - قال: اللهم زدنى علماً ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب^(٨). هذا إسناد متصل مشهور، وعبد الله بن الوليد مصرى.

-
- (١) محمد بن إدريس أبو حاتم الرازى. أحد الحفاظ، ثقة تقدم فى ح(٢).
(٢) عبد الله بن يوسف التنيسي، - بمشاة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة - أبو محمد الكلامى أصله من دمشق، ثقة، متقن، من أثبت الناس فى الموطأ، من كبار العاشرة، مات سنة ثمان عشرة. /خ، د، ت، س. تقريب ٤٦٣/١.
(٣) عبد الله بن سالم الأشعرى، أبو يوسف الحمصى، ثقة، روى بالنصب، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين. /خ، د، س. تقريب ٤١٧/١.
(٤) إبراهيم بن سليمان الأفطسى الدمشقى، ثقة، ثبت، إلا أنه يرسل، من الثامنة، /ت، ق. تقريب ٣٦/١.
(٥) الوليد بن عبد الرحمن الجرشي - بضم الجيم وبالشين المعجمة - الحمصى، الزجاج، ثقة، من الرابعة. تقريب ٣٣٤/٢.
(٦) سلمة بن نفيل - بنون وفاء - مصغرا - السكونى، له صحبة، سكن حص. /س.
تقريب ٣١٩/١.
(٧) إسناده صحيح.
(٨) د/ فى السنة /باب (١٠٨) ما يقول الرجل إذا تعار من الليل ٣٠٦/٥ ح ٥٠٦١ =

(١٢٤-٥) أخبرنا علي بن العباس الغزى قال : حدثنا محمد بن حماد حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر بن راشد عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي - ﷺ - قرأ : ﴿ فَأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ ^(١) . إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عز وجل فأحذروهم ^(٢) . ولهذا الحديث طرق ، روى أبو غالب عن أبي أمامة عن النبي - ﷺ - ﴿ فَأما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ قال : زيغ بهم ^(٣) . رواه جماعة عنه .

= من طريق حامد بن يحيى ، ثنا أبو عبد الرحمن ، ثنا سعيد بن أبي أيوب قال : حدثنى عبد الله بن الوليد به ، وفيه زيادة فى أوله ، كان إذا استيقظ من الليل قال : لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علماً . . . الخ .
قال المعلق : ونسبه المنذرى للنسائى .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٩/٢ قال : وأخرج أبوداود والنسائى والبيهقى فى الأسماء والصفات . . ثم ذكره .

(١) سورة آل عمران الآية : ٧ .

(٢) خ / التفسير / باب (١) « منه آيات محكمات » فتح البارى ٢٠٩/٨ ح ٤٥٤٧ من طريق عبد الله بن مسلمة ، ثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة به .
— م / كتاب العلم / باب (١) النهى عن متشابه القرآن والتحذير من متبعيه . . الخ ٢٠٥٣/٤ ح ١ .

— حم ٤٨/٦ من طريق اسماعيل قال : أنبأ أيوب به .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٥/٢ .

— جه / مقدمة / باب (٧) إجتناى البدع والجدل ١٨/١ ح ٤٧ .

— ت / التفسير « سورة آل عمران » / تحفة الأحوذى ٣٤٠/٨ ح ٤٠٧٧ .

— د / السنة / باب النهى عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن ٦/٥ ح ٤٥٩٨ .

— وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ .

(٣) وصله حم ٢٦٢/٥ .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ قال : وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن أبى أمامة . ثم ذكره .

(٦-١٢٥) أخبرنا على بن العباس ، حدثنا محمد بن حماد ، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ قال الحرورية^(١) والسبائية^(٢) لقد كان أصحاب بدر والحديبية وأزواج النبي - ﷺ - وأهل بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار فيهم خبر وعبرة لمن ١/٤١ اعتبر ، ما خرج واحد منهم ذكر أو أنثى ، بل كانوا يحدثون بنعت رسول الله إياهم ولقد كانوا يبغضونهم ويعادونهم ، ويشدوا بأيديهم إذا لقوهم ولو كان هدى لاجتمع ، ولكن كانت ضلالة فتفرق وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجد فيه اختلاف كثير .

(١) الحرورية : إسم يطلق على الخوارج ، فهم يسمون النواصب والشراة ، والحرورية نسبة إلى حروراء ، قيل هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها ، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إليها . انظر التعليق على مقالات الخوارج ، مقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٦٧ .

(٢) السبئية : هم أصحاب عبد الله بن سبأ - اليهودي - الذي دخل في الإسلام ليكيد للإسلام وأهله - وقد أثار فتناً عظيمة بين المسلمين كان بسببها قتل عثمان رضي الله عنه - وهو الذي قال بعقيدة الرجعة بعد مقتل علي رضي الله عنه وأنه سيعود . انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٨٦ .

التعليق :

دلالة هذه الآيات على وحدانية الله تعالى ظاهرة، فإن من بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء هو الإله الحق الذي تجب عبادته، والالتجاء إليه، وطلب الهداية والتوفيق منه. فهو الذي يحول بين المرء وقلبه كما قال تعالى : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ .

قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان. ابن جرير ٢١٥/٩ .

لأن من عدل عن طريق الحق والصواب مع علمه يجازى بمثل عمله كما قال تعالى : ﴿فلما زاغوا ازأغ الله قلوبهم﴾ أى : أزاعها عن الهدى وأسكنها الشك والخيرة والخذلان، كما قال تعالى : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

ولذلك نبه الله على دعائه بقوله : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ وكان رسول الهدى - ﷺ - يكثر من هذا الدعاء : (يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) .

وقال : ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل إن شاء أقامه وإن شاء ازاعه .

وهذا من كمال ألوهيته سبحانه وتعالى ، فينبغي للمسلم أن يلتجأ إلى الله دائماً وأن يدعوه بهذا الدعاء المبارك : يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم ثبت قلوبنا على دينك ياسميع الدعاء .

وقد جاء في الحديث رقم (١٢٤) من هذا الفصل، بيان أن الذين يجادلون في آيات الله ويتبعون متشابه القرآن، هم الذين عناهم الله بقوله : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ . وقد حذر الرسول - ﷺ - منهم .

كما جاء في الأثر (١٢٥) تفسير من في قلوبهم زيغ بالحرورية، والسبئية، وقد تقدم التعريف، بالحرورية والسبئية .

فالحزورية : هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - واعترضوا على التحكيم ، ولما خرجوا عليه قاتلهم وتحقق فيهم ما قاله رسول الله - ﷺ - من أن المسلمين يحقرون صلاتهم مع صلاتهم ولكنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم ومن مقالاتهم تكفير مرتكب الكبيرة وغير ذلك من الآراء المناقضة لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وقد استوفيت مقالاتهم في كتب الفرق .

أما السبئية : فهم اتباع عبد الله بن سبأ اليهودى الماكر الذى دخل فى الإسلام نفاقاً ، وقد أفسد عقائد كثير من الرعاع ، فهو أول من قال - بالوصية لعلى بن أبى طالب - ثم قال باللوهيته ، ثم قال برجعته بعد قتله - رضى الله عنه - وأكثر العقائد لدى الروافض من الشيعة هو المؤسس لها . وهو الذى حرض على قتل عثمان - رضى الله عنه - الخليفة الراشد . انظر مفترياته فى المقالات لأبى الحسن الأشعرى ٨٦/١ وغيره من كتب الفرق .

٣٣- ذَكَرَ آيَةُ نَذْلٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ يَحُولُ
بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ إِلَى مَا يُرِيدُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ.

قال الله تعالى : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ (١).

وقال : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ (٢). الآية .

قال ابن عباس : يحول بين المرء وقلبه يحول بين المؤمن وبين أن يكفر
وبين الكافر وبين أن يؤمن (٣).

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنه قال : يحول بين الكافر
وبين أن يعي بابا من الخير أو يعلمه (٤).

قال مجاهد : يتركه حتى لا يعقل (٥).

(١-١٢٦) أخبرنا إسماعيل بن يعقوب البغدادي بمصر، حدثنا
محمد بن سليمان بن الحارث قال : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك قال : حدثنا
الفضل بن سليمان النميري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١١٠ .

(٣) ابن جرير في التفسير ٢١٥/٩ . والدر المنثور ١٧٦/٣ . قال السيوطي : وأخرج ابن أبي
شيبه وحشيش بن أصريم في الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم
وصححه عن ابن عباس - رضى الله عنها - ثم ذكره .

(٤) الدر المنثور ١٧٦/٣ .

(٥) ابن جرير في التفسير ٢١٦/٩ .

عمر عن أبيه قال : كانت يمين رسول الله - ﷺ - : لا ومقلب القلوب (١) .
رواه جماعة عن فضيل .

(٢-١٢٧) أخبرنا خيثمة قال : حدثنا السري بن يحيى قال :
حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا سفيان بن سعيد عن موسى بن عقبة عن سالم
عن ابن عمر قال : كان يمين النبي - ﷺ - : لا ومقلب القلوب (١) . رواه
وهيب والدراوردي وابن المبارك ويحيى بن عبد الله بن سالم (*).

(٣-١٢٨) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال : حدثنا علي
ابن الحسن حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة عن
سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : كانت دعوة رسول الله - ﷺ - : لا
ومقلب القلوب (١) .

(٤-١٢٩) أخبرنا علي بن محمد بن نصر ، حدثنا محمد بن
عيسى بن السكن الواسطي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد
العزيز بن محمد الدراوردي عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن
أبيه قال : كان يمين رسول الله - ﷺ - : لا ومقلب القلوب (١) .

(١) خ / القدر / باب (١٤) يحول بين المرء وقلبه ، فتح الباري ١١/٥١٣ ح ٦٦١٧ من
طريق محمد بن مقاتل أبو الحسن ، أخبرنا عبد الله أخبرنا موسى بن عقبة به .
— والإيمان والنذور / باب (٣) كيف كانت يمين النبي - ﷺ - ، فتح الباري ١١/٥٢٣ ح
٦٦٢٨ .

— وفي التوحيد / باب (١١) مقلب القلوب وقول الله تعالى : ﴿ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم﴾ . فتح الباري ١٣/٣٧٧ ح ٧٣٩١ .
— حم ٢/٦٧ ، ٦٨ ، ١٢٧ .
— ت / أبواب النذور والإيمان / باب (١٢) كيف كان يمين النبي - ﷺ - . تحفة الأحوذى
١٤٣/٥ ح ١٥٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح .
(*) هي الروايات التالية .

(٥-١٣٠) أخبرنا أحمد بن إسحاق وعلى قالاً: حدثنا يوسف بن يعقوب بن حماد بن زيد قال: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب عن يحيى بن عبد الله بن سالم عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال: كان يمين رسول الله - ﷺ - يحلف بها كثيراً: لا ومقلب القلوب^(١).

(٦-١٣١) أخبرنا حمزة بن محمد الكنانى بمصر قال: حدثنا أحمد ابن شعيب النسائى، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: كانت يمين رسول الله - ﷺ - : لا ومقلب القلوب^(٢). وقال سليمان بن بلال عن موسى بن عقبة عن نافع^(٣) عن سالم.

(٧-١٣٢) أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا الحسن ابن على بن زياد، حدثنا إسماعيل بن أبى أويس، حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن موسى بن عقبة عن نافع^(٤) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: كان يمين النبى - ﷺ - كثيراً ما سمعت يقول: لا ومقلب القلوب^(٥). وروى هذا الحديث من حديث الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه وعنه عباد بن اسحاق، وروى عن يونس عن الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه.

(١) فيه متابعة يحيى بن عبد الله لموسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله.

(٢) فيه متابعة عبد الله بن المبارك لموسى بن عقبة ويحيى بن عبد الله عن سالم.

(٣) هى الرواية التالية.

(٤) فى تهذيب الكمال ٣/ ١٣٩٠ روى موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله، وعن نافع مولى ابن عمر، ونافع بن جبير بن مطعم.

(٥) تقدم تخريجه فى ح رقم ١٢٦.

التعليق :

هذه الآيات تشعر بأن أمر العباد كله إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو الهادى لمن يشاء برحمته ، والمفضل لمن يشاء بعدله ، وكذلك الأحاديث المفسرة لها .

يقول ابن حجر فى شرح الحديث فى فتح البارى ٥٢٧/١١ قوله : «ومقلب القلوب» هو المقسم به ، والمراد بتقليب القلوب تقليب اعراضها وأحوالها لا تقليب ذوات القلب .

قال : وفى الحديث دلالة على أن أعمال القلب من الإرادات والدواعى وسائر الأعراض بخلق الله تعالى ، وفيه جواز تسمية الله تعالى ، بما ثبت من صفاته على الوجه الذى يليق به . اهـ .

قلت : وهذا هو مذهب السلف ، فى اثبات كل ما جاء فى كتاب الله وصحيح سنة رسوله - ﷺ - من الأسماء والصفات على الوجه الذى يليق به سبحانه كما قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

وقال ابن حجر فى كتاب التوحيد من فتح البارى ٣٧٧/١٣ : وفى دعائه - ﷺ - : (يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك ، وخص نفسه بالذكر إعلاما بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك . اهـ .

وقد تقدم فى الفصل السابق لهذا إيضاح ما ورد فى هذا الفصل لتقاربها فى المعنى واتحاد الأدلة . والله أعلم . اهـ .

٣٤- ذِكْرُ آيَةٍ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الْخَالِقِ وَأَنَّ الْأَرْوَاحَ بِيَدِهِ فِي حَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَالنُّوْمِ وَالْإِنْتِبَاهِ .

قال الله تعالى مخبرا عن قدرته على ذلك : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ (١) .
بيان ذلك من الأثر :

(١-١٣٣) أخبرنا خيثمة بن سليمان قال : حدثنا السري بن يحيى .

ح / وأخبرنا أبو عمرو ومولى بنى هاشم قال : حدثنا أبو أمية قال :
حدثنا قبيصة بن عقبة أبو عامر السواري ، أخبرنا سفيان .

ح / وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، أخبرنا سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن ربيع بن خراش عن حذيفة بن اليمان .

ح / وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثنا شعبة .

ح / وأخبرنا علي بن محمد بن نصر ، حدثنا معاذ بن المثني

ح / وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا مسدد بن مسرهد ، حدثنا أبو عوانة . كلهم عن عبد

(١) سورة الزمر الآية : ٤٢ .

الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال: كان النبي ﷺ - إذا أراد أن ينام قال: بسم الله أموت وأحيا. وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور^(١).

(٢-١٣٤) أخبرنا الحسن . . . «و» حمزة بن محمد الكناني قال: حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هانئ النيسابوري، حدثنا محمد بن جعفر غندر عن شعبة عن

(١) خ / الدعوات / باب (١٧) ما يقول إذا نام. فتح الباري ١١/ ١١٣ ح ٦٣١٢ من طريق قبيصة، ثنا سفيان به. وباب (٨) وضع اليد تحت الخد اليماني. فتح الباري ١١/ ١١٥ ح ٦٣١٤ من طريق موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة به. وباب (١٦) ما يقول إذا أصبح. فتح الباري ١١/ ١٣٠ ح ٦٣٢٤ من طريق أبي نعيم، ثنا سفيان عن عبد الملك به.

— وفي التوحيد / باب (١٣) السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها. فتح الباري ١٣/ ٣٧٨ ح ٧٣٩٤ من طريق مسلم ثنا شعبة به.

— جه / الدعاء / باب (١٦) ما يدعوه إذا انتبه من الليل ١٢٧٧/ ٢ ح ٣٨٨٠ من طريق علي بن محمد، ثنا وكيع، ثنا سفيان به.

— ت / الدعوات / باب (٢٨) تحفة الأحوذى ٩/ ٣٦٢ ح ٣٤٧٧ من طريق عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمداني، أخبرنا أبي عن عبد الملك بن عمير به، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد: متروك لكن تصحيحه له لمجيئه من طرق أخرى. وقد أخرج الحديث البخاري وغيره كما ترى.

— د / في الأدب / باب (١٠٧) ما يقول عند النوم. ٥/ ٣٠٠ ح ٥٠٤٩ من طريق أبي بكر ابن أبي شيبة، ثنا وكيع عن سفيان به.

— الدارمي / باب (٥٣) ما يقول إذا انتبه من نومه. ٢/ ٢٠٢ ح ٢٦٨٩ من طريق محمد بن يوسف عن سفيان به.

— حم ٥/ ٣٨٥ من طريق وكيع، ثنا سفيان به.

— حم ٥/ ٣٩٧ من طريق عبد الرحمن عن سفيان به.

— حم ٥/ ٤٠٧ من طريق عبد الرزاق نا سفيان به.

— وله شاهد من حديث أبي ذر. فتح الباري ١١/ ١٣٠ ح ٦٣٢٥.

— وله شاهد من حديث البراء. م / الذكر والدعاء / باب ما يقول عند النوم. ٤/ ٢٠٨٣.

ح ٥٩.

خالد الحذاء يحدث عن عبد الله^(١) بن عمر أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه قال: اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها لك محياها ومماتها فإن أحيتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها. فقال له رجل: سمعت هذا من عمر قال: من خير من عمر من رسول الله - ﷺ -^(٢).

(٣-١٣٥) أخبرنا علي بن عيسى بن عبدويه وسعيد بن علي بن محمد بن نصر قالوا: حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه كان يقول حين يصبح: ١/٤٢ اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير^(٣).

(٤-١٣٦) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن يوسف، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر، وأخبرنا الحسن بن منصور، حدثنا محمد بن العباس بن معاوية .

ح / وأخبرنا أحمد بن سليمان بن أيوب بن حذلم قال: حدثنا أبو زرعة

(١) في مسلم: عن خالد الحذاء قال: سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن عبد الله بن عمر . . .

(٢) م / الذكر والدعاء / باب (١٧) ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٣/٤ ح ٦٠ من طريق عقبة بن مكرم العمي وأبو بكر بن نافع قالوا: ثنا غندر به .

(٣) ج ه / الدعاء / باب (١٤) ما يدعو الرجل إذا أصبح وإذا أمسى . ١٢٧٢/٢ ح ٣٨٦٨ من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل به .

— ت / الدعوات / باب (١٣) ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى . تحفة الأحوذى ٣٣٥/٩ ح ٣٤٥١ وقال: هذا حديث حسن .

ابن عمرو قالاً : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن علي بن الحسين أن الحسين بن علي حدثه أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حدثه أن النبي - ﷺ - طرقه وفاطمة (ليلة) فقال : ألا تصلون^(١)؟ فقلت : يا رسول الله ! إنما أنفسنا بيد الله عز وجل إذا شاء أن يبعثنا ، فانصرف رسول الله - ﷺ - حين قلت له ذلك وهو يضرب فخذة يقول : ﴿وكان الإنسان أكثر شئء جدلاً﴾^(٢) . رواه صالح بن كيسان^(٣) وعقيل بن خالد^(٤) عن الزهري .

(٥-١٣٧) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد قال : حدثنا الحسن بن أحمد بن حيان ، حدثنا حرملة بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس ابن يزيد الأيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال لبلال : إكلأ لنا الليلة ، فلما كان في وجه الصبح ناموا حتى ضربتهم الشمس فقال النبي - ﷺ - : يا بلال . فقال بلال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك .

(١) قوله : (ألا تصلون) هكذا في الأصل ، وجمع الاثنين صحيح ، وفي رواية للبخارى في التهجد : (الا تصليان) ، وباقي الروايات بالجمع .
(٢) خ / في التهجد / باب (٥) تحريض النبي - ﷺ - على صلاة الليل والنوافل من غير ايجاب . . . الخ . فتح البارى ١٠/٣ ح ١١٢٧ من طريق أبي اليمان به .
— وفي الاعتصام بالسنة / باب (١٨) ﴿وكان الإنسان أكثر شئء جدلاً﴾ فتح البارى ١٣/١٣ ح ٧٣٤٨ من طريق أبي اليمان به .
— وفي التوحيد / باب (٣١) فى المشيئة والإرادة . . . الخ . فتح البارى ١٣/٤٤٦ ح ٧٤٦٥ من طريق أبي اليمان به .
(٣) وصله خ / فى التفسير / باب (١) ﴿وكان الإنسان أكثر شئء جدلاً﴾ فتح البارى ٨/٤٠٧ ح ٤٧٢٤ مختصراً .
(٤) وصله م / مسافرين / باب (٢٨) ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، ١/٥٣٧ ح ٢٠٦ .

(٦-١٣٨) أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن إبراهيم بن مسلم، حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل، حدثنا أبان بن يزيد العطار، حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: عرس بنا رسول الله - ﷺ - مرجعه من خير، فقال من يحفظ علينا صلاتنا؟ فقال بلال أنا، قال فما استيقظوا إلا بحر الشمس، فقال رسول الله - ﷺ - : ارتفعوا عن هذا المكان، ثم قال يا بلال نم، فقال يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسكم، قال فأمر بلالا فأذن وأقام، ثم صلى، ثم قال من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها قال الله تعالى (١): ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ (٢).

(٧-١٣٩) أخبرنا عبدوس بن الحسين قال: حدثنا أبو حاتم الرازى، حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام الدستوائى عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أن النبى - ﷺ - قال: إذا أوى أحدكم إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، يقول الشيطان: افتح بشر، ويقول الملك: افتح بخير، فإن ذكر الله عز وجل، ذهب الشيطان وبات الملك يكلؤه فإذا استيقظ من منامه ابتدره ملك وشيطان فيقول الشيطان افتح بشر، ويقول

(١) سورة طه الآية: ١٤.

(٢) م / مساجد / باب (٥٥) قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها. ٤٧١/١ ح ٣٠٩ من طريق حرملة بن يحيى التجيبى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب به.
— د / الصلاة / باب (١١) في من نام عن الصلاة أو نسيها. ٣٠٢/١ ح ٤٣٥ من طريق أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب به.
— ج ه / الصلاة / باب (١٠) من نام عن الصلاة أو نسيها. ٢٢٧/١٠ ح ٦٩٧ من طريق حرملة بن يحيى، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا يونس عن ابن شهاب به.
— ت / سورة طه / تحفة الأحوذى ٦١١/٩ ح ٥١٧٤.

الملك : افتح بخير ، فإن قال : الحمد لله الذى رد إلى نفسى من بعد موتها
ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا
بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ، الحمد لله الذى يحيى الموتى وهو على
كل شىء قدير . فإن خر من منامه فمات أو من فراشه شك هشام مات
شهيدا ، فإن قام فصلى فى الفضائل .

التعليق :

هذه الآية، والأحاديث التي ذكرها المصنف من الأدلة القاطعة على وحدانية الخالق سبحانه وأنه الإله الواحد القهار، فإن من نفوس العباد بيده في جميع أحوالهم في حال الحياة، والموت، والنوم والانتباه فهو الإله المتصرف فيهم فلا يسوغ لهم أن يتجهوا إلى غيره في أى حال من أحوالهم، وقد أوضح ابن جرير هذا المعنى في تفسير الآية ٨/٢٤ فقال :

يقول تعالى ذكره: ومن الأدلة على أن الألوهية لله الواحد القهار خالصة دون ما سواه، أنه يميت ويحيي ويفعل ما يشاء ولا يقدر على ذلك شيء سواه فجعل ذلك خبراً نبههم به على عظيم قدرته فقال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها ويتوفى أيضاً التي لم تمت في منامها كما التي ماتت عند مماتها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾.

ويقول ابن كثير في تفسير الآية ٩٢/٧ :

قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضئ أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾.

فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى. وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى، ولهذا قال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾. قال: فيه دلالة على أنها تجتمع في الملائكة الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن مندة وغيره.

ثم أورد حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم في الدعاء عند النوم وفيه: باسمك اللهم وضعت جنبي... الحديث.

هذا وإن الأحاديث التي أوردها المصنف قد شملت ما جاء في ترجمة المؤلف
من كون أرواح العباد بيد الله تعالى في حال الموت والحياة والنوم والانتباه .
وتدل على وحدانية الخالق سبحانه المتصرف في أحوال عباده بما يشاء لا إله
غيره ولا رب سواه .

٣٥- ذِكْرَ آيَةٍ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَأَنَّهُ الرَّزَاقُ الْمَغْنَى الْمَفْقَرُ .

قال الله تعالى ذاكرا للنعمه على عباده : ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ (١) . الآية .
وقال : ﴿أو لم يروا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (٢) .
بيان ذلك من الأثر :

(١-١٤٠) أخبرنا خيثمة ومحمد بن على قالوا : حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل بن يونس . . .
ح وأخبرنا محمد بن سعد قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن الحسن النسائي قال : حدثنا نصر بن على حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : أقرأنى رسول الله - ﷺ - : ﴿إنى أنا الرزاق ذو القوة المتين﴾ (٣) .

-
- (١) سورة الروم الآية : ٤٠ .
(٢) سورة الروم الآية : ٢٧ .
(٣) حم ١/ ٣٩٤ من طريق يحيى بن آدم ، ثنا إسرائيل به .
— ت / أبواب القرآن / تحفة الأحوذى ٢٦١/ ٨ ح ٤٠١٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .
— والدر المنثور ١١٦/ ٦ قال : وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائي ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، وابن حبان والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن مسعود . ثم ذكره .
— د / فى كتاب الحروف والقراءة ٢٩٠/ ٤ ح ٣٩٩٣ .

(٢-١٤١) أخبرنا الحسين بن يوسف الطرايفي بمصر، حدثنا إبراهيم بن مرزوق حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة بن شريح، أخبرني أبو هانئ الخولاني أنه سمع عمرو بن حريث يقول: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ (١) لأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا الدنيا (٢).

(٣-١٤٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، حدثنا يحيى بن سعيد. وأخبرنا علي بن العباس، حدثنا محمد بن حماد قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله - ﷺ - كان إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودّع ولا مكفّي ولا مستغنى عنه (٣) ربنا. رواه الثوري وبشر ابن منصور وغير واحد عن ثور بن يزيد بإسناده نحوه، ورواه معاوية بن صالح والسري بن ينعم عن عامر بن حشيب عن خالد بن معدان بإسناده

(١) سورة الشورى الآية: ٢٧.

(٢) ابن جرير في التفسير ٣٠/٢٥.

والدر المنثور ٨/٦ قال: أخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن أبي هانئ الخولاني قال: سمعت عمرو بن حريث. ثم ذكره.

(٣) خ / الأطعمة / باب (٥٤) ما يقول إذا فرغ من طعامه. . فتح الباري ٩/٥٨٠ ح ٥٤٥٨ من طريق أبي نعيم ثنا سفيان عن ثور به. وح ٥٤٥٩ من طريق أبي عاصم عن ثور بن يزيد به.

— ت / في الدعوات / باب (٥٧) ما يقول إذا فرغ من الطعام. . تحفة الأحوذى ٩/٤٢٣ من طريق محمد بن بشار، أخبرنا يحيى بن سعيد به.

— ج ه / الأطعمة / باب ما يقال إذا فرغ من الطعام ٢/١٠٩٢ ح ٣٢٨٤ من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ثور بن يزيد به.

نحوه، ورواه أبو بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد وحبيب بن عبيد عن أبي أمانة وهذا إسناد مشهور صحيح .

(٤-١٤٣) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد قال : حدثنا محمد بن سعيد بن غالب قال : حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - إن الله عز وجل ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها^(١) .

(٥-١٤٤) أخبرنا شريح بن كليب قال : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني البلخي ، حدثنا بشر بن بكر، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد وحبيب بن عبيد أنها سمعا أبا أمانة الباهلي يقول : علمني رسول الله - ﷺ - ما أقول عند فراغي من الطعام قال قل : اللهم أنت أطعمتنا وسقيتنا فلك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه^(٢) . ١/٤٣

(١) م / الذكر والدعاء . . ٢٠٩٥/٤ ح ٨٩ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا : ثنا أبو أسامة ومحمد بن بشر عن زكريا بن أبي زائدة به .
— ت / في الأظعمة / باب (١٨) في الحمد على الطعام إذا فرغ منه . . تحفة الأحوذى ٥٣٦/٥ ح ١٨٧٦ من طريق هناد ومحمود بن غيلان قالا : ثنا أبو أسامة عن زكريا بن أبي زائدة به .
— حم ١٠٠/٣ من طريق إسحاق بن يوسف، ثنا زكريا بن أبي زائدة به .
— حم ١١٧/٣ من طريق أبي أسامة أنا زكريا به .
(٢) هذه هي الرواية التي أشار إليها المصنف عقب الحديث رقم (١٤٢) تعليقا عن أبي أمانة وحكم لإسنادها بالصحة .

التعليق :

هذه الآيات والأحاديث دلت على أن هذا المخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، وإنما خالقه الذى أوجده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، من تلك القطرة من ماء مهين، هو رازقه ومدبر شؤونه، وإن الشركاء الذين يدعون من دونه لا يملكون من ذلك شيئاً ولا يفعلونه، وإنما الله الإله الحق القادر المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله هو الرازق فيوسع على قوم ويضيق على آخرين لما يعلمه من صلاح عباده فى الغنى أو الفقر.

قال تعالى : ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحْيِيكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ .

فالله يخلق الإنسان ثم يخرج من بطن أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى، ثم يرزقه الله سبحانه هذه القوى .

قال تعالى : ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل/ ٧٨) .

قال ابن كثير ٣٢٥/٦ : ثم يرزقه الرياش واللباس والمال .

كما قال الإمام أحمد فى مسنده ٤٦٩/٣ : ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن سلام ابن أبى شرحبيل عن حبة وسواد ابنى خالد قالاً : دخلنا على رسول الله - ﷺ - وهو يصلح شيئاً . قلت : وفى رواية وكيع عن الأعمش وهو يعمل عملاً أويبنى بناء فأعناه عليه فقال : لا تياساً من الرزق ما تهزرت رؤسكم فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله عز وجل . اهـ .

قلت : والحديث ضعيف لعننة الأعمش، ولكون سلام بن أبى شرحبيل مقبول كما فى التقريب ٣٤٢/١ .

وقوله تعالى : ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير﴾ .

يقول ابن جرير فى تفسير الآية ٣٠/٢٥ : ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى ، فقال جل ثناؤه : ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ فوسعه وكثره عندهم لبغوا ، فتجاوزوا الحد الذى حده الله لهم إلى

غير الذى حده لهم فى بلاده بركوسهم فى الأرض ما حظره عليهم ، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفائتهم الذى يشاء منه .

ثم أورد الحديث الذى ذكره المصنف عن عمرو بن حريث فى سبب نزول الآية .

قال : وقوله : ﴿ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ . يقول تعالى ذكره : إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم ، من غنى وفقر وسعة وإقتار ، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم ، ذو خيرة وعلم ، بصير بتدبيرهم ، وصرفهم فيما فيه صلاحهم . اهـ .

وهذا من كمال الوهيته سبحانه فهو العالم بمصالح عباده والعالم بما يصلحهم من غنى أو فقر ، فيغنى من يستحق الغنى ، ويفقر من يستحق الفقر ، وكل ذلك بحسب علمه بأحوال عباده ، وإنه ليرضى من العبد شكره على نعمه كما قال - ﷺ - : إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها ، لأن ذلك من رزق الله تعالى له ، وكان الرسول - ﷺ - إذا فرغ من طعامه يقول : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مودع ولا مكفى ولا مستغنى عنه . وهذا إرشاد وتوجيه لأمته بشكر المنعم عليهم المتفضل برزقه لهم والإعتراف بأنه لا غنى لهم عن خالقهم سبحانه وتعالى . الذى نسأله تعالى أن يرزقنا شكر نعمه إنه ولى ذلك والقادر عليه .

٣٦- ذَكَرْتَنِي نَذْلًا عَلَى وَحْدَانِيهِ الْخَالِفِ وَأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ لِمَا رَوَى الشَّافِي لِعِبَادِهِ.

قال الله عز وجل مخبراً عن إيمان نبيه وخليته : ﴿الَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^(١) ، ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ﴾^(٢) .

(١-١٤٥) أخبرنا محمد بن عبد بن حفص قال : حدثنا (يعقوب ابن سفيان)^(٣) الفارسي قال : حدثنا مسدد ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلت أنا وثابت البناني على أنس بن مالك فقال ثابت : يا أبا حمزة اشتكيت ، فقال أنس ألا أريك برقية رسول الله - ﷺ - ؟ قال بلى . قال قل : اللهم رب الناس إذهب البأس أشف وأنت الشافي ، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً^(٤) . رواه جماعة عن أنس ، وروى عن عبد الله وعائشة وأبي ميمونة وأبي هريرة وثابت بن قيس - رضي الله عنهم - .

(٢-١٤٦) أخبرنا حمزة بن محمد الكناني ومحمد بن سعد قالوا : حدثنا أحمد بن شعيب النسائي أخبرنا عمران بن موسى ، حدثنا عبد

(١) سورة الشعراء الآية : ٨١ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٨٠ .

(٣) ما بين القوسين من تهذيب الكمال ، فيمن روى عن مسدد ٣ / ١٣٢٠ .

(٤) خ / الطب / باب (٣٨) رقية النبي - ﷺ - . فتح الباري ١٠ / ٢٠٦ ح ٥٧٤٢ من طريق

مسدد به .

الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي الضحى^(١) عن مسروق عن عائشة قالت : كان رسول الله - ﷺ - إذا اشتكى أحد من أهله مسحه بيمينه ويقول : أذهب البأس رب الناس أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاءً لا يغادر سقماً^(٢) . رواه الثوري عن الأعمش . ورواه جرير وغيره عن منصور عن أبي الضحى وقال الثوري وأبو عوانة وورقاء عن منصور عن إبراهيم عن مسروق عن عائشة - رضى الله عنها - وقال جماعة عن إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن مسلم ، وإبراهيم عن مسروق عن عائشة - رضى الله عنها - فجمع بينهما وكلها صحاح ثابتة ، وروى نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عائشة أخرجناها في كتاب^(٣) الدعاء .

* * *

(١) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني مشهور بكنيته ، ثقة ، فاضل ، من الرابعة ، تقريب ٢/٢٤٥ .

(٢) خ / الطب / باب (٣٨) رقية النبي - ﷺ - . فتح الباري ١٠/٢٠٦ ح ٥٧٤٣ من طريق عمرو بن علي ثنا يحيى ثنا سفيان حدثني سليمان به .

(٣) هذا من مؤلفات المصنف - رحمه الله - ، لم نعثر عليه .

التعليق :

إن من تمام توحيد الإنسان وكماله أن يؤمن بأن خالقه الذى أوجده من عدم هو الذى يتصرف فيه بالمرض والشفاء والحياة والموت ، وأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ .

وكما قال تعالى مخبراً عن إيمان إبراهيم - عليه السلام - بأن كل ما يصيبه هو من الله تعالى ﴿الذى يمتنى ثم يحين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أى أن الحياة والموت ، المرض والشفاء كله بيد الله سبحانه وتعالى ، فهو القادر على ذلك لا يقدر عليه أحد سواه ، وما أدعاه النمرود الذى حاج إبراهيم فى ربه وقد آتاه الله الملك حيث ادعى أنه يحى ويميت مثل إله إبراهيم الذى يحى ويميت ، هى مغالطة من ذلك الملحد الذى يعلم فى قرارة نفسه أن الإحياء ليس العفوع عن شخص وإطلاق سراحه من القتل وكذا الإماتة ليست تنفيذ الحكم بقتل شخص آخر ، لكن لما علم إبراهيم - عليه السلام - مغالطته وهو الذى آتاه الله الحجة لم يجادله فى مفهومه الخاطيء لمعنى الحياة والموت ، وإنما انتقل به إلى حجة أخرى لا يستطيع الرد عليها حيث قال له : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ولم يجر جواباً .

قال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (البقرة/ ٢٥٨) .

وهكذا مصير كل ظالم متعد على حق الله ، الخيبة والخسران .

وقد أورد المصنف بعد الآيات الأحاديث التى توضح هذا المعنى وذلك بما كان يفعله رسول الله - ﷺ - فى الرقية ودعائه بهذا الدعاء : اللهم رب الناس اذهب البأس ، أشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاءك شفاءً لا يغادر سقماً . وهو معنى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ فإن الذى بيده المرض والشفاء هو الإله الواحد الذى يجب على المسلم الالتجاء إليه والتوكل والاعتماد عليه وأن لا يطلب شيئاً مما لا يقدر عليه إلا الله من أحد سواه وقوله : (لا شافى إلا أنت) إشارة إلى أن ما يقع من الدواء والتداوى ان لم يصادف تقدير الله لم ينفع .

٣٧- ذُرَّاءٌ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الْخَالِقِ وَأَنَّ الْمُبْدِئَ خَلَقَهُ
بِلَامِثَالٍ وَالْمُعِيدُ لَهَا بَعْدَ فَنَائِجِهَا.

قال الله تعالى مخبرا عن قدرته على إحياء خلقه بعد موتهم وفنائهم وإعادته خلقهم بعد أن يصيروا رميما ورفاتا: ﴿أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يَمْنَى﴾ (٢) الآية .

وقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسَى خَلْقَهُ﴾ (٣) .
وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٤) .

بيان ذلك من الأثر :

(١-١٤٧) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى وعبد الله بن إبراهيم قالوا: حدثنا أبو مسعود أخبرنا أبو اليان حدثنا شعيب بن أبي حمزة حدثنا عبد الله بن أبي حسين حدثني نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله - ﷺ -: قال الله عز وجل: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر

(١) هكذا في الأصل «ها، فنائها» ولعل الأولى: هم، فنائهم، بميم الجمع والتذكير.

(٢) سورة القيامة الآية: ٣٧.

(٣) سورة يس الآية: ٧٨.

(٤) سورة الروم الآية: ٢٧.

أن أعيدته كما كان ، وأما شتمه إياي فقلوله لى ولد وسبحاني من أن أتخذ صاحبة أو ولدا^(١) .

(٢-١٤٨) أخبرنا أحمد بن إسماعيل نا يونس نا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : قال الله كذبنى عبدى ولم يكن له أن يكذبنى وشتمنى ولم ينبغى له أن يشتمنى فأما تكذيبه إياى فقلوله لن يعيدنى كالذى بدأنى وليس آخر الخلق أهون على أن أعيدته من أوله فقد كذبنى إن قال هذا ، وأما شتمه إياى فيقول : إتخذ الله ولداً وأنا الله الصمد لم ألد ولم أولد^(٢) . رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة^(٣) وعنه جماعة^(٤) .

(٣-١٤٩) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى وعبد الله بن إبراهيم قالا : حدثنا أبو مسعود أخبرنا يعلى حدثنا الأعمش عن أبي الضحى عن

(١) له شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البخارى فى تفسير سورة الاخلاص . فتح البارى ٧٣٩/٨ ح ٤٩٧٤ وتقدم تخريجه أول الكتاب ح رقم (١) .

(٢) حم ٣٥٠/٢ من طريق حسن ، ثنا ابن لهيعة ثنا أبو يونس به .

(٣) وصله خ / بدء الخلق / باب (١) ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ فتح البارى ٢٨٧/٦ ح ٣١٩٣ .

— وصله خ / فى التفسير / سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فتح البارى ٧٣٩/٨ ح ٤٩٧٤ .

— حم ٣٩٣/٢ .

(٤) منهم همام بن منبه ، خ / التفسير / سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فتح البارى ٧٣٩/٨ ح ٤٩٧٥ .

— حم ٣١٧/٢ .

مسروق عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلاً قينا وكان لى على العاص
ابن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد - ﷺ -
فقلت والله لا أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال : فإنى إذا مت ثم بعثت كان
لى ثم مالا وولدا فأعطيك فأنزل الله عز وجل : ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا
وقال لأوتين مالا^(١) وولدا^(٢)﴾ .

(١) سورة مريم الآية : ٧٧ .

(٢) أخرجه خ / فى التفسير / باب (٣) ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾
فتح البارى ٨/ ٤٢٩ ح ٤٧٣٢ من طريق الحميدى ثنا سفيان عن الأعمش به .
— وباب (اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) فتح البارى ٨/ ٤٣٠ ح ٤٧٣٣ من طريق
محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش به .

التعليق :

عقد المصنف هذا الفصل للدلالة على وحدانية الله ببيان أنه الخالق لهذا العالم بلا مثال سابق، وأنه المعيد لهم بعد فنائهم، وهذا من مباحث البعث وقضية البعث والحساب وإعادة الحياة إلى الموتى بعد تفتت تلك الأجساد واختلاطها بأجزاء الأرض من معضلات العقيدة شأنها في ذلك شأن قضية الوجدانية في الغرابة والاستبعاد، وقد اقتضى هذا الاستبعاد تعجب المنكرين للبعث ووقوعه ممن يقولون به ويؤمنون بوقوعه، قال تعالى مبيناً وموضحاً تعجب هؤلاء المنكرين : ﴿ق. والقرآن المجيد. بل عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ . (ق / ١ - ٣) .

كما قالوا عن قضية الوجدانية ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ . أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص / ٤ ، ٥) . وقد سلك القرآن الكريم لإثبات قضية البعث مسالك متعددة في طريقة العرض والاستدلال، وإبطال شبه المنكرين، بأدلة تثبت وقوعه، وتدحض شبه المنكرين المستبعدين لوقوعه، لأنهم يقيسون قدرة الخالق على قدرتهم والله القادر وهو الذي يقول للشئ كن فيكون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

وقد أورد المصنف هنا أدلة على إعادة الخلق بعد فنائهم من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فمن القرآن قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يَمَنِ﴾ . وهذا استدلال بالبداء على الإعادة، وقد جاءت الآيات بعد هذه تؤكد أن الذي خلقه من تلك النطفة قادر على إعادته : ﴿أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِي يُمَنِ﴾ ، ثم كان علقه فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ . (القيامة / ٣٧ - ٤٠) .

والجواب بلى والله إنه لقادر على إحياء الموتى، فمن ابتداء الإنسان هكذا من قطرة ماء، وتنقل في جميع أحواله وأطواره إلى أن صار بشراً سوياً قادراً على إعادته بعد موته وجمع ما اختلط من أجزائه بأجزاء التراب ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوْى بَنَانَهُ﴾ . (القيامة / ٣ ، ٤) .

وسبب إنكار الإنسان للبعث هو نسيانه لمبدأ خلقه، إذ لو نظر في نشأته الأولى نظر تفكر، وكيف وجد بعد أن كان معدوماً، ومم أوجده ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

خلق من ماء دافق ﴿٥٠﴾ . (الطارق / ٥ ، ٦) . لعلم أن الإعادة له سهولة وممكنة .
وقد أورد المصنف دليلاً على ذلك قوله تعالى : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى
خلقه...﴾ (الآية) .

واستكمالاً للبحث نورد بقية الآيات من سورة يس :

يقول تعالى في ذلك : ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين . وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي
أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا
أنتم منه توقدون . أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم﴾ . (يس / ٧٧ - ٨١) .

وقد أورد المصنف بعض الأحاديث في سبب نزول الآية ، ومنها ما ذكره
المفسرون لهذه الآيات ، أن أبي بن خلف أتى رسول الله - ﷺ - وفي يده عظم رميم
يفته ويذروه في الهواء ، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟؟ فقال رسول
الله - ﷺ - : نعم يमितك الله تعالى ، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار . فنزلت
الآيات .

وفي رواية أن العاص بن وائل السهمي أتى إلى رسول الله - ﷺ - بعظم حائل
ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أبعث الله هذا حياً بعد ما أرم؟؟ قال : نعم يبعث
الله هذا ، ثم يमितك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم . فنزلت الآيات^(١) .

فتبين من أسباب النزول اعتراض بعض المشركين على الرسول - ﷺ - في
تقريره البعث وقد أكدوا إنكارهم ذلك بما ضربون من المثل لله تعالى ، فكان لابد من
أن يرد عليهم إنكارهم وأن يبطل لهم مثلهم والآيات وإن كان سبب نزولها خاصاً ،
فهى عامة فى كل منكر للبعث فى كل زمان ومكان لما هو مقرر فى الأصول أن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد بينت الآيات أن استبعاد البعث وإعادة الأجسام بعد الموت مرة أخرى آت
من إنسان لم ينظر فى مبدأ خلقه أولاً . إذ لو نظر فى نشأته الأولى نظرة تبصر واعتبار

(١) ابن جرير الطبري ، التفسير ٢٣ / ٣٠-٣١ ، ابن كثير ، التفسير ٣ / ٥٨١ .

لكفاه خلقه من نطفة ضعيفة حقيرة دليلاً على إعادته بعد موته ، فنسيانه لمبدأ خلقه من تلك النطفة هو الذى دعاه لهذا الإنكار ، ثم ضربه المثل لله القادر ، بقدرته الإنسان العاجز ﴿أولم ير الإنسان﴾ نشأته ، أى ألم يعلم ﴿أنا خلقناه من نطفة﴾ أى ابتدأنا خلقه وإيجاده من منى يمنى ، وما أضعف النطفة وأعجزها وأحقرها ﴿فإذا هو﴾ بعد العجز والضعف إنسان قوي ناطق ﴿خصيم مبين﴾ أى بعد تلك الأطوار الضعيفة أصبح يخاصم ويجادل أبين جدال وأبلغ خصام ، ومن ذلك خصامه وجداله فى أمر البعث والجزاء ، ينكر قدرة خالقه الذى أنشأه أول مرة ، ويدعى عدم قدرته على إعادته ثانياً . ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ . أى صفة غريبة يعارض بها قدرتنا بالدليل القاطع على إعادته ، فجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم . ثم بين سبحانه وتعالى ، أن سبب ذلك هو ذهوله وعدم التفاته إلى خلقه الأول ، فقال : ﴿ونسي خلقه﴾ وكان من واجبه أن لا ينسى فيستدل بخلقه الأول على عوده كما بدأ ، ولو تأمل فى ذلك لعلم أن القدرة التى سوته أولاً لا يعجزها بأي حال إعادته ثانياً . كما قال تعالى : ﴿وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ . (الروم / ٢٧) . ولا فرق بين البدأ والإعادة بالنسبة للقدرة الإلهية ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ . وإنما إعادة الشيء أهون من ابتدائه واختراعه بالنسبة للإنسان .

وإعادة الإنسان بعد أن صار عظماً رميةً مفتتاً بالنسبة للخالق أمر هين وقد قدم قوله ﴿ونسي خلقه﴾ على ضرب مثله تنبيهاً على جهله وغيبائه وغفلته عما فى نفسه وبين يديه من الأدلة ، وماذا قال فى مثله الذى يعتمد عليه فى تأييد دعواه؟؟ ﴿قال من يحيى العظام وهى رميم﴾ بالية متفتتة . فقد جاء ذلك المنكر للبعث المستبعد لوقوعه إلى النبى - ﷺ - أخذاً بيده عظماً رمية يفته ويذروه فى الهواء قائلاً للنبى - ﷺ - : أترى يحيى الله هذا العظم بعد ما ارم؟؟ فقال له النبى - ﷺ - : نعم ، ويدخلك النار . وقد دفع سبحانه وتعالى هذه الشبهة بقوله ﴿قل﴾ وهو أمر للنبى - ﷺ - بأن يذكر هذا الناسى لفطرته الدالة على حقيقة الأمر وكمال القدرة ﴿يحييها﴾ أى يخلق الحياة فيها ﴿الذى أنشأها﴾ وأوجدها من العدم ﴿أول مرة﴾ فى بدء الخلق والنشأة الأولى ، فهو الذى أنشأ هذا العظم الذى تفته بيدك من نطفة ماء لا عظم فيه ، فالقادر على إنشائه أولاً ، ثم إحلال الحياة فيه لا يعجزه إعادته مرة أخرى ، كما قال تعالى : ﴿وهو

الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى﴾ .

وقد ورد في الحديث الذى أورده المصنف أن إنكار البعث تكذيب لله تعالى حيث قال في الحديث القدسى : قال الله كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقله لن يعيدنى كما بدأنى . . . وأما شتمه فقله : ﴿اتخذ الله ولدا وأنا الله الصمد لم ألد ولم أولد﴾ .

وقضية البعث أمر مقرر فى الديانات السابقة فكل نبي بين لقومه ذلك ، وخباب - رضى الله عنه - من المؤمنين بهذه العقيدة ولذلك رد على العاص بن وائل حينما طلب منه أن يكفر بمحمد - ﷺ - فقد قال له ذلك القول الفصل : لن أكفر به حتى تموت وتبعث .

والعقيدة الصحيحة السليمة هى التى ينبغى أن يربُّ الأجيال عليها إذ لا يقوم فى وجه الطغيان والطغاة إلا ذلك ، فهذا خباب لم يدفعه إلى هذا الرد الحازم على العاص بن وائل إلا عقيدته الراسخة بما جاء به المصطفى - ﷺ - وهكذا كانت تربية أصحابه - ﷺ - الذين فتحوا العالم وحطموا الكفر والطغيان بتلك العقيدة الصادقة والإيمان الراسخ الذى حملوه إلى العالم لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . والحمد لله رب العالمين .

٣٨- ذَكَرَ اسْتِدْلَالَ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولٌ .

قال الله تعالى مخبراً عن إيمان إبراهيم - عليه السلام - بالله عز وجل^(١) قبل الرسالة: ﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) .

(١-١٥٠) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال: حدثنا أبو مسعود، أخبرنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة ابن زيد عن أبيه زيد بن حارثة قال: خرج النبي - ﷺ - وهو مُردفٍ فذبحنا له شاة ثم صنعناها له حتى إذا نضجت استخرجتها فجعلناها في سفرتنا ثم أقبل رسول الله - ﷺ - يسير وهو مردفٍ في يوم حار من أيام مكة حتى إذا كنا بأعلا الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا - ﷺ - أحدهما الآخر بتحية الجاهلية فقال له رسول الله - ﷺ -: ما لي أرى قومك قد شنفوا لك^(٣) قال: أما والله ان ذلك لمنى لغير نائرة كأنت منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب فوجدتهم

(١) أى أنه - عليه السلام - كان على الفطرة - متجهاً إلى الله تعالى مؤمناً به كما قال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (الروم/٣٠) .

(٢) سورة الأنعام الآية: ٧٩ . وسنورد آخر البحث في هذا التعليق ما رجحه ابن كثير في تفسير هذه الآية وما قبلها من أن إبراهيم - عليه السلام - كان مناظراً لا ناظراً، خلافاً لما رجحه ابن جرير .

(٣) شنفوا لك: أبغضوك . النهاية ٥٠٥/٢ .

يعبدون الله عز وجل ويشركون به فقلت ما هذا بالدين الذى ابتغى
فخرجت حتى أقدم على أحبار فذك فوجدتهم يعبدون الله عز وجل
ويشركون به فقلت ما هذا بالدين الذى ابتغى فخرجت حتى أقدم على
أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون الله عز وجل ويشركون به فقلت ما هذا بالدين
الذى أبتغى فقال لى حبر من أحبار أهل الشام انك تسأل عن دين ما نعلم
أحدا يعبد الله به إلا شيخاً بالجزيرة، فخرجت حتى قدمت فأخبرته بالذى
خرجت له فقال إن كل من رأيت فى ضلال، إنك لتسأل عن دين هو دين
الله عز وجل ودين ملائكته وقد خرج من أرضك نبي، أو هو خارج يدعو
إليه إرجع إليه فصدقه واتبعه وآمن بما جاء به، فرجعت قال: فأناخ رسول
الله - ﷺ - البعير ولم أحس نبيا بعد، ثم تفرقنا وكان صنمان من نحاس
يقال لهما - أساف ونائلة - يتمسح بهما المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله
- ﷺ - وطف معهما، فلما مررت تمسحت به فقال رسول الله - ﷺ - : لا
تمسه، فطفنا فقلت فى نفسى لأمسنه حتى أنظر ما يقول، فقال رسول الله
- ﷺ - : ألم تئن، قال زيد: فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما أستلم
صنماً حتى أكرمه الله عز وجل بالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ومات زيد
ابن عمرو قبل أن يبعث النبى - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - : يأتى يوم
القيامة أمة وحده^(١). هذا حديث مشهور، ورواه القعنبي عن يحيى بن

(١) انظر أسد الغابة ٢/٢٩٥ طبعة الشعب.

وانظر مجمع الزوائد ٩/١٧٤، وقال: رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى، ورجال أبى
يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبرانى رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن
الحديث.

— وانظر الإصابة ٤/٦٣ نحوه.

— والمطالب العالية ٤/٩٥ ح ٤٠٥٧ نحوه.

عمير عن عبد الله بن يزيد عن زيد بن حارثة بطوله نحو معناه، ورواه موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن زيد بن عمرو قال: وأراه سمعه من أبيه بطوله، . . . رواه إبراهيم بن الحجاج عن وهيب بن خالد ورواه أبو مصعب عن محمد بن إبراهيم بن دينار جميعا عن موسى، ورواه ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه بطوله ولم يشك عن موسى، ورواه ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية عند الكعبة بطوله، وفيه أبيات شعر^(١). ورواه يحيى بن سعيد الأموي عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله بطوله، وروى من حديث عكرمة والضحاك عن ابن عباس بطوله، وهذه أسانيد فيها مقال إلا حديث يحيى بن عبد الرحمن، وحديث موسى بن عقبة عن سالم.

(١) مجمع الزوائد ٩/ ٤١٨.

ومن أبيات الشعر قوله:

عزلت الجن والجنان عني
قال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

التعليق :

يقصد المصنف من هذا العنوان أن من لم تبلغه الدعوة ولم يأته رسول، وبقي على الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم / ٣٠) .

وهكذا كان إبراهيم - عليه السلام - فقد بقي على فطرة الإسلام وهي كلمة التوحيد قبل الرسالة، وسيأتي توضيح ذلك آخر البحث .

هذا وقد دلت آيات من كتاب الله ، وأحاديث من سنة رسوله - ﷺ - أن بنى آدم فطروا على معرفة ربهم وخالقهم وعلى الإقرار به لم يتخلف منهم أحد، وأن من انحرف عن فطرة الإسلام - وهي كلمة التوحيد - إنما كان لعارض خارجي صرف الفطرة عما هديت إليه .

يقول تعالى في سورة الأنعام : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...﴾ (الآية / ١٧٢) .

يقول ابن كثير في تفسير الآية ٣/ ٥٠٠ : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .

قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ .

قال : وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : كل مولود يولد على الفطرة . وفي رواية : على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله - ﷺ - يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم .

وقد أخرج حديث أبي هريرة البخاري في كتاب التفسير / باب (لا تبديل

خلق الله) قال : لدين الله (خلق الأولين) دين الأولين . والفطرة : الإسلام . ثم ذكر الحديث وهو في فتح الباري ٥١٢/٨ ح ٤٧٧٥ مرفوعاً ولفظه : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ .

كما أخرجه أيضاً في كتاب الجنائز / باب (٩٢) ما قيل في أولاد المشركين ، فتح الباري ٢٤٥/٣ ح ١٣٨٥ .

ثم أورد ابن حجر في شرحه أقوال العلماء في الفطرة وقال في ص ٢٤٨ وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام .

قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف .

قال : وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الإسلام ، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب : إقرءوا إن شئتم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ وبحديث عياض بن حمار عن النبي - ﷺ - وهو الحديث السابق هنا ، وهو في صحيح مسلم .

وقال ابن كثير في تفسير الآية : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ . . . ﴿ الآية ، ٣٢٠/٦ : يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك ، من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وإنه لا إله غيره ، كما تقدم عند قوله تعالى : ﴿واشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى﴾ .

وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في مجموعة الرسائل الكبرى بعنوان - رسالة في الكلام على الفطرة ٣٣٣/٢ - ٣٤٩ - . أورد فيها الأدلة من الكتاب والسنة ، كما أورد أقوال العلماء ورجح أن الفطرة هي الإسلام وهي كلمة التوحيد وأن المولود لا يعدل عن ذلك إلا بسبب خارجي كما دل عليه الحديث ، ثم قال بعد أن أورد أدلة من القرآن على فطرة كل المخلوقات بالإعتراف والإقرار بخالقها وبارئها ص ٣٤٠ : والمقصود إذا كانت هذه الجهادات قد فطرت على معرفة ربها وتسيبحه وتنزيهه

والإنسان أشرف منها، فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الأولى والأحرى، لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة، لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الإسلام، والإسلام كلمة التوحيد .

ثم قال في ص ٣٤٤ بعد كلام عن المقصود بالمعرفة : قال : هذا الهدهد طير من الطيور، وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور، قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال : ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين﴾ . . . إلى قوله : ﴿الله لا إله إلا هورب العرش العظيم﴾ . هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون . فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات .

ثم قال : فإن أريد بالمعرفة المعرفة التامة، وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم يزل ولا يزال، ومعرفة أسماؤه وما أمر به وما نهى عنه، وما أخبر به وما أراد من عبادته شرعاً، وما كرهه منهم، ولم يرضه ولم يرد وقوعه، فهذا ما يعلم إلا بالسمع من جهة الرسل - صلوات وسلامه عليهم أجمعين -، فعبادة الله تعالى والإيمان به إنما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ . اهـ .

قلت : وقد دل على هذا قوله تعالى : ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى، وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا﴾ (الأسراء ١٥) .

يقول ابن كثير ٥/٥٠ قوله : ﴿وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا﴾ إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى : ﴿كلمالقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾، وقوله : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ . . . إلى أن قال : إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه . اهـ .

ثم ذكر بعد ذلك أهل الفترة ومن في حكمهم وأورد الأحاديث في ذلك ورجح إمتحانهم يوم القيامة . أنظر ذلك من ص ٥٠-٥٥ .

نعود إلى قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه يقول الله تعالى في ذلك : ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تُشركون . إنى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ . (سورة الأنعام / ٧٤ - ٧٩) .

يقول ابن كثير في تفسيره ٢٨٥/٣ : وقد اختلف المفسرون في هذا المقام ، هل هو مقام نظر أو مناظرة ، فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضى أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله : ﴿لئن لم يهْدِنِي رَبِّي . . . الآية . قال : والحق إن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان في هذا المقام مناظراً لقومه ، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية ، التي هى على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذى هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه . وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهى الكواكب السيارة السبعة القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس . . . الخ . فلما انتفت الألوهية عن هذه الأجرام الثلاثة - الكوكب ، والقمر ، والشمس ، وتحقق ذلك بالدليل القاطع قال : ﴿يا قوم إنى برىء مما تُشركون ﴾ أى أنا برىء من عبادتهم ومولاتهم فإن كانت آلهة فكيدونى بها جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ ﴿إنى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ . أى : إننا أعبد خالق الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها ، الذى بيده ملكوت كل شىء وخالق كل شىء وربّه ومليكه والهه . . .

إلى أن قال : وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً في هذا المقام ، وهو الذى قال الله فى حقه : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ﴾ . وقال : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك ان اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

ثم ذكر آية الميثاق وحديث كل مولود يولد على الفطر ، وقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ ثم قال : فإذا كان هذا فى حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل - الذى جعله الله ﴿ أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ - ناظراً فى هذا المقام ، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله - ﷺ - بلا شك ولا ريب .

قال : وما يؤيد أنه كان فى هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا عليه من الشرك لا ناظراً قوله تعالى : ﴿ وحاجه قومه قال أنا حاجونى فى الله وقد هدان ﴾ . . . (الآيات ٨٠ - ٨٣) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

٣٩- ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الْمُجْتَهِدَ الْمَخْطِئَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ
عَزَّوَجَلَّ - وَوَحْدَانِيَّتِهِ كَالْمُعَانِدِ .

قال الله تعالى مخبراً عن ضلالتهم ومعاندتهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يَحْسِنُونَ صَنعًا ﴾ (١) .

وقال على بن أبي طالب - رضى الله عنه - لما سئل عن الأخسرين
أعمالاً فقال : كفر أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا بربهم عز
وجل وابتدعوا في دينهم وأحدثوا على أنفسهم فهم يجتمعون في الضلالة
ويحسبون أنهم على هدى ويجهلون في الباطل ويحسبون أنهم على حق
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (٢) .
وقال على - رضى الله عنه - منهم أهل حروراء (٣)

(١-١٥١) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال : أخبرنا أحمد
ابن يوسف ، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال : هذا ما
حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : والذي نفسى بيده لا يسمع

(١) سورة الكهف الآية : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) ابن جرير في التفسير ٣٣/١٦ .

— ذكره ابن كثير في تفسير الآية ١٩٧/٥ .

(٣) تفسير الطبرى ٣٤/١٦ .

— وذكره ابن كثير في تفسير الآية ١٩٧/٥ .

— وذكره السيوطى في الدر المنثور ٢٥٣/٣ .

بي رجل من هذه الأمة (ولا) يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار^(١).

(٢-١٥٢) أخبرنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال: حدثنا يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا الحسين بن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: والذي نفسي بيده ما يسمع بي من هذه الأمة من يهودى أو نصرانى يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار^(٢).

(٣-١٥٣) أخبرنا محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر.

ح / وأخبرنا أحمد بن محمد بن عاصم قال: حدثنا عبد الله بن محمد ابن النعمان قال: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط بن نصر عن إسماعيل السندى عن أبي مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله بن مسعود أن سلمان الفارسى - رضى الله عنهم - بينا هو يحدث النبى - ﷺ - إذ ذكره أصحابه فأخبره خبرهم فقال كانوا يصومون ويصلون ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال النبى - ﷺ -: يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان وكان قد قال له سلمان لو أدركوك صدقوك واتبعوك فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

(١)، (٢) م / الإيمان / باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - ﷺ - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. ١٣٤/١ ح ٢٤٠ من طريق يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب به. — وابن مندة في الإيمان / باب (٧٧) ذكر وجوب الإيمان على كل من سمع بالنبى - ﷺ - من أهل الكتابين والإقرار بها أرسل به وجاء به عن الله عز وجل. ٥٠٨/٢ ح ٤٠١ بنفس السند.

والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر^(١) فكان
إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى ، فلما جاء
عيسى - عليه السلام - كان من تمسك بالتوراة وأخذ سنة موسى ولم يدعها
ولم يتبع عيسى كان هالكاً ، وإيمان النصارى من تمسك بالإنجيل منهم
وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد - ﷺ - فمن لم يتبع
محمداً منهم ويدع ما كان عليه من سنن عيسى والإنجيل كان هالكاً^(٢) .

(١) سورة البقرة الآية : ٦٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١/٣٢١-٣٢٣ من طريق موسى بن هارون قال : ثنا عمرو
قال : ثنا اسباط بن نصر عن السدى في حديث طويل .
— وذكره ابن كثير في تفسير الآية عن الهيدى ١/١٤٧ .

التعليق :

إن العبادة المقبولة عند الله تعالى ما توافر فيها شرطان :

(١) النية الصادقة في إخلاص العمل لله تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ .
﴿إنما الأعمال بالنيات﴾ .

(٢) الموافقة لشرع الله سبحانه وتعالى ، وهو كل ما أنزله في كتابه أو جاء به رسوله - ﷺ - ، لأن العمل لا يقبل من صاحبه إلا أن يكون خالصاً - صواباً - . فلو اختل أحد الشرطين لا يقبل ، وهذه الآية التي أوردها المصنف تحت هذا العنوان تدل على ذلك .

لأن من أحدث أمراً في دين الله من عند نفسه ، لم يأمر به الله ولا رسوله فكأنه يقول : إن شرع الله الذي أنزله وجاء به رسوله - ناقص - وأنه غير كاف أو أنه بكيفته هذه غير صالح ، وهو يريد بعمله هذا أن يتمم ذلك النقص أو يصلح تلك الكيفية ، وذلك منه تقدم بين يدي الله ورسوله .

وقد أخبر تعالى أن سبب ضلال أهل الكتاب اليهود والنصارى هو اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وذلك حينما شرعوا لهم شرعاً من عند أنفسهم بتحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ، فلما أطاعوهم في ذلك اتخذوهم أرباباً ، لأن التشريع من حق الله تعالى ليس لأحد من خلقه أن يشرع دونه لعباده .

قال تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (التوبة / ٣١) .

فقد دخل عدى بن حاتم على رسول الله - ﷺ - وفي عنقه صليب من فضة ، فقرأ رسول الله - ﷺ - هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم .

وهذه الآية التي أوردها المصنف تحت هذا العنوان دليل واضح على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله ووحدانيته كالمعاند في أنه غير معذور في خطئه كما قال تعالى : ﴿هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ .

وحينما سئل على بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن (الأخسرين أعمالاً) قال: هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا بربهم وابتدعوا في دينهم وأحدثوا على أنفسهم . . الخ .

كما قال هو وغيره - إن من هؤلاء الأخسرين أعمالاً أهل حروراء - وهم الخوارج .

وقد أورد ابن جرير في تفسير الآية أقوال العلماء والروايات في ذلك ٣٤ / ١٦ ، ثم قال :

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله عز وجل عني بقوله ﴿ هل نبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴾ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً ، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض ، وهو بفعله ذلك لله مسخط ، وعن طريق أهل الإيمان به جائز ، كالرهبانية والشامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم ، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة ، من أى أهل دين كانوا .

ثم قال : وقوله ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾ يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذى عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به ، بل على كفر منهم به ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . يقول : وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون ، وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم إنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية ، أن سعيهم الذى سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً ، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك ، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم ، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذى أخبر عنهم ، أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه كانوا مثابين مأجورين عليها ، ولكن القول بخلاف ما قالوا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة ، وأن أعمالهم حابطة ، وعنى بقوله ﴿ أنهم يحسنون صنعا ﴾ عملاً ، والصنع والصنعة والصنيع واحد . يقال : فرس صنيع بمعنى مصنوع . اهـ .

وقد أورد ابن جرير في تفسير الآية رواية عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - إن من هؤلاء أهل حروراء وهي الرواية التي أوردتها المصنف هنا عن علي .
ثم اختار ابن جرير عموم الآية في كل عاملٍ عملاً يحسبه فيه مصيباً وأنه بفعله ذلك لله مطيع مرض ، وهو بفعله ذلك لله مسخط وعن طريق أهل الإيثار به جائر كالرهبانية والشامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم من أي أهل دين كانوا .
وعلى ذلك فإن هذه الآية بعمومها تشمل أهل الأهواء جميعاً الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بعملهم ذلك ، وهم مخالفون لطريق أهل الإيثار الذين سلكوا مسلك الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وإن من أهل الأهواء الذين هم مثل الخوارج - الشيعة الرافضة الذين اتفقوا على تضليل صحابة رسول الله - ﷺ - وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون في دعواهم عليهم أنهم كتموا ما أوصى به رسول الله - ﷺ - من الوصية لعلي - رضى الله عنه - بالخلافة بعده - لأن دعواهم هذه تشمل حتى علي - رضى الله عنه - لأنه لم يصرح بما ادعوه له من الوصية - فكأنه كتم ذلك أيضاً - وعدم ذكره للوصية دليل واضح على كذب الشيعة على صحابة رسول الله - ﷺ - بأنهم كتموا ذلك ، ثم اتفاق هؤلاء الضلال على شتم صحابة رسول الله - ﷺ - الأطهار الأخيار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه لا لبلاغ هذا الدين الذي جعله الله خاتم الأديان وأنه لا يقبل من أحد ديناً سواه - وقد اتنى الله عليهم في كتابه بجميل الثناء ، واجمعت الأمة على عدالتهم .
ثم نرى هؤلاء الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً يجتهدون في العمل ويؤدون أنواعاً من العبادات خاشعين مستكينين ييكون ويتضرعون ، وقد قال الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة﴾ .

يقول ابن كثير في تفسيره ٤٠٦/٨ : ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ أى ذليلة قاله قتاده .

وقال ابن عباس : تخشع ولا يفعلها عملها .
وقوله : ﴿عاملة ناصبة﴾ أى : قد عملت عملاً كثيراً ، ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة ناراً حامية .

فيخشى على هؤلاء الروافض المتمسحون بحب آل البيت وهم مخالفون لهم ، أن تنطبق هذه الآيات وأمثالها عليهم ، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بأعمالهم ، وهم مخالفون لطريق أهل الإيمان في تولي صحابة رسول الله - ﷺ - والترضى عنهم ، والسكوت عما شجر بينهم ، وهذا المسلك عليه أجماع أهل الحق والإيمان التابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كما قال تعالى بعد ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر/ ١٠) .

هذا قول المؤمنين الذين جاءوا بعد الصحابة ، من مهاجرين وأنصار ، فمن خالف هذا المنهج ، وبدلاً من الدعاء لهم بالمغفرة يسبهم ويشتمهم ، ويحتوى قلبه على البغض والحقدهم عليهم ألا تنطبق عليه الآية الكريمة :

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ .

وقوله : ﴿وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية﴾ .

ثم أورد المصنف بعد ذلك حديث أبي هريرة وقول المصطفى - ﷺ - : «والذى نفسي بيده لا يسمع بى يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بالذى جئت به إلا كان من أهل النار» .

وحديث سلمان الفارسي في سبب نزول قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية .

ليبين بذلك عموم رسالة محمد - ﷺ - إلى الناس كافة ، وأنها ناسخة لجميع الرسالات السابقة لقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سبا/ ٢٨) .

وقد أوضحت الرواية في قصة سلمان الفارسي أن إيمان اليهود برسالة موسى كما في التوراة الصحيحة غير المحرفة أن التمسك بذلك إلى بعثة عيسى - عليه السلام - كان على الحق ، وبعد بعثة عيسى فمن تبعه من اليهود ممن آمن به من النصارى على أنه عبد الله ورسوله والتمسك بما جاء في الإنجيل مع التوراة كان مؤمناً مقبولاً منه إيمانه .

حتى جاء محمد - ﷺ - فمن اتبعه كان على الحق ، ومن لم يتبعه وتمسك بسنن عيسى وبالإنجيل كان هالكا .

وهذا هو الحق ، لأن الله يقول : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ سورة آل عمران / ٨٥ . فمن آمن بمحمد - ﷺ - فقد آمن بجميع الرسل .

ومن بقى على دين اليهود والنصارى زعماً منه بأنهما لم ينسخا بدين الإسلام فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

وإن سماعهم بمحمد - ﷺ - وبرسالته إلى الناس كافة إن لم يؤمنوا به ويتبعوه فهم من أهل النار كما قال - ﷺ - .

والحمد لله رب العالمين

انتهى بعون الله تعالى الجزء الأول من كتاب
التوحيد لابن مندة ، ويليه الجزء الثانى ويبدأ
من قوله :

ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التى تسمى
بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر

(الطبعة الأولى)

١٤٠٥ هـ

في مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الفهارس

محتوى الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيب المصحف .
- ٢ - فهرس الأحاديث : على الحروف الهجائية وبأرقام الأحاديث .
- ٣ - فهرس الفرق .
- ٤ - فهرس الأعلام :-
 - أ - الأعلام الذين وردت أسماؤهم فى المقدمة على أرقام الصفحات .
 - ب - شيوخ ابن مندة . مرتبة على أرقام الأحاديث .
 - ج - فهرس الأعلام المترجم لهم غير شيوخ ابن مندة .
 - ٥ - ثبت المراجع .
 - ٦ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة رقمها (١)
الحمد لله رب العالمين
رقم الآية ١
رقم الصفحة ٢٩، ١٧

سورة البقرة رقمها (٢)
ألم . ذلك الكتاب
أو كصيب من السماء
يا أيها الناس اعبدوا
الذي جعل لكم
يا آدم
ولكم في الأرض مستقر
إن الذين آمنوا والذين هادوا
وإن من الحجارة
ولما جاءهم كتاب
ولقد علموا لمن اشتراه
وإلهكم إله واحد
إن في خلق السموات والأرض
يسألونك عن الأهل
والوالدات
ألم تر إلى الذي
آمن الرسول

رقم الآية ١-٣
١٩
٢١
٢٢
٣٥
٣٦
٦٢
٧٤
٨٩ ، ٩٠
١٠٢
١٦٣
١٦٤
١٨٩
٢٣٣
٢٥٨
٢٨٥

رقم الصفحة ١٤٢
١٦٨
٤١
١٨٢
٢١٣
٢١٤
٣١٦
١٩١
٢١
١٥٤
١٧
١٧٢ ، ٤١
١٤١
٢٤٧
٢٩٨
١٨

سورة آل عمران رقمها (٣)
الله لا إله
فأما الذين في قلوبهم
ربنا لا تزع قلوبنا

رقم الآية ٢
٧
٨

رقم الصفحة ١٧
٢٧٥
٢٧٢

الصفحة

٢٤٤	٢٧
٣٢١ ، ٢١	٨٥
١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٧	١٩١ ، ١٩٠
١٨٠ ، ١١٣ ، ١٠٢	

تولج الليل في النهار
ومن يتبع غير الاسلام
إن في خلق السموات والأرض

رقم الصفحة	رقم الآية
٢١٥	١
١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦	٤٢

سورة النساء رقمها (٤)
ياأيها الناس اتقوا ربكم
يومئذ يود — ولا يكتُمون الله

٦	٦٥
١٠٧ ، ١٠٦	٩٩ ، ٩٦
١٠٧ ، ١٠٦	١٣٤
١٠٧ ، ١٠٦	١٦٥ ، ١٥٨

فلا وربك
وكان الله غفوراً رحيماً
وكان الله سميعاً بصيراً
وكان الله عزيزاً حكيماً

رقم الصفحة	رقم الآية
١٩	٣

سورة المائدة رقمها (٥)
اليوم أكملت لكم

رقم الصفحة	رقم الآية
١٠٦	٢٢
١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٦	٢٣
٣٨	٥٤
٢٨٩	٦١ ، ٦٠
٣١٢	٧٩ — ٧٤
٣٠٦ ، ٣٦	٧٩
٢٤٥	٩٨

سورة الأنعام رقمها (٦)
أين شركاؤكم
والله ربنا ما كنا مشركين
كتب ربكم على نفسه
وهو الذي يتوفاكم
وإذ قال إبراهيم
إني وجهت
فمستقر ومستودع

الصفحة

١٠٢ ، ٩٧	١٠٢	ذلكم الله
٢٧٩ ، ٢٧٢	١١٠	ونقلب أفئدتهم
١٣٩ ، ١٣٧	١٥٨	لا ينفع نفساً إيمانها
٢٧٠	١٦٢ - ١٦٣	قل إن صلاتي

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الأعراف رقمها (٧)
٢١٣ ، ٢١٢	١٩	اسكن أنت وزوجك
١٤٣	٥٤	والنجوم مسخرات بأمره
١٨٩	٥٤	ان ربكم الله
٢٦٦	٥٤	الا له الخلق والأمر
١٧	٥٩	لقد أرسلنا
١٢٠	٧٣	يا قوم اعبدوا الله
٣٠٩ ، ٣٤	١٧٢	واذ أخذ ربك
٣٦	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى
٢١٦	١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الأنفال رقمها (٨)
٢٧٩ ، ٢٧٢	٢٤	واعلموا أن الله

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة التوبة رقمها (٩)
٣١٧	٣١	اتخذوا أحبارهم
١٥٦	٣٦	ان عدة الشهور

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة يونس رقمها (١٠)
١٤١	٥	هو الذي جعل الشمس ضياء

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الرعد رقمها (١٣)
١١٣	٢	الله الذي رفع السموات
٢٠٦ ، ٢٠٣	٤	صنوان وغير صنوان
٢٤٦	٨	الله يعلم
١٧١	١٢ ، ١٣	هو الذي يريكم

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة إبراهيم رقمها (١٤)
١٤٣	٣٣	وسخر لكم الشمس

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الحجر رقمها (١٥)
١٥٢	١٦ - ١٨	ولقد جعلنا في السماء
١٧٢	٢٢	وأرسلنا الرياح

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة النحل رقمها (١٦)
١٨٢ ، ١١٠ ، ١٠٤	٣	خلق السموات
١٥١ ، ١٤٣	١٢	والنجوم مسخرات
٢٥٨	١٧	أفمن يخلق
٢٥٩	٢٠	والذين يدعون
٣٣	٣٦	ولقد بعثنا
٢١٧ ، ١٩	٤٤	وأنزلنا إليك الذكر
٢٠١	٦٥	والله أنزل
٢٩٤	٧٨	والله أخرجكم

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الاسراء رقمها (١٧)
١٢٩	١	سبحان الذي أسرى
١٣٤	١٢	وجعلنا الليل والنهار
٣١١	١٥	من اهتدى
١٤٢ ، ٤٢	٤٤	وان من شيء الا يسبح بحمده
١٧٣	٦٩	أم أمتهم

سورة الكهف رقمها (١٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
ما اشهدتهم	٥١	٢٠٧، ١٨٣، ٨٢
قل هل ننبئكم	١٠٤ ، ١٠٣	٣١٧، ٣١٤، ٣٦
		٣٢١ ، ٣٢٠
سورة مريم رقمها (١٩)	رقم الآية	رقم الصفحة
هل تعلم له سميا	٦٥	٣٦
أفرأيت الذى كفر	٧٧	٣٠١
سورة طه رقمها (٢٠)	رقم الآية	رقم الصفحة
الذى جعل لكم	٥٣	١٨٢
وأنزلنا من السماء	٥٤ ، ٥٣	٢٠١
فلا تسمع إلا همساً	١٠٨	١١١
سورة الأنبياء رقمها (٢١)	رقم الآية	رقم الصفحة
وما خلقنا السماء والأرض	٣٠ ، ١٦	١٠٤
ومن يقل منهم	٣٠ ، ٢٩	١٩٩
وجعلنا من الماء	٣٠	١٩٦
سورة الحج رقمها (٢٢)	رقم الآية	رقم الصفحة
ونقر فى الأرحام	٥	٢٤٥، ٢٣٧، ٢٣١
		٢٤٩
ياأيها الناس ضرب مثل	٧٤ ، ٧٣	٢٥٩ ، ٢١٥
سورة المؤمنون رقمها (٢٣)	رقم الآية	رقم الصفحة
ولقد خلقنا الانسان	١٤ - ١٢	٢٢٠ ، ٢١٨
وأنزلنا من السماء	١٨	١٩٦
قل لمن الأرض	٨٥ ، ٨٤	٢٨
فلا انساب بينهم	١٠١	١٠٨، ١٠٦، ١٠٥

رقم الصفحة ١٧٣	رقم الآية ٤٣	سورة النور رقمها (٢٤) ألم تر أن الله
رقم الصفحة ٢٦١ ، ٢٣١	رقم الآية ٥٤	سورة الفرقان رقمها (٢٥) وهو الذى خلق
١٧٢	٤٨	وهو الذى أرسل الرياح
١٠٦	٧٠	وكان الله غفورا رحيمًا
رقم الصفحة ٢٧٠ ، ٢٦٦	رقم الآية ٨١ - ٧٨	سورة الشعراء رقمها (٢٦) الذى خلقنى
٢٩٤	٨٠	وإذا مرضت
٢٩٤	٨١	الذى يميئنى
رقم الصفحة ٣٣ ، ٢٦	رقم الآية ١٤	سورة النمل رقمها (٢٧) وجحدوا بها
٣١١	٢٦ - ٢٢	أحطتْ بهالم تحط به
١٩٩ ، ١٩٦	٦١	أم من جعل الأرض
رقم الصفحة ١٦٠	رقم الآية ٧٣ - ٧٠	سورة القصص رقمها (٢٨) وهو الله لا إله إلا هو
١٤١ ، ١٤٠	٧٣ - ٧١	قل أرايتم
رقم الصفحة ١٠٤	رقم الآية ٤٤	سورة العنكبوت رقمها (٢٩) خلق السموات والأرض
٣٧	٤٥	ولذكر الله أكبر
رقم الصفحة ٢١٦ ، ٢٠٧	رقم الآية ٢١ ، ٢٠	سورة الروم رقمها (٣٠) ومن آياته أن خلقكم
١١٣	٢٢	ومن آياته خلق السموات

الصفحة

٢٨٢ ، ١١٣	٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء
٣٠٤ ، ٢٩٩	٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق
٣٠٩ ، ٣٦ ، ٣٤	٣٠	فأقم وجهك
٢٩١	٣٧	أولم يروا أن الله
٢٩٤ ، ٢٩١	٤٠	الله الذي خلقكم
١٧٢	٤٦	ومن آياته أن يرسل

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة لقمان رقمها (٣١)
١٩١	١٠	وألقي في الأرض
٢٠٥ ، ١٨٨	١١ ، ١٠	خلق السموات
٢٧٠ ، ٢٥٨	١١	هذا خلق الله
رقم الصفحة	رقم الآية	سورة السجدة رقمها (٣٢)
٢١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥	٩ - ٧	الذي أحسن كل شيء

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الأحزاب رقمها (٣٣)
١٧٦	٩	فأرسلنا عليهم

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة سبأ رقمها (٣٤)
٣٢٠	٢٨	وما أرسلناك

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة فاطر رقمها (٣٥)
١٦٦ ، ١٦٣	٩	والله الذي أرسل
٢٥٣ ، ٢٤٩	١١	وما تحمل من انثى
١٩١	٢٧	ومن الجبال جدد
٢٠١	٢٧	ألم تر أن الله
٢٥٠	٣٧	أولم نعمركم
١٦٦	٤١	ان الله يمسك السموات

سورة يس رقمها (٣٦)	رقم الآية	رقم الصفحة
سبحان الذي خلق	٣٦	٢٠٢
والشمس تجري	٣٨	١٣٦، ١٣٥، ١٣٤
والقمر قدرناه	٣٩	١٤١
أولم ير الإنسان	٨١ - ٧٧	١٤١
وضرب لنا مثلاً	٧٨	٣٠٣
إنما أمره	٨٢	٢٩٩
سورة الصافات رقمها (٣٧)	رقم الآية	رقم الصفحة
إنا زينا السماء الدنيا	٧، ٦	١٥١، ١٤٣
وأقبل بعضهم على بعض	٢٧	١٠٥
سورة ص رقمها (٣٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
وعجبوا	٥، ٤	٣٠٢
أجعل الآلهة	٥	١٢٠، ٢٨، ٢٧
سورة الزمر رقمها (٣٩)	رقم الآية	رقم الصفحة
ألا لله الدين	٣	١٢٠، ٢٩
يكور الليل على النهار	٥	١٥٥
يخلقكم في بطون	٦	٢٤٨، ٢٤٥، ٢٢٠
ولئن سألتهم	٣٨	٢٨، ٢٧
الله يتوفى الأنفس	٤٢	٢٨٩، ٢٨٣
وسيق الذين	٧١	٣١١
سورة غافر رقمها (٤٠)	رقم الآية	رقم الصفحة
لخلق السموات	٥٧	١٠٤
هو الذي خلقكم	٦٧	٢٤٩
سورة فصلت رقمها (٤١)	رقم الآية	رقم الصفحة
.. لتكفرون	٩	١٠٧، ١٠٦

الصفحة

١٩٠ ، ١٨٩	١٢-٩	قل أنكم لتكفرون
١٧٦	١٦	فأرسلنا عليهم
٢٥٧	٢٢	وما كنتم تستترون
١٥٥ ، ١٤٠	٣٧	ومن آياته الليل والنهار

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الشورى رقمها (٤٢)
١٨٢ ، ٣٩ ، ١٨	١١	ليس كمثل شيء
٢٩٤ ، ٢٩٢	٢٧	ولوبسط الله الرزق
١٨٢	٢٩	ومن آياته
٢٤٤	٥٠ ، ٤٩	لله ملك السموات

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الزخرف رقمها (٤٣)
٢٦	٩	ولئن سألتهم
١٨٢	١٠	الذي جعل لكم
٢٠٧ ، ٨٢	١٩	أشهدوا خلقهم

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الجاثية رقمها (٤٥)
٢٤٦	١٣	وسخر لكم

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الأحقاف رقمها (٤٦)
٢٤٧ ، ٢٤٥	١٥	وحمله وفصاله
١٨٠	٢٥ ، ٢٤	فلما رأوه عارضاً
١١٠	٣٣	أولم يروا أن الله

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة محمد رقمها (٤٧)
٣٧ ، ١٧	١٩	فاعلم أنه لا إله

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة الحجرات رقمها (٤٩)
٢٦٤ ، ٢٦١	١٣	يا أيها الناس

رقم الصفحة	رقم الآية	سورة ق رقمها (٥٠)
٣٠٢	٣-١	ق ، والقرآن المجيد

رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الذاريات رقمها (٥١)
١	١٧٣	والذاريات
٢٠ - ٢١	٢٢٠ ، ٢٠٦ ، ١٨٨	وفي الأرض
٢١	٤٢	وفي أنفسكم أفلا تبصرون
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الطور رقمها (٥٢)
٢٥	١١١	وأقبل بعضهم على بعض
٣٥ ، ٣٦	٢٢٠	أم خلقوا من غير شيء
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة النجم رقمها (٥٣)
٣ ، ٤	١٩	وما ينطق عن الهوى
٣٢	٢٤٨	هو أعلم بكم
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة القمر رقمها (٥٤)
٤٩	٩٢	إنا كل شيء خلقناه
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الرحمن رقمها (٥٥)
١٠ ، ١١	١٨٢	والأرض وضعها
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الواقعة رقمها (٥٦)
٥٨ ، ٥٩	٢٤٠ ، ٢٠٨	أفرأيتم ما تمنون
٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨	٢٦٦	أفرأيتم ما تحرثون
٦٩ ، ٧١ ، ٧٢		
٦٨ - ٧٠	٢٠٥ ، ١٩٦	أفرأيتم الماء
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الحديد رقمها (٥٧)
٦	١٥٥	يولج الليل في النهار
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة المجادلة رقمها (٥٨)
١	٨١ ، ١٨	قد سمع
	٢٥٩ ، ٤٠	
رقم الآية	رقم الصفحة	سورة الحشر رقمها (٥٩)
٧	١٩	وما آتاكم الرسول

سورة الصف رقمها (٦١)	رقم الآية	رقم الصفحة
فلما زاغوا	٥	٢٧٢
سورة التغابن رقمها (٦٤)	رقم الآية	رقم الصفحة
زعم الذين كفروا	٧	١١٠
سورة المللك رقمها (٦٧)	رقم الآية	رقم الصفحة
ما ترى في خلق الرحمن	٣	١٠٢ ، ٩٧
ولقد زينا السماء	٥	١٥٢ ، ١٤٣
كلما ألقي فيها فوج	٨ ، ٩	٣١١
قل هو الذي أنشأكم	٢٣	٢٥٦
قل أرايتم	٣٠	١٩٦
سورة القلم رقمها (٦٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
ن . والقلم	١ ، ٢	٩٤
فطاف عليها طائف	١٩ - ٢٩	١٦٧
سورة الحاقة رقمها (٦٩)	رقم الآية	رقم الصفحة
وأما عاد	٦	١٧٣
هاؤم اقروا	١٩	١١١
سورة نوح رقمها (٧١)	رقم الآية	رقم الصفحة
والله أنبتكم	١٧	١٨٣
والله جعل لكم	١٩	١٨٢
سورة القيامة رقمها (٧٥)	رقم الآية	رقم الصفحة
أيحسب الإنسان	٥ ، ٦	٣٠٣
ألم يك نطفة	٣٧ - ٤٠	٣٠٢ ، ٢٩٩ ، ٢١٨
سورة الإنسان رقمها (٧٦)	رقم الآية	رقم الصفحة
هل أتى على الإنسان	١ ، ٢	٢١٨
انا خلقنا الإنسان	٢	٢٥٩
فجعلناه سميعا	٢ ، ٣	٢٥٦

سورة المرسلات رقمها (٧٧)	رقم الآية	رقم الصفحة
والناشرات	٣	١٧٣
ألم نخلقكم من ماء	٢١ ، ٢٠	٢٣٧ ، ٢٣١ ، ٢٠٨
ألم نجعل الأرض	٢٦ ، ٢٥	١٨٢
وأسقيناكم ماء	٢٧	١٩٦
سورة النبأ رقمها (٧٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
والجبال أوتادا	٧	١٩١
سورة النازعات رقمها (٧٩)	رقم الآية	رقم الصفحة
أم السماء بناها	٢٨ ، ٢٧	١١٤ ، ١٠٧ ، ١٠٥
والأرض بعد ذلك	٣٠	١٨٢
أخرج منها	٣١	٢٠١ ، ١٩٦ ، ١٨٢
والجبال أرساها	٣٢	١٩١
سورة عبس رقمها (٨٠)	رقم الآية	رقم الصفحة
قتل الإنسان	٢٢ - ١٧	٢٣٨ ، ٢١٨
فلينظر الإنسان	٣٢ - ٢٤	٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠١
سورة الطارق رقمها (٨٦)	رقم الآية	رقم الصفحة
فلينظر الإنسان	٨ - ٥	٣٠٣ ، ٢٢٧
سورة الغاشية رقمها (٨٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
وجوه يومئذ	٢	٣٢٠ ، ٣١٩
سورة البينة رقمها (٩٨)	رقم الآية	رقم الصفحة
وما أمروا إلا ليعبدوا	٥	١٢٠
سورة الناس رقمها (١١٤)	رقم الآية	رقم الصفحة
قل أعوذ برب الناس	٣ - ١	٢٩

فهرس الأهارس النبوة

رقم الحديث

(أ)

- ٣٢ أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟
 ٨٦ أجل إن أهلى سمونى محمدا .
 ١٤٢ الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مكفى
 ٨٧ أخبرنى جبريل أنفا فقال: إذا سبق ماء الرجل نزعه .
 ١٣٩ إذا أوى أحدكم إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان .
 ١٠٥ إذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه .
 ١٢٤ إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فأحذروهم .
 ١١ رأيتم ما انفق الله عز وجل منذ خلق السموات والأرض .
 ١٠٩ أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين .
 ٥٣ إنى خشيت أن يكون عذابا سلط على أمتى .
 ٩٢، ٨٢ إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة .
 ٩٤ إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمئة مفصل .
 ٣٥ استعيزى بالله من شره فإنه الغاسق .
 ٩، ٨ اقبلوا البشرى يا بنى تميم .
 ١١٥ إن الله تعالى خالق كل صانع وصنعتة .
 ٨٩ إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد واقع الرجل المرأة طار ماؤه .
 ٣٨ إن الله تعالى إذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها .

رقم الحديث

- ١١٦ إن الله عز وجل صانع ما شاء لا مكره له .
١١٢ إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية .
١٠١ إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا .
١٤٣ إن الله عز وجل ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها .
٤٤، ٤٣ إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض .
٥٩، ٤٥ إن في الجمعة ساعة - ولساعة - لا يسأل الله عز وجل عبد فيها .
٦٣ إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام .
١١٨ إن الذى أنزل الداء أنزل الدواء .
٧٨ إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة .
٤١ إن الملائكة تحدث في العنان والعنان الغمام .
٤٠ إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب .
٨٠ إن موسى قال لأدم يا آدم خلقتك الله بيده .
١٣٧ إكلأ لنا الليلة فلما كان في وجه الصبح ناموا حتى ضربتهم الشمس .
١٣٦ ألا تصلون؟ فقلت يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله .
٧٢ الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين .
١٣٥ اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا .
١٤٥ اللهم رب الناس اذهب الباس اشف أنت الشافي .
١٢٣ اللهم زدنى علما ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني .

(ب)

- ٩١ بصق رسول الله ﷺ في كفه .
٤ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فيختم بقل هو الله أحد .
٢٣ بينا أنا عند البيت بين اليقظان والنائم .
٤٧ بينما رجل بفلاة إذ سمع رعدا في سحاب .

رقم الحديث

٧

(ح)

حبك إياها أدخلك الجنة .

(خ)

٥٨

خلق الله عز وجل التربة يوم السبت .

٦٢

خلق الله عز وجل السموات من دخان .

٨٣

خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً

٧٣

خلقت الملائكة من نور .

٩٣

خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل .

(ر)

٢٦

رأيتني في الحجر وقريش تسألني .

(س)

٩٥

سلامي ابن آدم ثلاثمائة وستون عظماً .

(ف)

١٣

فرغ الله عز وجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض .

٢١

فقال ما هذا؟ قلنا السحاب قال والمزن .

٩٦

في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً .

(ق)

١٢

قدر الله عز وجل المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض .

- ٢ كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك .
 ١٤٧ كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشممني .
 ١٤٨ كذبي عبدي ولم يكن له أن يكذبي .
 ١ كذبي عبدي .
 ٦٧ كل شيء خلق من الماء .

- ١١٣ لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر .
 ٣٣ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها .
 ١١٩ لا تواصلوا قالوا فإنك تواصل .
 ٩٩ لا عليكم الا تعزلوا فإن الله عز وجل قدر ما هو خالق إلى يوم القيامة .
 ٩٨، ٩٧ لا عليكم أن لا تفعلوا، ما كتب الله عز وجل خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة .
 ١٢٢ لا يزال من أمتي أمة قائمة ظاهرة على الناس .
 ٨٤ لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك .
 ١٠٨ لقد اعذر الله عز وجل إلى عبد آخر في أجله حتى بلغ أراه الستين .
 ٢٥ لقد رأيته وأنا في الحجر وقريش تسألني .
 ١١٧ لكل داء دواء .
 ٧٩ لما خلق الله عز وجل آدم انتزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حواء .
 ٦٦ لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها .
 ٧٤ لما صور آدم في الجنة تركه ما شاء الله عز وجل أن يتركه فجعل إبليس .
 ٢٨، ٢٧ لما كانت ليلة اسرى بي وأصبحت بمكة .
 ٢٤ لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله عز وجل لي بيت المقدس .

رقم الحديث

٥

لم تلزم قراءة قل هو الله أحد.

٣٩

ليسوا بشيء... تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني

(م)

١٠٧

من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله إليه.

٣١

مستقرها تحت العرش.

١٠٦

من عَمَّرَه الله الستين فقد أعذر الله إليه.

٤٨

ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق.

١٢٠

ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن.

٥٢

ما ندرى لعله كما قال قوم - فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم.

٣٦

ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا.

١٥٠

ما لي أرى قومك قد شَفَّوك.

١٣٨

من يحفظ علينا صلاتنا فقال بلال أنا.

(ن)

٥١

نصرت بالصباء وأهلك عاد بالبدور.

(هـ)

٤٩

هل تدرون ماذا قال ربكم.

٤٦

هل تدرون ما اسم هذه قالوا: نعم هذه السحاب.

(و)

٣

والذى نفسي بيده لقد سأل ربه باسمه الأعظم.

١٥٢

والذى نفسي بيده ما يسمع بي من هذه الأمة من يهودي.

١٥١

والذى نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي.

رقم الحديث

(ي)

- ٢٩ يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس؟
٩٠ يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين.
١٥٣ ياسلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان.
٦ يافلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك.
١٢١ يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.
٥٤ ياعائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب.

(أل)

- ٧١ الدقل والفارسي والحلو والحامض.
٥٥ الريح من روح الله عز وجل تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب.
٥٦ الريح مسجن في الأرض الثانية.
٤٢ النهار اثنا عشر ساعة.
٦٨ النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة.

أحاديث الأفعال

رقمه المسلسل

الحديث

- ١٦ استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه.
١٧ خرج فنظر في السماء فقال: إن في خلق السموات والأرض.
١٨ فقام النبي ﷺ من الليل فخرج فنظر في السماء.

الآثار

(أ)

رقمه المسلسل

الحديث

- ٢٠ أتاه رجل فقال إن في قلبي من القرآن لشكا قال ويلك .
٦٠ أتيت الطور فوجدت ثمَّ كعبا .
١١١، ١١٠ اجتمع عند البيت نفر قرشيان وثقفي .
٨١ أخرج إبليس من الجنة ولعن وأسكن آدم .
١٤٠ أقرأني رسول الله ﷺ ، انى أنا الرزاق ذو القوة المتين .
٧٦، ٧٥ الله أعلم إن الله خلق آدم يوم الجمعة بعد العصر من أديم الأرض .
١٣٤ اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك محيها .
١٩ إني أجد في القرآن شيئا تختلف علي .
١٠٣ إنه رفع إلى امرأة ولدت لسته أشهر من حين دخل عليها زوجها .
١٠٢ ان رآته خمسة أيام وضعت تسعة أشهر وخمسة أيام .
٣٧ ان الشياطين كانت لهم مقاعد يستمعون فيها للوحى .
٤٢ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا .
٦٤ ان كعبا يزعم ان السماء تدور على منكب ملك فقال كذب .
٦٩ إن الله عز وجل خلق الأشياء سبعا .
٧٧ إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض .
٦٥ أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب .
١٥ أول ما خلق الله تعالى من شيء القلم فقال له « أكتب » .

(ف)

- ١٢٥ فأما الذين فى قلوبهم زيغ ، قال الحرورية والسبائية .

رقم الحديث

(ق)

٥٠ قرأ وتجعلون شكركم إنكم تكذبون، قال: نزلت في الأنواء.

(ك)

١٢٨ كانت دعوة رسول الله ﷺ: لا ومقلب القلوب.
٨٨ كان إذا خطبنا يذكر ابن آدم ويذكر بدء خلقه.
١٣٣ كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينাম قال: بسم الله أموت وأحيا.
١٣٢، ١٢٦ كان يمين النبي ﷺ كثيرا ما سمعت يقول: لا ومقلب القلوب.
٤٢ كم تجدون الحقب في كتاب الله.

(ل)

٨٥ لما أهبط آدم إلى الأرض بالهند.

(م)

١٠٠ من تراب ومن ماء ومن طين ومن ظلمة ومن نار.
٢٢ مسيرة كل سماء خمسمائة عام.

(ن)

١٤١ نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة - ولوبسط الله الرزق في الأرض.

(هـ)

١١٤ هو الولد يعني وولد الولد.

فهرس الفرق

صفحة

٣١٤

٣١٨

٣١٩

الحرورية

الخوارج

الشعبة الرافضة

فهرس الأعلام

الأعلام الوارد ذكرهم في المقدمة

صفحة

- ١ - إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمار - أبو إسحاق . ١٤
- ٢ - أحمد بن عبدالله بن أحمد - أبو نعيم الحافظ . ١٥
- ٣ - أحمد الباطرقاني . ١٦
- ٤ - الحسن بن العباس الرستمي مسند أصبهان . ٤٦
- ٥ - الحسين بن علي بن يزيد بن داود - أبو علي الحافظ . ١٥
- ٦ - جعفر بن محمد المستغفري . ١٥
- ٧ - عبدالله بن محمد بن علي بن محمد شيخ الإسلام أبو إسماعيل . ١٥
- ٨ - عبد الوهاب بن مندة - روي الكتاب عن والده . ٤٧
- ٩ - محمد بن أحمد الأصبهاني أبو الخير الباغبان . ٤٦
- ١٠ - مسعود الثقفي - الرأس المعمر . ٤٧
- ١١ - زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم مسند الشام أم الخير . ٥٠
- ١٢ - عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب . ٥١

شيوخ ابن مَندَه

(أ)

رقم الحديث

- ٣٨ — أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الضبعي .
- ٣٩ — أحمد بن سليمان بن أيوب بن حذلم .
- ٢٤ — أحمد بن عمرو الحامي - أبو الطاهر .
- ١٢٢، ٢ — أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني - ابن مَك .
- ٤٣ — أحمد بن محمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري .
- ١٢ — أحمد بن محمد بن زياد إمام الحرم .
- ٢٩ — إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار .

(ح)

- ٣٤ — الحسن بن يوسف الطرائفي .
- ١٨ — الحسين بن علي النيسابوري أبو علي .
- ٤ — حمزة بن محمد بن العباس الكنانى .

(خ)

- ٣ — خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي .

(ع)

- ٨ — عبد الرحمن بن يحيى بن مندة .
- ٢٩ — عثمان بن أحمد أبو عمر الدقاق .

(م)

- ١ — محمد بن الحسين بن الحسن القطان .
- ٣ — محمد بن سعيد بن إسحاق العسال .
- ١٩ — محمد بن عبدالله بن معروف الصفار الأصبهاني .

الأعلام المترجم لهم غير مشيوخ ابن سنده

رقم الحديث

(أ)

- | | |
|-----|--|
| ١٢٢ | ١ — إبراهيم بن سليمان الأفسطس الدمشقي . |
| ٢٢ | ٢ — إبراهيم بن طهمان الخراساني . |
| ٨ | ٣ — إبراهيم بن محمد بن الحارث . |
| ٣٤ | ٤ — إبراهيم بن مرزوق بن دينار . |
| ٣٩ | ٥ — إبراهيم بن يزيد بن شريك . |
| ٢٣ | ٦ — أحمد بن الأزهر بن منيع . |
| ٢٥ | ٧ — أحمد بن خالد بن موسى الوهبي . |
| ٢٨ | ٨ — أحمد بن شعيب النسائي . |
| ٤ | ٩ — أحمد بن صالح المصري . |
| ٨ | ١٠ — أحمد بن الفرات بن خالد الضبي . |
| ١ | ١١ — أحمد بن يوسف السلمى . |
| ٢١ | ١٢ — الأحنف بن قيس بن معاوية . |
| ٣٤ | ١٣ — إسرائيل بن يونس . |
| ٥ | ١٤ — إسماعيل بن أبي أويس . |
| ١٨ | ١٥ — إسماعيل بن مسلم العبدى . |
| ٤٣ | ١٦ — إسماعيل بن يعقوب بن إبراهيم بن الجراب . |
| ١٦ | ١٧ — أنس بن مالك بن عامر الأصبحي . |
| ٢٣ | ١٨ — أنس بن مالك بن النضر الأنصاري . |
| ٤٣ | ١٩ — أيوب السختياني بن أبي تيممة . |

رقم الحديث

(ب)

- ٢٠ - بحر بن نصر بن سابق الخولاني .
٣٦
٢١ - بريدة بن الحصيب الأسلمي .
٣
٢٢ - بشر بن شعيب بن أبي حمزة .
٣٩
٢٣ - بشر بن موسى المحدث أبو علي الإمام .
٣٨
٢٤ - بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري .
١١٣

(ج)

- ٢٥ - جامع بن شداد أبو صخر الكوفي .
٨

(ح)

- ٢٦ - حبان بن موسى بن سوار السلمي .
١٨
٢٧ - الحسن بن سفيان بن عامر الحافظ .
١٨
٢٨ - الحسين بن واقد المروزي .
٩٦
٢٩ - حصين بن جندب - أبو ظبيان .
١٤
٣٠ - الحكم بن نافع أبو اليمان .
٢
٣١ - حريز بن عثمان الرحبي الحمصي .
٩١
٣٢ - حميد بن زياد أبو صخر .
١٧
٣٣ - حميد بن هانيء الخولاني المصري أبو هاني .
١٢
٣٤ - حيوة بن شريح التجيبي .
١٢

(خ)

- ٣٥ - خالد بن يزيد الجمحي السكسكي .
٤١
٣٦ - خلف بن خالد القرشي أبو المهنا المصري .
١١٣

رقم الحديث

(ر)

- ٢٣ ٣٧ - روح بن عبادة بن العلاء بن حسان .

(ز)

- ٢٦ ٣٨ - زرار بن أوفى العامري الحرشي .
١٩ ٣٩ - زكرياء بن عدي بن الصلت .
١٩ ٤٠ - زيد بن أبي أنيسة الجزري أبو أسامة .

(س)

- ٢٣ ٤١ - سعيد بن أبي عروبة .
٤١، ٤ ٤٢ - سعيد بن أبي هلال الليثي .
١٩ ٤٣ - سعيد بن جبير الأسدي .
٨ ٤٤ - سفيان بن عيينة .
٥ ٤٥ - سليمان بن بلال التيمي .
١٤، ٨ ٤٦ - سليمان بن مهران الأعمش .
١٢٢ ٤٧ - سلمة بن نفيل .
٢١ ٤٨ - سماك بن حرب بن أوس .

(ش)

- ١٧ ٤٩ - شريك بن عبد الله بن أبي نمر .
٢ ٥٠ - شعيب بن أبي حمزة الإمام .

(ص)

- ٨ ٥١ - صفوان بن محرز بن زياد .

رقم الحديث

(ع)

- ٩٦ — عباس بن محمد بن حاتم الدوري . ٥٢
- ٤ — عباس بن محمد بن العباس البصري . ٥٣
- ٣ — العباس بن الوليد بن مزيد العذري . ٥٤
- ٩٦، ٣ — عبد الله بن بريدة بن الحصيب . ٥٥
- ٣٨ — عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي . ٥٦
- ١٢٢ — عبد الله بن سالم الأشعري الحمصي . ٥٧
- ٤١ — عبد الله بن صالح بن محمد . ٥٨
- ٢ — عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين . ٥٩
- ٥ — عبد الحميد بن عبد الله بن أبي أويس . ٦٠
- ١٨ — عبد الله بن المبارك . ٦١
- ٤٣ — عبد الله بن أبي شيبه . ٦٢
- ٢١ — عبد الله بن عميرة كوفي . ٦٣
- ٢٥ — عبد الله بن الفضل بن عباس . ٦٤
- ٤ — عبد الله بن وهب الإمام الحافظ . ٦٥
- ١٢ — عبد الله بن يزيد المعافري أبو عبد الرحمن الحبلي . ٦٦
- ١٢٢ — عبد الله بن يوسف التنيسي أبو محمد الكلامي . ٦٧
- ٤٣ — عبد الرحمن بن أبي بكرة بن نفيع . ٦٨
- ٢ — عبد الرحمن بن ذكوان - أبو الزناد . ٦٩
- ٢١ — عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي . ٧٠
- ٣٩ — عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان - أبو زرعة . ٧١
- ١٠٩ — عبد الرحمن بن محمد بن ياد المحاربي . ٧٢
- ٢ — عبد الرحمن بن هرمز - الأعرج . ٧٣
- ٤٠ — عبيد الله بن أبي جعفر المصري . ٧٤

رقم الحديث

- ٥ — عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم . ٧٥
 ١٩ — عبيد الله بن عمر الرقي أبو وهب . ٧٦
 ٣٤ — عثمان بن عمر بن فارس العبدي . ٧٧
 ١ — عبد الرزاق بن همام بن نافع . ٧٨
 ٢٥ — عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون . ٧٩
 ٢ — عبد القدوس بن الحجاج الخولاني . ٨٠
 ٩٥ — عبد الملك بن محمد الرقاشي . ٨١
 ٤٣ — عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت . ٨٢
 ٣٩ — عروة بن الزبير بن العوام . ٨٣
 ٣٨ — عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس . ٨٤
 ٩ — علي بن الحسن بن شقيق المروزي . ٨٥
 ٣٦ — علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ٨٦
 ١٨ — علي بن داود البصري أبو المتوكل الناجي . ٨٧
 ٩١ — علي بن عياش الألهان الحمصي . ٨٨
 ٧٨ — عمرو بن أبي عمرو ميسرة مولى المطلب . ٨٩
 ٢١ — عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق . ٩٠
 ٤ — عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري . ٩١
 ٣٨ — عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأشرم . ٩٢
 ٢٦ — عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي . ٩٣

(ف)

- ٢٩ — الفضل بن دكين - أبو نعيم . ٩٤

(ق)

- ٢٣ — قتادة بن دعامة السدوسي . ٩٥

رقم الحديث

(ك)

٩٦ - كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولا هم .

(م)

- ٩٧ - مالك بن صعصعة الأنصاري .
 ٩٨ - مالك بن مغول بن عاصم بن غزیه .
 ٩٩ - محمد بن أبي بكر المقدمي .
 ١٠٠ - محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي .
 ١٠١ - محمد بن جعفر بن أبي كثير .
 ١٠٢ - محمد بن خالد بن خلی أبو الحسين .
 ١٠٣ - محمد بن ادريس - أبو حاتم الرازي .
 ١٠٤ - محمد بن نصر المروزي الفقيه .
 ١٠٥ - محمد بن يوسف الطوسي الفقيه .
 ١٠٦ - محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي .
 ١٠٧ - محمد بن عبد الرحمن بن حارثة .
 ١٠٨ - محمد بن عوف بن سفيان الطائي .
 ١٠٩ - محمد بن مسلم الزهري - ابن شهاب .
 ١١٠ - محمد بن عبيد الله بن يزيد بن المنادی .
 ١١١ - محمد بن ميمون المروزي أبو حمزة .
 ١١٢ - محمد بن يعقوب بن الأخرم .
 ١١٣ - محمد بن يونس بن عبد الله أبو بكر .
 ١١٤ - محزمة بن سليمان الأسدي الوالي .
 ١١٥ - معبد بن سيرين الأنصاري .

رقم الحديث

- ٢٨ — المعتمر بن سليمان بن طرخان .
 ١ — معمر بن راشد الأزدي الحداني .
 ٨ — معاوية بن عمرو بن المهلب بن عمرو .
 ١٩ — المنهال بن عمرو الأسدي .

(ن)

- ٢ — نافع بن جبير بن مطعم النوفلي .
 ١٣ — نافع بن يزيد الكلاعي أبو يزيد .

(هـ)

- ٩٤ — هذبة بن خالد بن الأسود القيسي .
 ١ — همام بن منبه بن كامل الصنعاني .
 ٢٦ — هوزة بن خليفة بن عبد الله .

(و)

- ٩ — وضاح بن عبد الله الشكري - أبو عوانة .
 ١٢٢ — الوليد بن عبد الرحمن الجرشي الحمصي .
 ٢٦ — الوليد بن مزيد العذري .
 ٣٤ — وهب بن جابر الخيواني .

(ي)

- ١٧ — يحيى بن أيوب بن بادي الخولاني .
 ٣ — يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزبرقان .
 ٩٥ — يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني .
 ٣٩ — يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام .

رقم الحديث

- ١٦ — ١٣٣ — يحيى بن يحيى بن كثير الليثي .
٢٩ — ١٣٤ — يزيد بن شريك بن طارق .
٢٤ — ١٣٥ — يونس بن يزيد بن أبي النجاد .
٢٤ — ١٣٦ — يونس بن عبد الأعلى الصدفي .

الكنى

- ٢٤ ١ — أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .
١٤٦ ٢ — أبو الضحى - مسلم بن صبيح الهمداني .

ثَبْتُ الْمَرَّاجِعِ

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - البداية والنهاية / لابن كثير / الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م مكتبة النصر .
- ٣ - اللباب / لابن الأثير / دار صادر بيروت .
- ٤ - أخبار أصبهان / لأبي نعيم / طبعة ليدن سنة ١٩٣٤م .
- ٥ - الأعلام / للزركلي / الطبعة الثالثة .
- ٦ - العبر / للذهبي / مطبعة حكومة الكويت سنة ١٣٨٦هـ .
- ٧ - النجوم الزاهرة / لابن تغربردي / الناشر وزارة الثقافة والارشاد، المؤسسة المصرية العامة .
- ٨ - الكامل / لابن الأثير / ط دار صادر سنة ١٣٨٦هـ .
- ٩ - النهاية / لابن الأثير / الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ .
- ١٠ - النووي شرح مسلم / طبعة بدون تاريخ .
- ١١ - الوافي بالوفيات / للصفدي / المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٣م .

ت

- ١٢ - تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي / الناشر دار الكتاب العربي بيروت .
- ١٣ - تاريخ التراث / لفؤاد سزكين .
- ١٤ - تاريخ دمشق / لابن عساكر / مخطوط .
- ١٥ - تذكرة الحفاظ / للذهبي / طبعة حيدر آباد - ط الثالثة سنة ١٣٧٦هـ .
- ١٦ - تقريب التهذيب / لابن حجر / الناشر مكتبة النمنكاني .
- ١٧ - تهذيب التهذيب / لابن حجر / الناشر دار صادر بيروت .
- ١٨ - تهذيب الكمال / للمزي / تصوير دار المأمون .
- ١٩ - تفسير ابن جرير الطبري / الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ .

- ٢٠ - تفسير ابن كثير / طبعة الشعب.
- ٢١ - تفسير ابن المنذر / بهامش تفسير ابن أبي حاتم، مخطوط / مكتبة الشيخ حماد الأنصاري.
- ٢٢ - التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين / لأبي حامد بن مرزوق / اسم مستعار / طبع حسين حلمي استمبولى تركية سنة ١٣٩٦هـ.

خ

- ٢٣ - خلق أفعال العباد / للإمام البخارى / مطبعة النهضة الحديثة سنة ١٣٨٩هـ.

د

- ٢٤ - دول الإسلام / للذهبي / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.
- ٢٥ - الدر المنثور / للسيوطى / الناشر دار المعرفة بيروت.
- ٢٦ - الديباج المذهب / لابن فرحون / دار التراث للطبع والنشر القاهرة.

ز

- ٢٧ - زاد المعاد / لابن القيم / المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٩٧هـ.

س

- ٢٨ - سنن الترمذى / مع تحفة الأحوذى / الناشر المكتبة السلفية.
- ٢٩ - سنن الدارمي / تخريج السيد عبده هاشم طبع سنة ١٣٨٦هـ.
- ٣٠ - سنن النسائى / الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ. مطبعة الحلبي.
- ٣١ - سنن ابن ماجه / ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر عيسى الحلبي.
- ٣٢ - سير أعلام النبلاء / للذهبي / مخطوط.

ش

٣٣ - شذرات الذهب / لابن العماد / المطبعة التجارية للنشر والتوزيع بيروت .

ص

٣٤ - صحيح مسلم / ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر عيسى الحلبي .

ط

٣٥ - طبقات الحفاظ / للسيوطي الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ تحقيق على محمد عمر / الناشر مكتبة وهبه .

٣٦ - طبقات الحنابلة / لأبي يعلى / مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧١هـ .

٣٧ - طبقات المحدثين بأصبهان / لأبي الشيخ ، مخطوط .

ع

٣٨ - علوم الحديث / لابن الصلاح / تحقيق نور الدين عتر .

ف

٣٩ - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / طبعة سنة ١٣٩٨هـ .

٤٠ - فتح الباري / شرح صحيح البخاري / الطبعة السلفية .

٤١ - في ظلال القرآن / للسيد قطب / الطبعة الثالثة .

ك

٤٢ - كشف الظنون / لحاجي خليفة .

ل

٤٣ - لسان الميزان / لابن حجر / منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت .

م

٤٤ - منتخب مخطوطات الظاهرية / للشيخ الألباني .

٤٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل / الناشر دار صادر .

٤٦ - مصنف عبد الرزاق / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

٤٧ - من أدركه الخلال من أصحاب ابن مندة / لأبي موسى المديني خ الظاهرية
مجموع رقم (٨٠) .

٤٨ - المنتظم / لابن الجوزي / طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن
سنة ١٣٥٠هـ .

٤٩ - الموطأ / للإمام مالك بن أنس / طبعة الشعب .

٥٠ - ميزان الاعتدال / للذهبي / دار احياء الكتب / تحقيق محمد علي البجاوي .

فهرسُ الموضوعاتِ

فهرس موضوعات المقدمة

الصفحة

- | | |
|----|---|
| ١ | ١ — المقدمة . |
| | ٢ — مقدمة الكتاب : |
| ٩ | ٣ — ترجمة ابن مندة . |
| ١٧ | ٤ — عقيدته وموقفه من الفرق المخالفة لمنهج السلف . |
| ٣٣ | ٥ — وصف الكتاب ومباحثه . |
| ٤٣ | ٦ — اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه . |
| ٤٥ | ٧ — عدد أوراق النسخة ومسطرتها واسم ناسخها والسماعات المثبتة عليها . |
| ٥٤ | ٨ — منهج المؤلف في الكتاب . |
| ٥٥ | ٩ — مصادر الكتاب . |
| ٥٧ | ١٠ — عملى فى الكتاب . |

موضوعات الكتاب

الصفحة

- ١ - ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه ٦١
واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.
- ٢ - ذكر معرفة بدء الخلق. ٨٢
- ٣ - ذكر ما يدل على أن خلق العرش تقدم على خلق الأشياء. ٩١
- ٤ - ذكر ما يدل على أن الله قدر مقادير كل شيء قبل خلق الخلق. ٩٢
- ٥ - ذكر ما يستدل به أولو الألباب. ٩٧
- ٦ - ذكر ما بدأ الله عز وجل من الآيات الواضحة الدالة على وحدانيته. ١٠٤
- ٧ - ذكر الآيات المتفقة المنتظمة الدالة على توحيد الله عز وجل في صفة ١١٣
خلق السموات التي ذكرها في كتابه وبينها على لسان رسوله ﷺ تنبيها
لخالقه.
- ٨ - ذكر ما يدل على أن النبي ﷺ عُرِجَ ببذنه يقظانا وأن قريشا أنكرت ١٢٤
ذلك ولو كان رؤيا لم تنكر عليه.
- ٩ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى وبديع صنعته في خلق ١٣٤
الشمس والقمر.
- ١٠ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عز وجل وعظيم قدرته في خلق ١٤٣
النجوم.
- ١١ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق من لطيف صنعته وبديع حكمته في ١٥٥
تكوير ساعات الليل على النهار وإيلاج النهار على الليل.
- ١٢ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عز وجل في إمساكه السحاب في ١٦٣
جو السماء.
- ١٣ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عز وجل مما عجز عن وصفه ١٦٨
المخلوق وتاهت فيه العقول.
- ١٤ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله عز وجل وإنه مرسل الرياح ١٧٢
والريح.

الصفحة

- ١٥ - ذكر الفرق بين الريح والرياح . ١٧٦
- ١٦ - ذكر الآيات التي تدل على وحدانيته في خلق الأرض . ١٨٢
- ١٧ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله في خلق الجبال وما أخبر عما فيها ١٩١
من المنافع ووصف ألوانها .
- ١٨ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى من صنعته في خلق الماء ١٩٦
الذي جعله الله عز وجل حياة لجميع خلقه .
- ١٩ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى وإنه منزل الماء من المزن ٢٠١
وفالق الحب والنوى ومنبت النبات وألوان الأشجار التي تحمل ألوان
الثمار مختلفة الأطعمة والألوان من أزواج شتى من كل زوج بهيج .
- ٢٠ - ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله عز وجل وإنه خالق الخلق ومنشيها ٢٠٧
من تراب آدم عليه السلام ثم من نطفة ولده وخلق منها زوجها حواء .
- ٢١ - ذكر آية تدل على وحدانية الله عز وجل من انتقال الخلق من حال إلى ٢١٨
حال .
- ٢٢ - ذكر خلق آدم عليه السلام وطوله ووقت خروجه من الجنة . ٢٢٢
- ٢٣ - ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله وإنه مخرج النطفة إلى الرحم ٢٢٧
بنقلهم من حال إلى حال .
- ٢٤ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وإنه المقر في الأرحام ما يشاء . ٢٣١
- ٢٥ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وإنه ناقل أحوال النطفة إلى العلقة ٢٣٤
والى المضغة إلى العظام إلى إنشائه بشرا سويا .
- ٢٦ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وأنه يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ٢٤٠
إذا شاء وأن المني يتمنى الولد فلا يقدر الرب عز وجل ويكره ويعزل
فيقدر .

الصفحة

- ٢٧ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق واحكام صنعته في خلق الرحم ٢٤٥
والمشيمة في مدة استقرار النطفة فيها إلى التارات التي تمر إلى أن تصير
بشراً حياً.
- ٢٨ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وأن الأنثى تحمل وتضع بإذنه. ٢٤٩
- ٢٩ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق بأنه خلق الخلق وجعلهم سميعا ٢٥٦
بصيرا يسمعون ويبصرون.
- ٣٠ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق واحكام صنعته في مصالح خلقه. ٢٦١
- ٣١ - ذكر الآيات التي تدل على وحدانية الخالق من تقلب أحوال العبد وانه
المدير لذلك من حال الصحة والمرض والموت والحياة والنوم والانتباه
والفقر والغنى والعجز والقدرة.
- ٣٢ - ذكر آيات تدل على وحدانية الخالق وانه مقلب القلوب على ما يشاء. ٢٧٢
- ٣٣ - ذكر آية تدل على وحدانية الله عز وجل وانه مقلب القلوب يحول بين
المرء وقلبه إلى ما يريد من السعادة والشقاء.
- ٣٤ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وان الأرواح بيده في حال الموت ٢٨٣
والحياة والنوم والانتباه.
- ٣٥ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وأنه الرزاق المغني المفقّر. ٢٩١
- ٣٦ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وانه الممرض المداوى الشافي لعباده. ٢٩٦
- ٣٧ - ذكر آية تدل على وحدانية الخالق وانه المبدىء خلقه بلا مثال والمعيد لها ٢٩٩
بعد فنائها.
- ٣٨ - ذكر استدلال من لم تبلغه الدعوة ولم يأته رسول. ٣٠٦
- ٣٩ - ذكر الدليل على ان المجتهد المخطيء في معرفة الله عز وجل ووحدانيته ٣١٤
كالمعاند.

الصفحة

٣٢٣	الفهارس
٣٢٥	فهرس الآيات القرآنية
٣٣٧	فهرس الأحاديث النبوية
٣٤٥	فهرس الفرق
٣٤٦	فهرس الأعلام
٣٤٦	* الذين ورد ذكرهم في المقدمة
٣٤٧	* شيوخ ابن مندة
٣٤٨	* الأعلام المترجم لهم غير شيوخ ابن مندة
٣٥٥	* الكنى
٣٥٧	ثبت المراجع
٣٦٠	فهرس الموضوعات